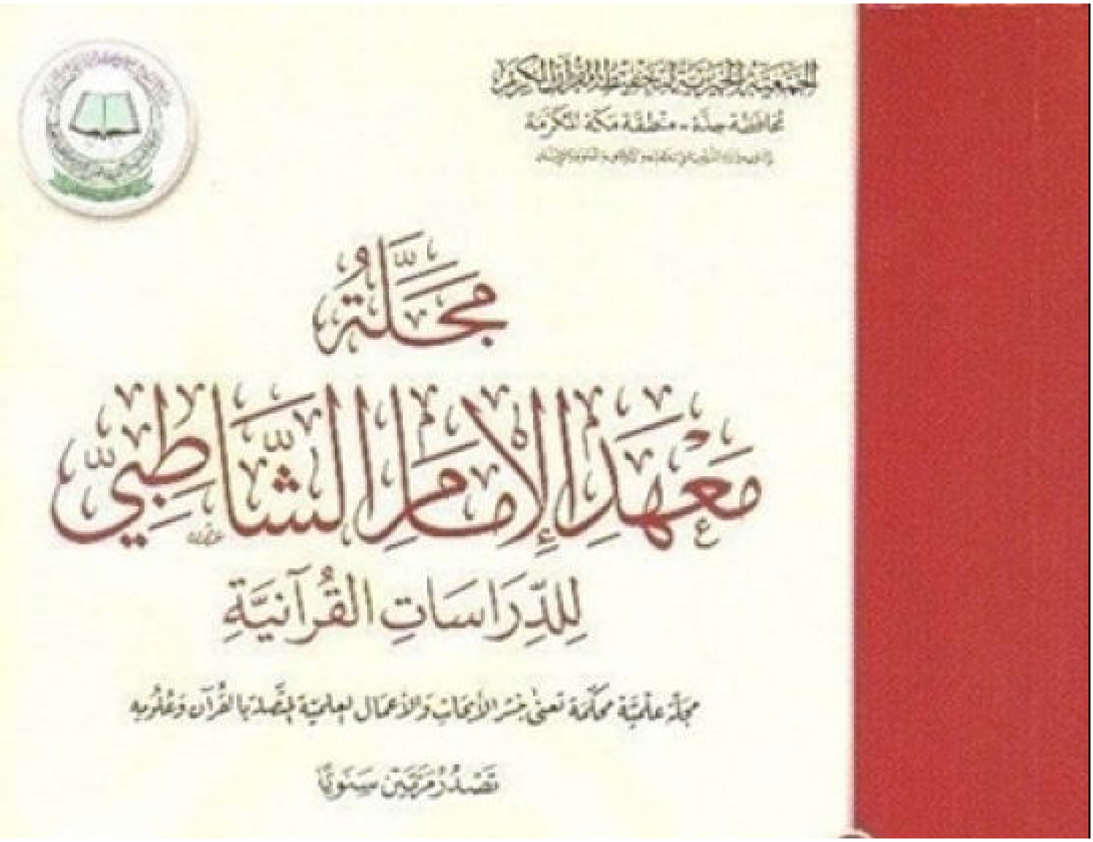

العدد الثالث

تكوين ملكة التفسير

د . الشريف حاتم بن عارف العوني
الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، وعضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية

* من مواليد مدينة الطائف عام ١٣٨٥هـ .
* نال شهادة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحته "المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس (دراسة نظرية وتطبيقية على مرويات الحسن البصري)، ثم شهادة الدكتوراه بأطروحته "أحاديث الشيوخ الثقات (المشيخة الكبرى) لأبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري الحنبلي الشهير بقاضي المارستان (ت ٥٣٥هـ): دراسة وتحقيق".
* له أكثر من ثلاثين كتابًا و بحثًا منشوراً , مع حضور العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية والمشاركات الإعلامية .

الملخص

يحاول المقال أن يضع خطةً عمليةً لإنشاءِ ملكةٍ في العلوم التفسيريّة الأصيلة، مبنية على إثارة الذهن ، وإعمال التفكير ، في كل علم تحتاجه العملية التفسيرية احتياجًا كاملا . على أن يتمّ تقويم هذا النتاج الذهني الخاص بالمتدرّب ، من خلال الرجوع إلى كتب أئمة كل علم من علوم التفسير . فرتّبَ خطواتٍ لذلك، راعت في تنظيمها سَيْرَ العمليةِ التفسيرية، وأن تذكر أهم مؤلفات علوم التفسير في هذا السياق العملي التطبيقي .

وملخص هذه الخطوات ، هو :

الأولى: التزوُّدُ من العلوم الضرورية لعلم التفسير .

الثانية:اختيار الآيات التي سيتدرب على تفسيرها، والتي يجب أن يتوفّر في سبب اختيارها أنها أبعد الآيات عن أن يكون استفاد تفسيرَها من أحد.

الثالثة:فهم الآية بالجهد الذاتي المحض،دون الاستعانة على فهمها بأحد.

الرابعة : السعيُ إلى التفسير اللغوي الصِّرْفِ للآية .

الخامسة: تفسير الآية بالمنقول ، من: القرآن، والسنة، وأقوال السلف .

السادسة (والأخيرة) : الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وإلى ترجيحاتهم النهائية ؛ لتقويم النتيجة النهائية من دراستي ، ولاختيار الصياغة الدقيقة للتفسير الذي توصلّت إليه.

المـــقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسـلين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى ذُرّيّته إلى يوم الدين .

أما بعد : فلا يشك ناصحٌ لأمته أن سبيل نهضتها منوطٌ بأمور ، مـن أجَلِّها وأهمِّها أن نُعيدَ إلى العلوم الإسلامية حيويتها وعُمقَها وأثرهـا في حيـاة الناس . وهذه الغاية الغالية العالية تستوجب جهودًا جبارةً في تجديد هذه العلوم، التجديدَ الذي يعيدها إلى ما كانت عليه في زمن سلفنا الصالح وخيرِ القـرون ، من خلال التجديد لمناهج التعلُّم والتعليم ، وتخيُّرِ المناهج التي تُورثُ علما حقيقيا وفقها عميقا وإيمانا تزكو به النفوس .

وقد رغبتُ أن أُسهمَ في ذلك ، بطرح خطة عَمَليّة تحقّـقُ (بـإذن الله تعالى) تكوينَ مَلَكَة عِلْميّة لأحد أجلِّ العلوم ، وهو علمُ التفسير .

ومرادي بالمَلَـكَةِ التفسيرية : التأهُّلُ العلميُّ والـذِّهْنيُّ لإدراك الفهـم الصحيح للآية بالاجتهاد المبني على أدلته ، لا تقليدًا[1] .

---

(١) الملكة : صفةٌ راسخةٌ في النفس ، تحصل بتكرارٍ وممارسة .

هذا أشهر تعريف للملكة ، كما في : التعريفات للجرجاني (٢٩٦) ، والتوقيف على مهمـات التعاريف للمناوي (٦٧٥)، والكُليّات للكفوي (٧٥٢ ، ٨٥٦) .

لكن ابن خلدون دقّق في بيانها ، فقال في مقدمته (٢/٣٥٠) : «وذلك أن الحِذْقَ في العلم واليقينَ فيه والاستيلاءَ عليه، إنما هو: **بحصول ملكـةٍ في الإحاطـة بمبادئـه وقواعـده،والوقـوف علـى مسائله،واستنباطِ فروعه من أصوله**.وما لم تحصل هذه الملكةُ لم يكن الحذقُ في ذلك الفنِّ حاصـلاً. **وهذه الملكة هي غير الفهم والوعي** ؛ لأنّا نجد فَهْمَ المسألة الواحدة من الفن الواحد مشتركًا بين من شدا في ذلك الفن ومن هو مبتدئٌ فيه، وبين العامي الذي لم يُـحصِّل عِلْمًا وبين العـالم النِّحريـر. والمَلَـكة إنما هي للعالم والشادي في الفنون،دون من سواهما.فدلَّ على أنّ هذه المَلَـكةَ غيرُ الفهم».=

وكان من بين أسباب اختيار هذا العلم خاصة لطرح هذه الخطة قبل غيره من العلوم، أنه مع جلالته التي لا يُستغربُ معها البَدْءُ به، أنه أحد أكثر العلوم التي قَلَّ المتفقِّهون فيها ، واستقرَّ العمل في تدريسها (غالبًا) على مجرّد التلقين الذي لا يؤدّي (غالبًا) إلى الفقه الصحيح في العلوم . ونُظِّرَ لهذا المنهج غير السديدِ بتأكيد أمور : بذكر خطر علم التفسير ، وحُرمةِ الكلام في

= وفي موطن آخر (٣/٢٦١-٢٦٢) فرّقَ ابنُ خلدون بين معرفة قوانين العلم وملكتِه ، فعقد فصلا بعنوان: (في أن هذا اللسان غيرُ صناعة العربيّة ومستغنيةٌ عنها في التعليم) ، ثم قال: «والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ، فهو علمٌ بكيفيّة ، فليست هي الملكة . وإنما هي بمثابة من يعرف صناعةً من الصنائع علما ، ولا يُحكمُها عملا ... وهكذا هو العلم بقوانين الإعراب ، إنما هو علمٌ بكيفية العلم ، وليس هو نفس العلم . ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين ، إذا سُئِلَ في كتاب سطرين إلى أخيه أو ذي مودّته ، أو شكوى ظُلامة ، أو قصدٍ من قُصوده، أخطأ فيها الصواب، وأكثر من اللحن ...». إلى آخر كلامه البديع المفيد .

وقد تكلّم الأصوليون في شروط المجتهد عن أنه لا يُشترطُ في تكوين ملكته أن يكون عالمًا بتفاريع الفقه، فقال الغزالي: «فأما الكلام وتفاريع الفقه فلا حاجة إليهما ، وكيف يُحتاج إلى تفاريع الفقه؟! وهذه التفاريع يُولِّدُها المجتهدون، ويحكمون فيها ، بعد حيازة منصب الاجتهاد ، فكيف تكون شرطًا في منصب الاجتهاد ، وتقديمُ الاجتهادِ عليها شرطٌ؟! نعم .. إنما يحصل منصب الاجتهاد في زماننا بممارسته ، فهو طريقُ تحصيلِ الدُّربة في هذا الزمان ، ولم يكن الطريقُ في زمن الصحابة ذلك . **ويمكن الآن سُلوكُ طريقِ الصحابة أيضًا**» ، المستصفى (٢/٣٨٨) .

وهذا ما قرّره عامة الأصوليين، فانظر : المحصول لفخر الدين الرازي الشافعي (٣/٢/٣٦)، والتحرير للكمال ابن الهُمام الحنفي، وشرحه: التقرير والتحبير لابن أمير الحاج الحنفي (٣/٣٩٢)،والبحر المحيط للزركشي (٦/٢٠٥)، وجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، وشرحه: البدر الطالع للجلال المحلّي(٢/٣٨٣)، والتحبير شرح التحرير للمرداوي الحنبلي (٨/٣٨٧٨).

التفسير بغير علم ، وبـــ«أيّ سماءٍ تظلّني وأيّ أرض تقلّني إذا قلتُ في القرآن برأيي» ! وهذا كله حقٌّ لا مرية فيه ؛ لكنّ استثماره في إضعاف ملكة الفهم ، وفي عدم التدرُّب على إثارة القوّة الذهنية وزيـــادة قُـــدْرَتها علـــى الفقـــه والاستنباط[1]= استثمارٌ خاطئ ، لن يؤدي إلا إلى إضعاف عِلْمِ التفسير، وإلى الوصول إلى ما وصلنا إليه : من قِلَّةِ أهل التحرير فيه ، وإلى توقّف نمائه .. أو ما يقترب من التوقّف!!

لذلك قد رغبت في وضع هذه الخطة ، التي هي نتاجُ تفكيرٍ عميـــق، وخبرةٍ في التعليم قاربت العقدين .

فأرجو أن ينظر فيها المعلِّمون؛ليُفيدوا منها، ويضيفوا إليها ويهـــذّبوا فيها ما يزيد من جدواها. وأن يطبّقها المتعلِّمون؛ فسيجدون فيها (بـــإذن الله تعالى) ما يحققُ لهم أملَهم في الرُّقيّ بمستواهم العلمي، وما يقوّي مَلَــكَاتِـــهم العلميةَ، ويُؤَهِّلُهم إلى مراتب أهل التحقيق (بتوفيق الله تعالى).

أسأل الله تعالى قبولها ، وأن ينفع بها ؛ إنه سميعٌ مجيب

---

(١) ليس المقصودُ بالاستنباط في هذا المقال (إذا جاء ذكره) الاستنباطَ الخفيَّ للفوائـــد والأحكـــام الفقهية ، وإنما المقصود به مطلق الاجتهاد في الوصول إلى المطلوب، الذي هو هنا : فهم المعـــنى الأولي للآية. فالاستنباط واردٌ في مقابل التلقي للمعلومة من غيرك ، دون إعمالك الذهنَ في محاولة إدراكها .

فكرة الخطة

لقد قامت فكرة الخطة على أمرين :

الأول : تدريبُ المستفيدِ من الخطة على استخراج كلِّ معلومةٍ تنفعه في فهم الآية وتفسيرها (مما يصحُّ الوصول إليه بالاجتهاد) باستنباطه الخاص وإعماله لذهنه ، ثم أن يقوم بتقويم اجتهاده هذا بالرجوع إلى كلام أهل العلم . وفائدة هذا التقويم (بعد ذلك الاجتهاد): لا تقتصر على معرفة الصواب في تلك المسألة الجزئية ، بل تتعداه إلى ما هو أهمّ في هذا السياق ، وهو : أن يتبيّنَ سببَ الإصابة من سبب الخطأ ؛ ليستمسك بالأول ويجتنب الثاني . وكُلُّنا يعلم ما هو مقدار ثبات المعلومة التي تأتي بعد الاجتهاد في تحصيلها ، سواء بعد الإصابة في الاجتهاد أو الخطأ فيه، كما نعلم أثر تبيُّنِ معالمِ طريق الصواب وطريق الخطأ على الحياة العلمية !

كما أن هذا الاجتهاد الذاتي أدْعَى إلى تمرين الذهن على الاستنباط والتحليل والنقد ، وهو أيضًا يجعل النتيجةَ التي يُوصلُنا إليها أعمقَ من النتيجة التي تلقّيناها عن غيرنا دون إعمالِ ذهنٍ(1) ؛ مما سيكون له أثرٌ كبير في حسن تناولنا لتلك المسألة، وفي قُدرتنا على الترجيح العلمي العميق بين اختلافات العلماء فيها، إذا ما اختلفوا .

كما أن لها فوائد أخرى :

(١) ولذلك قال الزركشي في البحر المحيط (٦/٢٢٨) : «ليس يكفي في حصول الملكة على الشيء تعرُّفُه، بل لا بُدّ مع ذلك من الارتياض في مباشرته ... **ومما يُعِيْنُه على ذلك أن تكون له قوةٌ على تحليل ما في الكتب ، وردِّه إلى الحُجَج**: فما وافق الصواب فهو صواب ، وما خرج عن ذلك فهو فاسد ، وما أشكل أمره توقّف فيه» .

- من مثل الشعور بالذات ، وأن لها حضورا في ذلك العلم ، وهذا أحد أهم دواعي حب العلم، وحب الإبداع فيه .
- وبالتالي فإن ذلك سيُشعر الطالب بلذّة العلم ، التي هي أحد أكبر أسباب الاستمرار في الطلب، وفي استعذاب عذاب التعب في تحصيله، وفي الجَلَدِ على طُول مشواره .

الثاني : التنبيه على علوم التفسير ، وعلى مواطن استعمالها عند القيام بالعملية التفسيرية ، وكيفيّة الاستفادة منها . كما أن ذلك يتضمّنُ المرور بكُتبها والمصنفاتِ فيها ، مع بيان أهم مميزاتها[١] .ويأتي هذا التنبيه على علوم التفسير وكُتبه في سياقٍ عملي حيٍّ، يكون أفضلَ في الإفادة من السياق النظريّ الجامد، الذي تُسرَدُ مصنفاتُ التفسيرِ وعلومِه فيه سردًا؛ ليكون هذا السياقُ العملي أرسخَ فائدةً وأكثرَ عائدةً على المتدرّب؛ لفضل الممارسة العملية والخبرة التي نكتسبها بها على الدروس النظرية البحتة .

ومن أهم مميّزات هذه الخطة أيضًا : أنها نظرتْ في خطواتها إلى كل العلوم التفسيرية الأصيلة ، وحاولت أن تـُنمّي ملكةَ الفهم والاجتهادِ فيها[٢]

(١) وقد استفدتُ كثيرًا في هذا المجال من كتاب فضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار (أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم)؛ فجزاه الله خيرا .وقد استدركتُ عليه فيه نوعين لم يذكرهما :

الأول : علم مقاصد السور . وللبقاعي فيه مصنّف مفرد ، واعتنى به الفيروزبادي في تفسيره وغيره من المعاصرين ، كما ستجده في أصل الخطة .

الثاني : الترتيب الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، وهو نوع حديثٌ في وجوه التصنيف المتعلقة بالتفسير .

(٢) المقصود بالاجتهاد : عدم أخذ قول إلا بدليله ، مع عمق الفهم للأدلة ومراتبها في القوة .

(علمًا علمًا) بطريقة مباشرة وواضحة.

وهذه المَـــلَـــكَـــاتُ العديدة من الممكن أن تنمو بغير هذه الخطة،لكن بصورة أدّعِي أنها أبطأ، وأنها كثيرةُ العِثار[1].كما أن بعض هذه الملكات قد يغفل عنها الطالب، فلا تنمو معه، على طول طريقه في الطلب. أما بهذه الخطة.. فإنها راعت تنميةَ الملكاتِ فيها جميعها، وأوضحت وسيلة تنميتها بوضوح.

ولذلك فإني لا أدعي بأن هذه الخطة جديدةً على منهج التعلـيم، ولا يمكن أن أزعم بأنها مستحـدثة على غير مثالٍ سـابق[2]. فهـي خُـطـةٌ ضروريةُ المَدْرك، بَـدَهيـَّـةُ المَأْخَذ؛ لكني اجتهدتُ في إبرازها، وفي اقتـراح خـطواتها، وَفق ترتيبٍ عِـلميٍّ واضحِ الأسباب. وإلا.. فهل يشك أحدٌ بـأن من لم يُعمل ذهنه في فَهْمِ المعلومة وفي معرفة أدلّتها القائدةِ إلى قبولها أو ردّهـا، واكتفى في طلبه على الحفظ والتلقّي المحض، أو شبه المحض = أن ملكة العلـم عنده ستكون ضامرةً ضعيفة ؟![3] هذا ما سعيت إلى ضِدّه في خطتنا هذه ، بأن يحاولَ الطالبُ أن يُعمل ذهنه في كل معلومة يصح فيها إعمالُ الذهن ، وأن ينظر في الأدلة بنفسه ، وأن يقوّم جُهدَه باجتهاد الأئمة في كل فن ؛ لكي تنشأ ملكةُ العلمِ لديه ، وتنمو آلةُ الاجتهاد عنده .

وليس المقصود من ذكر هذه الخطة أن يسير عليها العالمُ المفـسِّر عنـد

(١) بسبب قلّة من يسير في تعليمه على منهج إثارة القرائح والتدريب على الاجتهاد في العلم.

(٢) سبقت عبارة الزركشي في بيان وسيلة تكوين الملكة ، في حاشية الصفحة السابقة .

(٣) انظر:كلام الإمام أبي زيد الـدَّبُـوسي(ت٤٣٠هـ) عن الفرق بين ملكتي الفهم (الذي هـو الفقـه) والحفظ، في كتابه:تقويم الأدلة (٤٦٨). وكلامَ أبي الوفاء ابن عقيل (ت٥١٢هـ) عن خطأ مـن قـدّمَ في الاستفتاء الحافظَ بغير فقه على الفقيهِ بغير حفظ، في كتابه: الواضح في أصول الفقه (٥/٤٥٦-٤٥٧).

تأليفه تفسيرًا؛ فإن المفسّر حقًّا هو من كان ذا ملكةٍ مكتملة في التفسير ، فليس محتاجًا إلى خطة لتكوينها . وليس المقصود منها أيضًا أن يَقُوم المتدرّبُ بتطبيقها على القرآن الكريم كاملا ، فإن هذا مع قُربه من حدِّ الاستحالة ، فهو كذلك لا داعي له ؛ فإن تطبيق هذه الخطة في جزء واحد من القرآن أو جزئين قد يكون كافيًا لإنشاءِ الملكةِ المقصودة منه . ويبقى على المتدرب بعد ذلك : إكمالُ آلاته العلمية من العلوم الإسلامية (أوّلا) ، وزيادة ملكته التفسيرية ، بممارسة التفسير قراءةً وجمعًا ودراسةً ومناقشةً وترجيحًا (ثانيا).

ولو أمكن أن يتولّى تطبيق هذه الخطة المعلّمون ، لكان هذا أكمل لفائدتها ، وأولى بتحقيق مقصودها[1] .

ومن هنا ندخل في ذكر خطوات خطتنا العملية لتكوين ملكة التفسير:

(١) وقد جربت ذلك عمليًا، فكنت (مثلا) أذكرُ الآيةَ للطلاب، ثم أطلب منهم أن يبينوا لي معنى الكلمة الغريبة في الآية استنباطا منهم من خلال سياقها، ثم أقرأ عليهم ما جاء عند الراغب الأصبهاني في مفرداته؛ ليظهر صواب من أصاب منهم، وقُرب من اقترب، وخطأ من أخطأ، وأنبهُ على سبب الخطأ وسبب الصواب. وهذه إحدى خطوات الخطة الآتية ، وقصدتُ من ذكرها هنا: التنبيهَ على طريقةٍ عملية من طرق تطبيق هذه الخطة ، يمكن للمعلّمين أن يسيروا عليها .

خطوات تكوين ملكة التفسير

الخطوة الأولى : التزوُّدُ من العلوم الضرورية لعلم التفسير .

لقد تحدّث العلماء عن العلوم الضرورية للمفسّر ، وعن شروطه[1]. فعلى الباحث الذي ينوي الدخول في دورته التدريبية هذه أن يكون قد تقدّمَ منه تأصيلٌ جيدٌ في تلك العلوم ، تأصيلٌ لا يُغرق معه فيها إغراقَ المُخْتصِّين بها ، **بل يكتفي منها بما يمكّنه إدراكَ مبادئها وفهمَ كلام علمائها ومراجعة مطوّلاتها عند الحاجة إلى ذلك** .

كما أن عليه أن يبدأ مشوارًا طويلا جدّا في التعرّف على أساليب العرب في البيان عن مكنونات أنفسها ، من خلال القراءة المتأملة المتذوقة لمختار كلامهم شعرا ونثرا . وهو مشوارٌ ينبغي أن يبدأ .. ولا ينتهي ؛ لأنه من أعظم ما سيحتاجه المفسِّر ، وأعمقِه ، وأحوجه إلى جميل الصبر على طول الطريق[2] .

كما أن عليه أن يقرأ ما كتبه العلماء عن أصول علم التفسير ، وعن

---

(١) انظر: شروط المفسر في كتب علوم القرآن ، كالإتقان للسيوطي (٢/١١٩٧-١٢٢٤) ، والتحبير في علم التفسير له .

(٢) سبق نقلُ كلامٍ لابن خلدون عن التفريق بين صناعة النحو والصرف والإعراب ونحوها من علم قوانين العلوم العربية ومقاييسها (من جهة) والعلومِ نفسِها (من الجهة الأخرى)، حيث فرّقَ بين قوانين العلوم وملكةِ العلمِ بها، التي هي حقيقةُ العلم. وله كلام آخر يبين فيه طريقة تكوين ملكة اللسان العربي ، فنصح بما نصحتُ به ، وشرح ووضّح ، فانظر المقدّمة (٣/٢٦١).

ولا أنسى في هذا السياق ما حكاه الإمام الواحدي (ت٤٦٨هـ) عن نفسه من عنايته البالغة باللغة والأدب والشعر ، من أجل أن يُهيئ نفسه لعلم التفسير. فانظر حديثه المطوّل عن ذلك في ترجمته في معجم الأدباء لياقوت (٤/١٦٦١-١٦٦٣) .

مدارس التفسير ومناهجها ، وعن كتبه ومميزاتها .

وأنصحه خاصة بمقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية في أصـــول التفـــسير[١]، وبكتاب (قواعد التفسير) لفضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت، وبكتاب (أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم) لفضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار، و(فصول في أصول التفسير) له[٢].

ثم عليه مع ذلك أن لا يقطع الانشغال بالتفسير وكتبه ومشاريعه العلمية: النظرية والتطبيقية، فإن هذا هو سبيل من أراد أن يتخصّص في علم من العلوم.

وهذه الخطوة من الممكن أن تُذكر منفصلةً عن هذه الخطوات ، لأنهـــا تأصيل لها (أولا) ، ولكون التزوّد منها لن ينتهي على طول طريق التحـــصيل (ثانيًا) ، ولأنها تبدأ بخطوة، تتلوها خطواتٌ منها ، لتكون منـــهجًا لإكمـــال الملكة التفسيرية ، وليست خطوةً من خطوات إنشائها وتكوينها (ثالثا) . وإنما أوردتها (مع ذلك) ضمن الخطة ، لتكون خطوات الخطة شـــاملةً لأســـباب تكوين الملكة ولإكمالها ، ولكون البداية بها مهمةً قبل الدخول في تطبيق هذه الخطة .

وقد يُستحسن في هذه الخطوة أن لا تدخل ضمن الخطوات ؛ لأنها خطوةٌ لن يتجاوزها المتدرّبُ ولا المفسِّر أبدًا ، مادام منشغلًا بالتفسير . لكني رأيـــتُ إدخالها فيها ؛ لأنها خطوةٌ تأسيسية لا بُدّ منها ، قبـــل الـــشُّروع في بقيّـــة

---

(١) وأفضل شروحها شرح فضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار .

(٢) وسيأتي ذكر كتبٍ ودراسات معاصرة مهمة غير هذه الكتب ، لكن لمّا كان موضوعها متعلّقًـــا بالخطوات التالية ، ذكرتها هناك في موطنها .

الخطوات . ثم إن الأمر فيها (إفرادًا عن بقية الخطوات أو عدم إفراد) بعد هذا التنبيه الواضح ؛ لا يتجاوز أن يكون خلافًا صوريًّا ، لا يؤثر على الحقيقة العلمية .

الخطوة الثانية :اختيار الآيات التي سيتدرب على تفسيرها ، والتي يجب أن يتوفّر في سبب اختيارها أنها أبعد الآيات عن أن يكون استفاد تفسيرَها من أحد.

وذلك بأن يُقْدِمَ على اختيار جزءٍ من القرآن الكريم أو سورةٍ منه ، لتكون منطلقَ تدبُّرِه وموضعَ دراسته التي سيُجريها . وإذا كان الدارسُ له قراءاتٌ سابقةٌ في كتب التفسير ، فمن الأفضل أن يختار من القرآن أبعدَ الأجزاء عن قراءاته السابقة ، فكلما كان الجزءُ المدروسُ أخفَى معنًى عليه كان أولى بالاختيار من غيره !

الخطوة الثالثة :فهم الآية بالجهد الذاتي المحض ، دون الاستعانة على فهمها بأحد .

وذلك بأن يقرأ الدارِسُ الجزءَ أو السورة المختارة للدراسة من المصحف ، ويحاول أن يفهمها من المصحف وحده ، دون الرجوع إلى أي كتاب ليستعين به على الفهم الأوليِّ الذي نريده أن يصل إليه .

وعليه في هذه الخطوة أن يتعلّم طولَ التأمل والتفكيرَ المديد ، وأن لا يستعجل في البتّ بمعنى معين لكل آية ؛ إلا بعد أن يتأكّد من أن تأخُّرَه في تأمّله لها لن يضيفَ إليه فهمًا جديدا.

وعليه أيضًا أن يحاول استنباطَ معنى أي كلمةٍ غريبةٍ لغويًّا عليه من خلال سياقها ، باذلاً في ذلك كل جهده الذهني .

كما أنه ينبغي عليه أن لا يُـغفل سياقَات الآية **الخمسة** ؛ لأن الـسياق من أقوى ما يؤثِّر على تحديد المراد من الكلام. وسياقات[1] الآية الخمسة هي:

١- السياق القرآني العام ، أي استحضار الغاية الكبرى من إنـزال القـرآن الكريم ، وهي هداية الخلق إلى توحيد الله تعالى ، وإلى مراضيه سبحانه ، والتي بها تنتظم شؤونُ الخلقِ جميعُها ، بما يحقق لهم سعادةَ الدارين ؛ لأنها تبـيِّنُ العلاقةَ الصحيحةَ الكاملةَ لكل فرد بربِّه عزّ وجـل ، والعلاقـةَ الـصحيحةَ المطلوبةَ بجميع الخلق . فاستحضارُ الغرضِ من إنزال القرآن مُهمٌّ في فهمـه ، وعاصمٌ من شَطَطِ التفسير ؛ كبعض من انْسَاقَ وراءَ إثباتِ سَـبْقِ القـرآنِ العلمي، فتعسّفَ التأويل ، حتى يُـخَيَّل للواقف على تأويله أن كتـاب الله العزيز كتابٌ في بعض العلوم العصرية!! ومن المعلوم أن القرآنَ قد تعـرّض لحقائق علمية كثيرة حقًّا ، وسبقَ إلى ذِكْرِ بعضِها العلمَ الحديث صدقًا ؛ لكن ذلك كان ضمنَ تحقيقه لغرضه الأكبر وغايته العظمى المذكورةِ آنفًا ، فـلا يجوز أن نخرج به عن هذا السياق الأجلِّ الأفخم .

٢- سياق الآياتِ الزمنيُّ، وأعني به : معرفة مكيّة الآيات أو مدنيّتها ، هـل نزلت قبل الهجرة ؟ أم بعدها ؟ وتحديد ذلك مفيدٌ لفهم الآيات ؛ لأن الآيات المكية لها أغراضها وخصائصُها التي تختلف بها عن الآيات المدنية ، وكذلك الآيات المدنية أيضًا . ومعرفة أغراض الآيات المكية والمدنية هو أحد السياقات ولا شك ، وما دامت سياقًا فلا بُدّ أن تكون مؤثرةً في إدراك معنى الكـلام

(١) المقصود من (السياق) في هذا (السياق) : كل ما أحاط بالنصّ فكان له أثرٌ في فهمنـا لدلالاتـه ومعانيه .

الذي تَـــحُفُّ به ، وهذا أحد أهم أسباب عناية العلماء بمعرفة المكي والمدني.

٣- ومعرفة المكي والمدني لا بد فيه من النقل ، ولذلك لا بد من الرجـــوع إلى كتب التفسير وكتب علوم القرآن لمعرفة ذلك . فإذا اختلف النقل وتعـــارض ، يكون ما أدركه الباحث من خصائص المكي وخصائص المدني أحـــد قـــرائن الترجيح . ويُـــمكن تكوين ملكةٍ في ذلك ، بطول التأمل في مجموعـــة مـــن السور المكية والسور المدنية ، لمحاولة استخلاص أهم الأغراض التي تعتني بهـــا ، ولاستخلاص خصائص كل قسم ، ثم يُراجعُ الدارِسُ ما كتبه أهل العلم في ذلك والباحثون المعاصرون ، للتكميل والتصويب . (١)

٤- سياق السورة التي أدرسها ؛ إذ لكل سورة مقاصدُ وأغراضٌ خاصة ، فهي سياقٌ مهمٌّ لكل آية فيها . فعلى الدارِسِ أن يقرأ السورة لاســـتنباط أغراضـــها ومقاصدها ، محاولاً معرفةَ جميعِ الموضوعات التي بينت السورةُ الهدايةَ الربانيـــةَ فيها . ثم إن استطاع تحديدَ الوصفِ الجامعِ لها والقاسمِ المشتَركِ بينها .. فهـــو أولى ، وإن كانت أوصافا عديدةً وقواسمَ مُـــشْتَـــرَكَةً (لا قاسمًا واحـــدًا) .. فهو حسنٌ أيضا .

فإن انتهى من ذلك ، فليقوّمْ جُهدَه بتحريرات العلماء في بيـــانِ مقاصـــدِ السُّوَرِ ، وقد خُصّ هذا النوع من أنواع علوم القرآن بالتأليف المفرد من عـــالمٍ واحد ، هو : برهان الدين البِقاعي (ت٨٨٥هـ) في كتـــاب (مـــصاعد النظـــر للإشراف على مقاصد السور). كما اعتنى به عددٌ من المفسرين في تفاسيرهم،

(١) انظر كتاب : (المكي والمدني في القرآن الكريم ، دراسة تأصيليّة نقدية للسور والآيات مـــن أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء) لعبد الرزاق حسين أحمد . وأكمل مشروعه الدكتور محمد الفـــالح في رسالته (تحرير القول في السور والآيات المكية والمدنية من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس) .

ومنهم من السابقين : الفـيروزبادي (ت٨١٧هـ) في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)[١]. وممن اعتنى بمقاصد السور من المعاصرين: الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير) ، وسيّد قطب (ت١٣٨٧هـ) في كتابه (في ظلال القرآن) .

٥- سياق الآيات المدروسة خاصة ، وهو موضوعها الخاص الـذي تتناولـه بالتحديد . ويُـدرَكُ ذلك من خلال التأمل في الآيات القريبة والمحيطة بالآيات موضوعِ الدراسة ، وهي الآيات التي قبلها والتي بعدها مباشرة . وهـو أهـم السياقات (مع السياق التالي) ، لكونه أقوى السياقات أثرًا على الكـلام ، إلى درجة قدرته أحيانا على تخصيص اللفظ العام وتقييد مطلقه[٢] .

وسنؤجلُ تقويمَ هذا الاجتهادِ إلى آخر خطوة ، لأن تقويمه يحتاج إلى الانتهاء من التفسير بكل مراحله !

٦- سياق الآية الواحدة ، وهو معرفة علاقتها بالآية السابقة والآية اللاحِقة، وهو ما يسمّيه العلماءُ بعلم مناسبات الآيات . فإنه إن كان للسياقِ القريبِ

٧- ذلك الأثرُ القويُّ المنوَّهُ به آنفًا ، فكيف ستكون قوةُ أقربِ السياقات على الإطلاق، وهو سياقُ السِّباقِ واللحاق ؟!

واستخراج المناسبة بين الآية والآية يحتاج في هذه المرحلة الأُولى مـن مراحل التفسير أن تتأكد من درجة تأثير الآية السابقة والآية اللاحقة علـى

---

(١) وقد جمع الدكتور أيمن الشوّا ما ذكره الفيروزبادي في تفسيره عن هذا الموضوع في جزءٍ مستقل مطبوع باسم : (مقاصد سور القرآن) .

(٢) انظر : الرسالة للإمام الشافعي (٦٢-٦٣ رقـم٢٠٨-٢١١) ، والبحـر المحـيط للزركـشي (٣/٣٨٠-٣٨١) .

دلالة الآية الواقعةِ بينهما المقصودةِ بالدراسة .

ولا أنصح بتقويم هذا الاجتهاد الآن ، كما قلتُ في السابق ؛ لكي لا تــزول خصوبةُ اجتهادِ الدارسِ وعُذْرِيَّةُ تَفَهُّمِه المقصودتان في هذه الخُطة أصالةً ؛ لأنه بالاطلاع على اجتهادات أهل العلم سيتلقّاها الدارسُ عنهم دون إعمالِه التامّ لذهنه ، فلا تتكوّنُ ملكتُه بذلك على الوجه الصحيح الكامل[1] .

فعليه أن لا ينسى تعميقَ وتقويمَ إدراكِ مناسبات الآيات ببعــضها **بعــد الوصول إلى آخر خطوة**، بالرجوع إلى كتب أهل العلم المعتنيــة بــذلك . وعلى رأسها كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الــدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، ثم عموم كتب التفسير ، وخاصة (التفــسير الكــبير) لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) .

كما أن على الدارسِ مراعاةَ مفاصلِ الآيةِ الواحدة ، وأن يُعيِّنَ تمامَ أركانِ الجُــمَلِ فيها ، وهو ما يُسمِّيه العلماء بــ(علم الوقف والابتداء). ويتم ذلك من خلال فهمه للآية ، وإدراكه لعلاقة مقاطعها ببعض . فليلحظْ هذا الباب ، ولا يكتفي بعلامات الوقف الموجودة في المصحف ؛ لأنها اجتهادات للعلمــاء مبنية على فهمهم للآيات .

ولا ترجع في هذه الخطوة إلى كتب الوقف ولابتداء ؛ لأنها تتضمن فهمــا وتفسيرا نريدك أن تصل إليه بجهدك الخاص ، ولكن يحسن الرجوع إليها بعــد بلوغك آخر الخطوات . ولا بأس أن ترجع إليها في غير الآيــات المدروســة ؛ لتعرف منهجَ هذه الكتب وفكرةَ التأليف فيها . ومن هذه الكتــب: (إيــضاح

(١) أي : وَفق هذه الخطة .

الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) لأبي القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، و(القطع والائتناف) لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، و(المكتفى في الوقف والابتدا) لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) ، و(الوقف والابتداء) لأبي عبدالله السَّجاوندي (ت٥٦٠هـ) .

ثم لا يتجاوز كل آية إلا بعد أن يكون قد قرَّر معناها عنده بكل وضوح، وعليه أن يكتب هذا المعنى الأوّليَّ الذي توصّل إليه بجهده الخاص والخالص .

وليتذكّر الدارسُ أنه لن يأثم بهذه المحاولة ، حتى لو أخطأ ، ولو كان خطأه فاحشًا ؛ لأن مقصود القائمِ بهذه المحاولة هو أن تصل به في النهاية إلى فهم الآية الفهمَ الصحيح ، ولأنه مدرِكٌ بأنه في أُولى مراحل هذا الفهم . كما أنه يجب أن يكون صادقًا في مواجهة نفسه ، جريئًا في اعترافه بينه وبينها بخطئه الذي سيكتشفه (ولا بدّ) في بقية خطوات دراسته[1].

الخطوة الرابعة : السعيُ إلى التفسير اللغوي الصِّرْفِ للآية .

والمقصود بالتفسير اللغوي : الوصول إلى الدلالة اللغوية للآية ، وفهمها وَفْقَ معناها في لغة العرب وحدها ، دون الاستعانة ببقية أركان الفهم الكامل للآية[2] .

وهذه الخطوة تمرُّ بمراحل عِدّة :

فالمرحلة الأولى : تحديد الكلمات التي يُحتاج إلى دراستها لُغويًّا، وهي

(١) انظر الكلام البديع عن الهوى الخفيّ للنفس ، في كتاب التنكيل للمعلّمي (٢/١٩٧-١٩٨) .

(٢) اختار الدكتور مساعد الطيار في رسالته للدكتوراه (التفسير اللغوي للقرآن الكريم) تعريفًا للتفسير اللغوي (صـ ٣٨) ، هو: «بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب» .

كل كلمة لم يكن إدراك معناها اللغوي بدهيًّا لدى الدارس . فالماء والهواء والجبل والشجر ألفاظ لا يجهلها إلا غير العربي إلى اليوم ، فهذه لا نحتاج إلى دراستها غالبًا ؛ لشدة وضوح معناها . وإن كان الحذرُ واجبًا حتى مع أمثال هذه الألفاظ ؛ إذ قد يكون لها معنى آخر سوى ذلك المتبادر إلى الذهن ، ولو كان الأصل بُعدَه . ويعرف وجوبَ تأكيدِ هذا التحذير كلٌّ من عرف سعة لغة العرب ، ومن عرف بُعدَنا الكبير عن معينها الثرّ .

وبعد تعيين تلك الكلمات التي تحتاج أن تُدرس ، بناءً على سبب الاختيار المذكور آنفًا، ننتقل إلى :

المرحلة الثانية : محاولة معرفة أصلِ المعنى اللغوي للكلمة ، وهو المعنى الذي انبثقت منه بقية معانيها الأخرى ، أو المعنى الذي تجتمع في أصله كل معانيها المستعارة .

وأهمية هذا الإدراك للمعنى الأصلي للكلمة تأتي من جهاتٍ عدّة ، منها :

أنه يُعمِّقُ فهمَنا للكلمة العربية ، ليعيننا هذا العمقُ على إدراك معناها المستعار في سياقها الذي جاءت فيه إدراكًا دقيقًا . وهذا الإدراك الدقيقُ للمعنى اللغوي للكلمة هو الأداة الصحيحة لمعرفة الصواب في معناها ولترجيحه في ذلك السياق الخاص على غيره من المعاني المشتقّة لها ، وسيكون من أكبر ما يُعِينُ على معرفة الراجح عند اختلاف العلماء فيها .

كما أن ذلك الإدراك العميق للمعنى الأصلي للكلمة مفتاحٌ مهمٌّ من مفاتيح المناقشةِ والمخالَفةِ العلمية والترجيحِ في باب اللغة ، وفي باب بيان المعاني اللغوية للكلمة بالأخص ، ذلك الباب الذي يظن كثيرٌ من الباحثين أنه مطلقًا بابُ تَلَقٍّ كامل وتقليدٍ محض ، وأنه لا مجال البتّة للاجتهاد فيه ، غافلين عن أن بعضَ

الاختلافِ الحقيقيِّ الذي وقع بين اللغويين وأئمة العربية في هذا الباب نفسه ، وأن ما جرى لهم من تخطيء بعضهم بعضًا في ذلك ، والذي قد يصل إلى حدّ التهمة في صحة النقل = يدل ذلك كله على أنهم ربما اجتهدوا في تفسير اللفظة العربية ، وأن تفسيرهم للألفاظ ليس كله نقلا عن العرب المحتَجِّ بلغتهم، بل إنهم ربما اجتهدوا فوقع منهم الخطأ في اجتهادهم[1]. وهذا كله

(١) وهذا أمرٌ مشهور معلوم ، فليس كل ما فسّره أئمة اللغة من معاني الكلمات مأخوذًا عن العرب المحتَجِّ بلغتهم ، بل منه ما يستنبطونه بالاجتهاد . ومن ذلك قول أبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة (٣١/١) عن ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) : «وما رأيتُ أحدًا يدفعه عن الصدق فيما يرويه عن أبي حاتم السجزي والعباس بن الفرج الرِّياشي ، وأبي سعيد المكفوف البغدادي . فأما ما يستبدُّ في برأيٍ **من معنى غامضٍ** أو حرفٍ من علل التصريف والنحو مشكل ، **أو حرفٍ غريب** ، فإنه ربما زلَّ فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة . **وألفيتُه يحدسُ بالظنّ فيما لا يعرفه ولا يحسنه...**» ، إلى آخر نقده لغير ابن قتيبة من المصنفين في اللغة وبيان الغريب ، كما فيه (٣٤/١-٤٠) .

وذكر ابن فارس (٣٩٥هـ) في كتابه الصاحبي (٥٨) قول من قال :«ولو جاءنا جميعُ ما قاله العرب لجاءنا شعرٌ كثير وكلامٌ كثير» ، ثم أتبعه بقوله : «وأحرِ بهذا القول أن يكون صحيحًا ؛ لأنا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب ، **فلا يكاد واحدٌ منهم يُخبرُ عن حقيقة ما خُولِفَ فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان** » .

وكم صنّف العلماء كتبا في بيان خطأ من أخطأ من أئمة اللغة في تفسير بعض الكلمات ، فانظر كتاب (معجم المعاجم) لأحمد الشرقاوي إقبال (٨٦ ، ٢١٠-٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٧،٢٣٨ ، ٢٤٨ وغيرها) .

ومن ذلك كتاب ابن قتيبة (إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد) ، وفي بعضه تخطيءٌ منه لأبي عبيد في ذكره معنى كلمةٍ من غريب اللغة ، كما فيه (رقم ٣٠ ، ٣٩ ، ٥٠) .

وكذلك كتاب (التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف **وخطأٌ في تفسيرها ومعانيها** وتحريفٌ في كتاب الغريبين) لأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي (ت٥٥٠هـ) ، وهو معنيٌّ بكتاب (الغريبين) لأبي عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي (ت٤٠١هـ)، ويظهر من عنوان الكتاب : أنه استدرك عليه فيه أخطاءه في تفسير الألفاظ وبيان المعاني . وذكر في مقدمته (١١٦-١١٨) طائفةً من كُتُبِ رُدود علماءِ اللغة بعضهم على بعض . =

يُوجِبُ على المتأخِّر الترجيحَ بين أقوالهم بالدليل العلمي ، وهــذا التــرجيح دخولٌ في اجتهادات هذا الباب ، وهذا هو الذي يدل على أن الاجتــهاد في باب تفسير اللفظة اللغوية لم يُغلق بالكلية ، بل ما زال فيه مجال للاجتهاد[1] .

وقد نصَّ على أحقّيّة المتأخرين من أهل العلم بأن يجتهدوا في تقرير معاني المفردات العربية، ولو بمخالَفة أحد أئمة اللغة المصنِّفين، وهو ما قررتُه آنفًا = تقيُّ الدين السبكي (ت٧٥٦هـ)، في كتابه (إبراز الحِكَم من حــديث: رُفِــع القلم)، حيث قال فيه : « واعلم أن الجوهريَّ وغيرَه من المصنِّــفين في اللغة إذا نقلوا نقلًا أخذناه مُسَلَّمًا مقبولاً، وإذا تصرّفوا وعلّلوا نظرنا في كلامهــم، كغيرهم من المصنِّــفين في العلوم »[2].

وهنا تأتي أهمية التفقّه في معنى الكلمة الأصلي ؛ لأن ذلك أحد أوائــل

= وبين يدي الآن كتابٌ طُبِع مؤخرًا ، هو: (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري مــن الــوهم) للــصفدي (ت٧٦٤هـ) . ومما جاء فيه :

– (٤٦) : «قال الجوهري : البراء : أوّل ليلة من الشهر . وقد وهم في هذا ، قال ابن قتيبة : البراء آخــر ليلة من الشهر » ،

– (٨١) : «قال الجوهري : الخِصاب : النخل الكثير الحمل ، والواحدة خَصْبَة . قلتُ : الخِصاب : نخلُ الدَّقَل ، قال الفراء والمؤرج السدوسي : والدَّقَل : أردأ التمر» .

– (٨٢):«قال الجوهري:والدبدبةُ ضربٌ من الصوت.قلتُ هذا ما صحّفه، والصواب: الدندنة بنونين » .

(١) لا شك أن الطالب المبتدئ لن تكون عنده أهلية الدخول في هذه الأعماق ، لكن لا بُدّ من سعيه إلى تحصيل أهليتها ، من خلال المبادرة إلى الاجتهاد المصوَّبِ بكلام الأئمة ، ومــع اســتمراره في التحــصيل العلمي مدى الحياة . فلن يخسر هذا الطالبُ شيئًا ، ولن يقع في محظور ، إن بدأ في ذلك من بداية مراحله التدريبية ، مادام مدركًا لكونه متدرِّبًا فقط ، وما دام حريصًا على تصويب اجتهاده بكلام أئمة الفن .

(٢) إبراز الحِكَم لتقي الدين السبكي (٣٧) .

أدوات الاجتهاد في هذا الباب .

وإدراك الباحث المتأخر للمعنى الأصلي للكلمة باجتهاده (دون تقليد أو اتباع) قد يمكن لبعض ذوي الأهلية من الباحثين ، لكنه ليس ممكنًا لكل أحد ؛ ولذلك فإننا في هذه المرحلة نكتفي من الباحث بأن يعتمد في معرفة المعنى الأصلي للكلمة على المعنى الذي ذكره أحد أئمة اللغة . وأجلُّ كتابٍ في ذلك، بل ينفرد بالتخصُّصِ في هذا الباب : معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت٣٩٥هـ) . فهو أصلُ هذا الباب، وإمامُ هذا الفنِّ من فنون العربية الكبرى.

وبعد أن عرفتُ المعنى الأصلي للكلمة بكل دقة ، أنتقل إلى :

المرحلة الثالثة : حصر المعاني الفرعية والمشتقة لتلك الكلمة المدروسة ، وذلك من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة عمومًا ، كـ(لسان العرب) لابن منظور ، و(تاج العروس) للزَّبيدي ، والمعاجم الأصيلة خصوصًا ، كـ(الصحاح) للجوهري ، و(تهذيب اللغة) للأزهري ، و(مجمل اللغة) لابن فارس . مع الاهتمام بأصول هذه المعاجم من كتب المتقدمين ، كـ(الغريب المصنَّف) لأبي عبيد القاسم بن سلام .

ويُستحسن أن أراجع أيضًا كتب بيان الفروق الدقيقة بين المترادفات اللغوية، كـ(فقه اللغة) للثعالبي ، و(الفروق) لأبي هلال العسكري .

ثم أتأمّل تلك المعاني الفرعية تأمُّلاً دقيقًا، لكي أُحدِّدَ منها المعنى المناسب للآية وَفْقَ سياقِها.

فإذا ما حدَّدْتُ المعنى المراد من الكلمة في الآية ، عدتُ إلى المعنى الذي كنتُ قد اجتهدتُ في الوصول إليه في الخطوة الثانية ؛ لأُوازِنَ بين المعنيين اللذين توصّلتُ إليهما : هل اتّحدا ؟ أم اختلفا ؟ وما درجة الاختلاف ؟ وما أسبابه ؟

هل كانت العجلة في التأمّل هي السبب ؟ أم ماذا ؟ عليّ أن أتفحّصَ ذلك بعمق وموضوعيّة ، وأن أستفيد من أخطائي ومن إصابتي : بالحذر من أسباب الخطأ ، ولُزوم أسباب الإصابة .

فإذا انتهيتُ من هذه المرحلة ، انتقلتُ إلى :

المرحلة الرابعة : التأكد من صحة المعنى الفرعي للكلمة الذي كنتُ قد رشّحتُه في المرحلة السابقة للآية محلِّ الدراسة حسبَ سياقها.

ويتمُّ هذا التأكد من خلال الرجوع إلى كتب (غريب القرآن) أولا، وكتب (الوجوه والنظائر) ثانيًا . وأهم كتب غريب القرآن : (المفردات) للراغب الأصبهاني ، و(عمدة الحفاظ) للسمين الحلبي . ومن كتبه القديمة المهمة (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، و(غريب القرآن) لابن قتيبة . وأهم كتب الوجوه والنظائر : (الأشباه والنظائر) لمقاتل بن سليمان ، و(التصاريف) ليحيى بن سلام ، و(نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) لابن الجوزي .

وتمتاز هذه الكتب بمميزات عديدة ، منها مما يفيدنا في هذا المجال : أنها تحصر المعاني الفرعية للفظة الواردة في القرآن خاصة ، وتبيّن الآيات (أو بعضها) التي وردَ فيها كل معنى من تلك المعاني . كما أنها تُوقِفُ القارئ على المصطلحات الشرعية ومعانيها ، والألفاظ القرآنية واستعمالاتها .

فإن قيل : لماذا لم نرجع إلى هذه الكتب ابتداءً ؟ فالجواب : هو أننا في هذه الخُطّة جميعها نريد تكوين الملكة ، وتكوين المَلَكَةِ لا يأتي بمجرّد التلقّي ، بل لا بدّ لتكوينها من اجتهادٍ مُصَوَّب، يُوصِلُ إلى معرفة وسائل إصابة الحقّ ، والصوارف عنه ؛ ليُعتَصَمَ بالأولى، وتُجتَنَبَ الأخرى . كما أن السير على

هذه الخطة ، وما تُــكْسِبُهُ من مَلَكَةٍ ، وما تُعمِّقُ به إدراكَ معنى الكلمة لدى الباحث ، هي التي ستمكّنه من الترجيح المبني على المنهج العلمي الصحيح بين أقوال أصحاب تلك المصنفات .. إذا ما اختلفوا فيها ، أو تمكّنه من الترجيح بين الاحتمالات التي يُوردها الواحدُ منهم لمعنى الكلمة في الآية الواحدة دون بيانه للرأي المُـــختار منها .

وبنهاية هذه المرحلة أكون قد حدّدتُ المعنى اللغوي لكل كلمة واردة في الآية ، لأنتقل بعدها إلى :

المرحلة الخامسة : تفسير الآية بحسب ما تقتضيه لغة العــرب وحــدها، باجتهادي الخاص ، بعد أن حدّدتُ معنى كل مفردة من مفردات الآية . فأقوم بالربط بين تلك المفردات جميعها ؛ لتقييد المعنى اللغوي للآية كاملةً، فأصــوغ معناها بالصياغة التي أراها توضِّحه لفهمي ولفهم أهل زمني .

وأكتب هذا المعنى ، ثم أزنه بالمعنى الذي قيّدته أيضًا في الخطــوة الثانيــة؛ للغرض نفسه الذي ذكرناه آنفًا من هذه الموازنة . وهذا هو الشأن عند الانتقال من كل مرحلة إلى أخرى ، كما سبق .

وهنا أنتهي إلى آخر مراحل هذه الخطوة ، وهي :

المرحلة السادسة : التأكّد من صحة تفسيري اللغوي للآية ، بالرجوع إلى كتب التفسير اللغوي. من أمثال : (معاني القرآن) للفرّاء ، و(معاني القــرآن) للزجّاج ، (ومعاني القرآن) لأبي جعفر النحّاس .

وسبب عدم البَدَاءِ بها :هو سبب عدم البداء بكتب غريب القرآن الــذي بيّــنّاه من قبل ، وفائدته : هي فائدته !

وهذه المرحلة هي آخر الخطوة الرابعة ، لأصل بعدها إلى :

الخطوة الخامسة: تفسير الآية بالمنقول، من:القرآن،والسنة،وأقوال السلف.

فبعد أن فسّرتَ الآية بمقتضى لغة العرب وحدها ، لا بُدّ من أن تتثبّت من صحّة ذلك التفسير ، بالرجوع إلى الأَوْلى بمعرفة معنى الآية . ولا شكّ أن الآية هي أَولى ما تُفَسَّرُ به الآية ؛ إذ إن أحقّ كلامٍ بيَّنَ مرادَ صاحبِه كلامُ صاحبه نفسه . كما أن رسول الله ﷺ أعلم بمراد ربه عزّ وجلّ من جميع الثقلين ؛ فهو الذي نزل القرآنُ عليه ، وأُمر بتبليغ ألفاظه ومعانيه ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤] .

وأما السلف: فإن كانوا من الصحابة: فلا يخرج تفسيرهم عن أحد حالين: أن يكون منقولا عن رسول الله ﷺ (وماذا نريد فوقه حينها؟!) ، أو اجتهادا منهم ، وهم حينها أولى من اجتهد فأصاب ؛ لأن الاجتهاد في التفسير مرجعه إلى اللغة ، وهم (رضي الله عنهم) أصحاب اللغة ؛ ولذلك كان الصحابةُ رضي الله عنهم أكملَ الناس في اجتماع آلة الاجتهاد الصحيح فيهم. وأما التابعون وتابعوهم فقد تلقّوا عمن سبقهم علمَهم ، وجاء النص بتفضيلهم « **خيركم قرني، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** »[١]. لذلك كله لم يَجُزْ أن أتجاوزَ التفسيرَ المنقولَ ، بل لا تفسيرَ إلا بعد الاحتكامِ إليه .

ومن أسباب وجوب الاحتكام إلى التفسير المنقول : أن لغة العرب من السعة إلى حدّ أنه لا يمكن أن يحويها أحدٌ بقدرةٍ بشريةٍ[٢]، فاحتمال الخطأ في

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٦١٥ ،٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥) ، ومسلم (رقم ٢٥٣٣) .

(٢) وهذا هو مراد الإمام الشافعي عندما قال : « ولسانُ العربِ أوسعُ الألْسِنَةِ مَذْهَبًا، وأكثرُها ألفاظًا ، ولا نعلمه يُحيطُ بجميع عِلْمِهِ إنسانٌ غيرُ نبيٍّ !! »، الرسالة: (٤٢ رقم ١٣٨). وانظر تعليق =

التفسير اللغوي واردٌ حتى من كبار أئمة اللغة ، فلا بد له من تصحيح نتائجه بالتفسير المنقول . كما أن القرآن الكريم من أعظم خصائصه أنه يحتمل وجوهًا عديدةً من المعاني ، قد يصح حَمْلُ الآية عليها جميعِها ، أو على بعضها دون بعضها الآخر ، أو لا يصح منها إلا وجهٌ واحد فقط ؛ وكثيرًا ما يحدِّدُ التفسيرُ المنقولُ ذلك المعنى أو تلك المعاني المُرَادة ، ويُبعدُ المعانيَ غيرَ المرادة .

وفي هذه الخطوة سوف أخرج منها بواحدٍ من احتمالات ثلاثة ، بالنظر إلى تفسيري اللغوي الذي انتهيتُ إليه في الخطوة السابقة مسبورًا بالتفسير المنقول:

فالاحتمال الأول : أن يتّضحَ لك خطأ تفسيرك اللغوي ؛ لمنافاته أو إبطاله للتفسير المُحتَجِّ به من التفسير المنقول . وحينها يجب عليك أن تصحّحَ خطأك ، وأن تستفيد من أسباب الخطأ ، كما شرحناه لك .

وأنبّه هنا : على أننا عندما نقرّرُ احتمالَ إسقاطِ التفسير المنقول للتفسير اللغوي ، فلا يعني هذا التقرير أن التفسير المنقول خارجٌ عن التفسير اللغوي ، بل هو ذروة سنامه ؛ ولذلك قدّمناه .

والثاني : أن يتّضح لك أن تفسيرك اللغوي صحيحٌ ؛ لموافقته ومطابقته للتفسير المنقول. وحينها تمسّك بصوابك، وتشبّث بالمنهج الذي أوصلك إليه.

والثالث : أن يتّضح لك أن تفسيرك اللغوي مُغايِرٌ للتفسير المنقول؛ لكنه لا ينافيه ولا يُبطله. وحينها يُحتمَلُ أن يكون المعنى اللغويُّ صحيحًا مع

= ابن فارس على هذه العبارة وعلى هذا الموضوع في كتابه الصاحبي (٢٦-٢٧) .

المعنى الوارد في التفسير المنقول ، فتُحْمَلُ الآية على المعنيينِ كليهما[1] . ويحتمل أن يكون المعنى اللغوي مع قبوله لغةً ، إلا أن التفسير المنقول أظهر أنــه معــنىً مرجوحٌ أو غيرُ مرادٍ في الآية .

ويظهر هنا : أن التفسير المنقول لا ينحصر أثره في تقــويم عملــي بــين التخطيء والتصويب للتفسير اللغوي ، كما كان الحال في مــسيرة خطواتنــا ومراحلها السابقة ، بل هناك (في هذه الخطوة خاصة) احتمــالٌ ثالــثٌ؛ لأن التفسير المنقول قد يضيف إلى التفسير اللغوي معنى جديدًا .

وهذه الخطوة تتفرّعُ إلى ثلاثة فروع ، وهي :

الفرع الأول : تفسير القرآنِ بالقرآن . فالكلام كلام الله ، وهو تعالى أعلم، وفهم كلامه بكلامه أوجب وأحكم .

لكن علاقة الآية بالآية في تفسيرها لمعناها مختلِفةٌ مراتبُهُ ، باختلاف قــوّة ظهور علاقة الآية بالآية ، وبتباين وضوح هذه العلاقة في بيان مراد الله تعالى . ومع أهمية محاولة استنباط التفسير القرآني كله ، الظاهرِ منه والخفي ، وتقليــل الفوات منه ما أمكن ؛ إلا أن الذي لا ينبغي فواتُه ، ولا يصح أن يُــغْفَلَ عنــه

(١) ومن أمثلة ذلك : تفسير قوله تعالى ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[محمد : ٦]. جاء عن السلف تفسير (عرّفَها) من المعرفة، وأن المؤمن يعرف منزله وأهله في الجنة. وذهب بعض أهل اللغة أن (عرّفَهــا) مــن قولهم : طعامٌ مُعَرَّف ، أي مُطَــيَّب، والمعنى : طيّبها لهم . فالمعنى الثاني لا يبطل الأول ، وإن كان مختلفًــا عنه . فيمكن قبول التفسير اللغوي مع التفسير المأثور ، ولا يلزم ردّ اللغوي في هذه الحالة .

انظر:تفسير عبد الرزاق (٢/٢٢١-٢٢٢)، وتفسير الطــبري (٢١/١٩١-١٩٢)، والــدر المنثــور للسيوطي (١٣/٣٥٩-٣٦٠). وانظر : غريب الحديث للحربي (١/١٨٩)، وغريب القرآن لابــن قتيبــة (٤٠٩-٤١٠). والمثال مستفادٌ من كتاب التفسير اللغوي للدكتور مساعد الطيار (٦٣١-٦٣٢) .

خاصة ، هو التفسير القرآني الظاهر ، الذي تتضح فيه علاقة الآية بالآية غايةَ الوضوح ؛ لا لأن الغفلة عنه أقبح من الغفلة عن التفسير القرآني الخفي .. فقط، ولكن أيضًا: لأن درجةَ حجيّته في التفسير أقوى ، والالتزامَ ببيانه أوجب .

ومن هنا يتبيّنُ أن إطلاقَ القول بتقديم تفسير القرآن للقرآن على غيره من مصادر التفسير ومآخذه ليس صحيحًا ؛ إلا بقيد التفسير القرآني الظاهر ، الذي تكون فيه علاقة تفسير الآية للآية علاقةً واضحة. وأما ما كان دون ذلك ، فيُنظر إلى مايخالفه (سواء أكان تفسيرًا نقليًّا أو لغويًّا) فيُقَدَّم الأرجح والأقوى .

ولاستخراج التفسير القرآني مراحل :

الأولى : استخراج الآيات ذات العلاقة بآيات الدَّرْس من كتاب الله العزيز بالجُهد الذاتي الخالص . إما من خلال قراءة القرآن كاملا ، وإما من خلال استعراض الآيات التي تقترب في موضوعها من موضوع الآيات التي أدرسها : إما بالاستعراض الذهني لمن كان ذا حافظةٍ جيدةٍ لكتاب الله العزيز واستحضارٍ قويٍّ لآياته الكريمة ، أومن خلال الاستعانة بالفهارس الموضوعية للآيات ، المؤلفة حديثًا؛ حيث إن الآيات التي يفسِّرُ بعضُها بعضًا يغلب أن تكون في سياق موضوعٍ متّحدٍ .

الثانية : الاستعانة بالجهود المتفرّقة لأهل العلم التي تتضمّنُ جمْعَ النظيرِ إلى نظيرِهِ من الآيات .

ويأتي في رأس هذه الجهود (غير المختصّة بتفسير القرآن بالقرآن) : كتب مشكل القرآن : كـ(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، و(فوائد في

مشكل القرآن) للعزّ بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ) ، وغيرها من الكتب القديمة ، والحديثة كـ(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للأمين الشنقيطي (ت١٣٩٢هـ) . حيث إن ذِكْرَ المتعارض في الظاهر من الآيات (وهذا هو المقصود الأكبر من متشابه القرآن هنا) ، وبيانَ عدمِ وُقُوعِ التعارضِ في باطن الأمر وواقعه = هو تفسيرٌ للقرآن بالقرآن في حقيقته! كما أن هذا السياق لا يخلو من ذكر الآيات العديدة التي تدل على المعاني التي يبينها مؤلفُ الكتاب .

كما أن كتب الناسخ والمنسوخ نافعةٌ أيضا في معرفة الآيات ذات العلاقة؛ لكن ينبغي أن لا ترجع في هذه الخطوة إلى كتب الناسخ والمنسوخ إلا لجمع الآيات فقط ، دون معرفة رأي مؤلف الكتاب في توجيهه إشكالَ التعارضِ بين الآيات التي قيل فيها بنسخ بعضها لبعض، وهل أيّدَ القول بالنسخ أم أيّدَ الجمع ؛ لأن الجمعَ بين الآيات المتعارضة والعجزَ عنه مطلبٌ مهمٌّ لاجتهادك ولتكوين ملكتك ، فلا ينبغي أن تقفز عليه بتلقّنه عن غيرك في هذه المرحلة . أما معرفة النسخ من عدمه فمرحلة قادمة ، لأنه من وجوه إفادة السنة الضرورية في تفسير القرآن.

ومن هذه الجهود : كتبُ العلم الموضوعية ، التي تَعْرِضُ لكل موضوع قرآني بتوسع . فمثلًا : كتب الفقه التي تحرص على الاستكثار من الاستدلال ، كثيرا ما تورد الآيات العديدة الدالّة على حُكْمٍ فقهيٍّ . وكذلك كتب العقائد، فإن مرت بي آية تتحدثُ عن مسألة عَقَديّة، رجعتُ إلى كتب المعتقد ، وإلى باب تلك المسألة فيها . وإذا كانت المسألة متعلّقةً بالزهد وتزكية النفوس، رجعت إلى الكتب المؤلفةِ في ذلك. مع الحذر من غُلُوِّ بعضِ تلك الكتب في إلحاق الآية بالآية ، أو في تحميلها معنًى لا تحتمله ؛ إلا على وجهِ

قياس معنى على معنى ، أو من باب : «الشيء بالشيء يُـذكر» ، وهي سِـمَةٌ معروفةٌ في التفسير الإشاري الصوفي .

ومن هذه الجهود أيضًا : كتبُ أحكام القرآن ؛ لأنها كتبٌ تُـعنَى بالآيات التي تختصُّ ببيان الأحكام ، ولذلك فإنها ستحرص على استيعاب الآيات الدالّـة على كل حُكـمٍ مـن الأحكـام . كـ(أحكـام القـرآن) لأبي جعفـر الطحاوي(ت٣٢١هـ)، و(أحكام القرآن) لأبي بكر الرازي الجـصاص (ت٣٧٠هـ)، و(أحكام القرآن) لأبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ)، و(الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ).

وخلال هذه المرحلة قوِّمْ جهدَك الذي قمتَ به في المرحلة السابقة ، لتقف على سبب فَوَاتِ الآياتِ المفسِّرةِ عليك أثناءَ اجتهادك المحض ، ولربّما وقفـتَ على فواتٍ على من سبقك من أهل العلم ، فيستدركه عليه عالمٌ آخر . فحدِّدْ من خلال هذا التقويم أسبابَ الاستيعاب ، وتمسَّكْ بها، وحدّد أسباب الفوات ، واحذرها .

الثالثة : الرجوع إلى كتب التفسير عموما ، وإلى تلك التي اعتنت عنايةً واضحةً بتفسير القرآن للقرآن خصوصا ، كـ(تفسير القرآن العظيم) لابـن كثير (ت٧٧٤هـ) ، والتي تخصّصت في هذا الباب ، كـ(أضـواء البيـان) للشنقيطي (ت١٣٩٢هـ) .

ويدخل في هذه المرحلة : الرجوع إلى كتب التفسير الموضوعي العصريّة، إذا كان أحدها قد تناول موضوعَ آياتِ دراستك .

واحرص على أن تقتصر في استفادتك من هذه الكتب في هذه المرحلـة على جمع الآيات فقط، لتقوم أنت بإيجاد وجه البيان في الآية للآية وإيـضاح

كيفيّة تفسيرها لها ، دون أن تستفيد ذلك من تلك الكتب . فالوقوف على الآية المفسِّرة بجهدك الخالص وإن كان مطلبًا من مطالب تكوين الملكة ، لكن الوقوفَ عليها فرعُ العلمِ بوجهِ دلالتِها على التفسيرِ والبيان . فإن فاتك الوقوفُ على الآية بجهدك ، فلا يفوتنّك جُهْدٌ آخر ، هو: جهدُ الوقوفِ على وجهِ دلالتِها على التفسير ؛ فإن جهدَك الثاني هو المقصود الأكبر لإيقاظ الحِس التفسيريّ لديك؛ ولذلك نلفت انتباهَك إلى ضرورة عدم فوات فرصته عليك.

الرابعة : الرجوع إلى كتب القراءات ؛ حيث إن من أعظم وجوه إفادةِ القراءات الثابتة العديدة للآية الواحدة التفسيرَ والبيانَ . فلربما أوضحت قراءةٌ لآية معناها الخفيَّ في قراءةٍ أخرى لها، ولربما أوضحت كلُّ قراءةٍ من القراءتين معنى الأخرى أو أتمّته.

فعلى الدارس أن يراجع كتب القراءات التي تضم القراءات الثابتة[1]، والخالية من توجيهها، لكي ينظر في مدى إفادة القراءات في فهم الآية.

وعليه أن يؤخر الرجوع إلى كتب توجيه القراءات إلى آخر مرحلة؛ لكي لا يتلقّن منها ما يؤثر في انطلاقة اجتهاده . ومن أهم هذه الكتب: (الحجة للقراء السبعة) لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) ، و(المحتسب) لابن جني (ت٣٩٢هـ) ، و(الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) .

وبذلك نكون قد انتهينا من الفرع الأول من فروع التفسير بالمنقول ، وهو تفسير القرآن بالقرآن ، لنصل إلى الحديث عن :

(١) ومن أيسرها كتاب (القراءات العشر المتواترة) للشيخ محمد كريّم راجح .

الفرع الثاني : تفسير القرآن بسنة النبي ﷺ . لم يكن ليصحّ أن يتخلّف أحدٌ من أهل التفسير عن ذكر هذا المصدر من مصادر التفسير ؛ لأنه لا شكَّ في أن النبي ﷺ أعلم الثقلين بمراد الله تعالى ، وأن إحدى أعظم مهامِّ نبوته بيانُ معاني كلام الله سبحانه ، وأنه ﷺ أدّاها على أكمل وجه . فكان من أوجب الواجبات على المفسِّر أن يحتكم في تفسيره إلى تفسير النبي ﷺ ، فيكون التفسيرُ النبويُّ هو مقياسَ إصابته وخطأه :

(١) فما ضادّه التفسيرُ النبوي وأبطله فهو الباطل المردود ، ولا يجوز أن يُفَسَّر به كتاب الله العزيز .(٢) وما وافقه فهو الحق الذي لا شك فيه.(٣) وما لم يوافقه ولم يضادّه فتُحتَمَلُ فيه الصحة ، فيكون صحيحًا مع التفسير النبوي، ويُحتمل فيه الخطأ . كما كنت قد بيّنته في بداية حديثي عن التفسير بالمنقول، وعن علاقته بالتفسير اللغوي (المعقول) .

ولتفسير السنة للقرآن الكريم وجهان معلومان :

الأول: التفسير النبوي الصريح للآية،وهو الذي يكون قصدُ بيان معنى الآية واضحًا فيه نصًّا[(١)]،أو شِبْه النص:بأن لا تُفهم الآية الفهم الصحيح إلا به[(٢)].

---

(١) كحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:«﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ **ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**» . أخرجه الإمام مسلم (رقم ١٩١٧) .

(٢) كقول ابن عُمر رضي الله عنه : «أُحلّ لنا من الميتة ميتتان ، ومن الدم دمان : من الميتة : الجراد والحوت ، ومن الدم : الكبد والطحال» .أخرجه الإمام أحمد في علله (رقم ١٠٩٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١/٢٥٤) ، موقوفًا ، وهو صوابُ الحديثِ المرفوعِ في المسند للإمام أحمد (رقم٥٧٢٣) ، وابن ماجه (رقم٣٢١٨، ٣٣١٤) ، كما بيّنَ ذلك أبو زُرعة (العلل لابن أبي حاتم : رقم ١٥٢٤) ، والدارقطني (العلل رقم :٢٢٧٧، ٣٠٣٨) ، والبيهقي (١/٢٥٤) . =

الثاني : التفسير غير الصريح ، ولا شبه الصريح . وهو عموم السنة النبويّة، من أقوالٍ وأفعالٍ وتقريرات .

ولا شك أن علاقة التفسير بالوجه الأول أقوى ، وإن كانت علاقته بالثاني لا يُمكنُ إغفالها، بل قد لا يصح فهم الآية إلا به ؛ إذ لا يجوز أن أُقرّرَ معنًى لآيةٍ يُعارض (معارضةً حقيقيةً) حديثًا نبويّا ، على غير وجه النسخ . كما أن كثيرا من مجملات القرآن لا يأتي بيانها إلا في السنة ، كبيان السنة لأحكام الصلاة والزكاة والحج وغيرها من شرائع الدين .

غير أن التوسُّعَ في تفاصيل الأحكام ، وما يكتنفها من اختلافٍ طويل، سَيَخْرُجُ بالتفسير عن مقصوده الأكبر وغايته العظمى ، وهو البيان والتوضيح للنصِّ القرآني . وإن كان النصُّ القرآنيُّ لن يستغنيَ عن تكميل السنة لإيضاح بقيّة معالم الدين ؛ لأن التفسير ليس هو الدين كله[1]، بل التفسير أحد علوم الدين ، ومن أجلِّها ، أو هو أجلّها!

وقد حرص العلماء على جَمْعِ التفسيرِ النبويِّ من الوَجْهِ الأوّل ، وهو التفسير الصريح وشِبْهُه. أما الوجه الثاني : فلما كان هو السنةَ النبويةَ كلَّها ،

= وهو مع وَقْفِه له حُكْمُ الرَّفْعِ ، لكونِ التحليل والتحريم ، وخاصة فيما يخالف ظاهرَ القرآن ، لا يكون إلا بتوقيفٍ من النبي ﷺ. وإلى ذلك أشار البيهقيُّ (١/٢٥٤) ، وابنُ عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٦٤١/٤-٦٤٣ رقم٣١٢٨) .

وعلاقة هذا الحديث بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾ ظاهرةٌ، تشمل الدلالةَ على التفسير باللفظ (بذكر الميتة والدم) وبالمعنى (بتخصيص ما ظاهره العموم في الآية) .

(١) انظر كتاب (مفهوم التفسير والتأويل) لفضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار ، فقد أكّد فيه هذا المعنى.

كان جَـــمْعُهُ مطلبًا آخر ، ولذلك فقد كان هو مصنّفاتِ السنةَ جميعَهـــا ، ولم يدخل منه في كتب التفسير إلا القليل .

غير أن هذا التفسير النبوي لا بد من التثبّت من صحة نسبته إلى النبي ﷺ ، بدراسة إسناده وتخريجه والنظر في أحكام أهل العلم فيه (إن وُجدت) ، ولا يجوز أن يُعتَمَدَ عليه اعتمادَنا على النصِّ النبوي ؛ إلا بعد التثبّت من كونه نبويًّا حقًّا . ويُمكن الاكتفاء بأحكام أهل الاختصاص ، لمن لم يكن منهم ، ولا بُـــدّ مـــن الترجيح بين أقوالهم إذا ما اختلفوا، أو تقليدِ أولاهم بالتقليد، لمن لم يعرف دليلَ الترجيحِ بين أقوالِـــهم ووَجْهَه .

وللوصول إلى تفسير القرآن بالسنة أربعُ مراحل :

المرحلة الأولى : الوقوف على التفسير المروي عن النبي ﷺ .

على أن يكون المقصود من هذه المرحلة جمعَ المرويّاتِ فقط ، دون أيِّ جهـــد إضافيٍّ آخر ، خاصة فيما يتعلق باستنباطِ وجهِ بيانِ الحديثِ للآية ؛ فهذه مرحلـــةٌ لاحقةٌ ، لا يصحُّ أن تتقدّم موضعَها ؛ لأسباب ستتضح عند مجيء ذكرها .

وطريقة الوقوف على هذا التفسير تكون بالرجوع إلى وجـــوه التـــصنيف التالية :

الأول : كتب التفسير بالمأثور المسندة : كـــ(التفـــسير) لعبـــد الـــرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)، و(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لابن جرير الطـــبري (ت٣١٠هـ)، والموجود من تفسير يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ) ، ومن تفسير عبد بن حُميد (ت٢٤٩هـ) ، ومن تفسير محمد بن إبراهيم ابن المنذر (ت٣١٨هـ) ، ومـــن (تفسير القرآن العظيم) لابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) ، ونحوها . وأغناها تفـــسيرا : كتابا الطبري وابن أبي حاتم .

الثاني :كتب التفسير الجامعة للتفسير بالمأثور غير المسندة : كـ(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، و(الدُّرّ المنثور) للسيوطي (ت٩١١هـ) . ويمتاز الأول : بسياقه أسانيد الكتب أحيانا كثيرة، وبالحكم عليها أحيانا أقل . ويمتاز الثاني : بكونه أكثر استيعابًا للمرويات . وفائدتهما فيما لا إسناد له عندهما: هو الوقوف على الوارد في الآية من التفسير المروي ، والوقوف على مصدره ولفظه ، لمحاولة تخريجه - بعد ذلك - والتثبّت من صحّته .

الثالث : كتب التفسير الواردة ضمن كتب السنة : كـ(كتاب التفسير) في صحيح البخاري (ت٢٥٦هـ) ، وصحيح مسلم (ت٢٦١هـ)، والسنن الكبرى للنسائي (ت٣٠٣هـ) ، والجامع لعبد الله بن وهب (ت١٩٧هـ) ، والسنن لسعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ) ، والمستدرك للحاكم (ت٤٠٥هـ) ونحوها .

الرابع : كتب التفسير في كتب الزوائد : ككتاب التفسير في (مجمع الزوائد) ، و(مجمع البحرين في زوائد المعجمين) ، و(بغية الباحث بزوائد مسند الحارث) ، و(موارد الظمآن من زوائد صحيح ابن حبان)، و(كشف الأستار عن زوائد مسند البزار) : خمستُها للهيثمي (ت٨٠٧هـ)، و(المطالب العالية) لابن حجر (ت٨٥٢هـ) ، و(إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) للبوصيري (ت٨٤٠هـ).

الخامسة : كتب أسباب النزول : كـ(أسباب النزول) للواحدي (ت٤٦٨هـ) ، و(العجاب في بيان الأسباب) لابن حجر (ت٨٥٢هـ) ، و(الصحيح المسند من أسباب النزول) لمقبل بن هادي الوادعي (ت١٤٢٢هـ) ، و(المحرَّر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة) للدكتور خالد المزيني ، و(الاستيعاب في بيان الأسباب) لسليم الهلالي ومحمد آل نصر .

السادسة : كتب الناسخ والمنسوخ : كـكتاب (الناسـخ والمنـسوخ في القرآن العزيز) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، و(الناسخ والمنسوخ) لأبي جعفر ابن النحّاس (ت٣٣٨هـ) ، و(عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسـخ) المطبوع باسم (ناسخ القرآن ومنسوخه) لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، و(الناسـخ والمنسوخ) لأبي بكر ابن العربي (ت٥٤٣هـ) ، ونحوها .

ومع أن عامةَ ما يَرِدُ في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ آثارٌ موقوفةٌ على الصحابة أو التابعين ، إلا أن الأصل في الإخبار بسبب النـزول وفي الإخبـار بتأخُّرِ نزول الآية الناسخة عن المنسوخة أنه نقلٌ لواقعٍ مشاهَدٍ مباشرة (كما هو الحال مع الصحابة غالبا) أو بواسطة (كما هو الحال مع التابعين) . وهذا يعني أن الإخبارَ بذلك ليس عن اجتهادٍ .. غالبًا ؛ لأن مدخلَ الاجتهاد فيها ضيّقٌ جـدًّا ومحدودُ الإمكانِ كثيرًا . ولذلك كان الذي يصحُّ منه فهو حجةً ،يجب أن يُراعى مراعاتَه الكاملةَ في التفسير . وهذا هو معنى إدخال المحدثين لهذا النوع من الآثار الموقوفة في قسم الأحاديثِ المرفوعةِ :(١) المتصلةِ المسندةِ .. إن كانت موقوفـةً على صحابي،(٢) أو المرسلةِ .. إن كانت موقوفةً على تابعي .

وكما يجب الانتباه إلى المقصود بذكر سبب النزول وإلى صِيَغِه ، يجب أيضًا الانتباه إلى سعة مدلول لفظ النسخ عند السلف عن مدلوله عنـد المتـأخرين ، ليشمل عند السلف في دلالته التخصيصَ أيضًا .

السابعة : استعراضُ مواضعِ وُرُودِ الآيات في كُتب السنة ، ولو من خلال فهارس الآيات فيها ، أو باستخدام برامج الحاسوب ، من خـلال البحـث في كتب السنة عن نصٍّ قرآني (آيةٍ أو جزءٍ منها) . فهذا العمل قد يُوقِـفُ علـى تفسيرٍ نبويٍّ واردٍ في غير مظنته من كتب السنة ، فتضيفُ بذلك على كتـب

التفسير إضافةً مهمة .

المرحلة الثانية : دراسة هذا التفسير المروي عن النبي ﷺ لتمييز صحيحه من سقيمه .

وهذا علمٌ واسع و تخصُّصٌ كبير من أعمق وأجل علوم الإسلام ، فمن لم يكن من أهله، فينبغي عليه أن يحتكم إلى أهله . وينبغي أن يكون لديه من علومهم ما يُمكّنه من الترجيح بين أدلتهم إذا اختلفوا في التصحيح والتضعيف ، ولو أن يقتصر في مقدرته على الترجيح على أن يكون قادرا على الترجيح في خلافيّاته الواضحاتِ المآخذِ .

فإذا ميّز الصحيحَ من الضعيف (بجهده أو باحتكامه لأهله) ، جعل الصحيحَ وحده منطلقَ دراسته بعد ذلك .

المرحلة الثالثة : فَهْمُ الحديثِ الثابتِ عن النبي ﷺ في التفسير ، والاجتهادُ في استنباط وجهِ بيانه للآية التي يفسرها ، دون الرجوع إلى شروح الحديث ؛ إلا عند وجود كلمة غريبة في الحديث النبوي ، فليرجعْ حينها إلى كتب غريب الحديث ، وعلى رأسها كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) لمجد الدين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) .

المرحلة الرابعة : تقويمُ فَهْمِهِ للحديث ، ومراجعةُ استنباطِه لعلاقته بتفسير الآية ، بالرجوع إلى كُتُبِ شروح الحديث وإلى كُتب التفسير التي أوردتْه، ليرى كيف فَهِمَ العلماءُ الحديثَ ، وأين سار بهم الاستنباطُ في تفسير الآية .

وبذلك يكون قد انتهى من هذا الفرع من فروع التفسير المنقول ، وهو تفسير السنة للقرآن. لننتقل بعده إلى الفرع الثالث ، وهو :

الفرع الثالث:تفسير الآية بأقوال السلف،من الصحابة والتابعين وأتباعهم

وقد تكلم العلماء عن أهمية الرجوع إلى تفسير السلف(١) ، وخاصة تفسير الصحابة رضوان الله عليهم . كما أن هناك أقوالاً عديدةً حول حجية تفسيرهم ، على اختلاف طبقتهم. لكن أحدًا لم يخالف في ضرورة الرجوع إلى أقوالهم ، ولا في عدم جواز الخروج برأي يُبطل أقوالَهم المتواردةَ في تفسير الآية ، سواء اتّفقوا (وهو أبين في الحجية) أو اختلفوا (بعدم الخروج عن مجموع أقوالهم بقولٍ يُضادُّها)(٢) ؛ لأن ما علمنا أنه هو فهم السلف في الآية،

(١) انظر لبيان منزلة أقوال السلف (من الصحابة والتابعين) في التفسير المراجع التالية: الردُّ على الجهمية للدارمي (رقم١٥٣-١٥٤ ، ٣٢٦) ،ونقض الدارمي على المريسي (٣٣٩-٣٤١) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (١/٨٨-٨٩) ، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية – مع شرحها للدكتور مساعد الطيار– (رقم١١٢ ،١٢٠ -١٢٥ ، ١٤٥)، وبغية المرتاد لابن تيمية (٣٣٠-٣٣٢) ، والمسودة لآل تيمية (١/٣٨٥-٣٨٤٠)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٤/١٥٣-١٥٦)، والبرهان للزركشي (٢/١٥٧-١٥٩) .

(٢) وقد نصّ عامة الأصوليين على عدم جواز الخروج عن مجموع أقوال السلف في الأحكام الفقهية، وقَـيّدَ بعضُهم عدمَ الجواز بأن يكون في القول الخارج عن أقوالهم رفع وإبطال لها كلها، وليس هذا موطن تحرير الكلام في هذه المسألة ، وتكفي هنا هذه الإشارة ، مع العزو التالي :
فانظر : الرسالة **للشافعي** (٥٩٥-٥٩٦ رقم ١٨٠١) ، وتطبيقًا عمليًا له في الأم (٣/٥٠٤- ٥٠٦ رقم ١٢٦٥، ١٢٦٧) ، الفصول في الأصول لأبي بكر الجَصّاص الرازي الحنفي (٢/١٥٤-١٥٥) ، والعدة لأبي يعلى الفراء الحنبلي – **وهو منصوصُ الإمامِ أحمد** - (٤/١١١٣) ، والتحرير للكمال ابنِ الـهُمَام **الحنفي–وعزاه للأكثرين**- و شرحَه : التقرير والتحبير لابن أمير الحاج الحنفي(ت٨٧١هـ) – **وعزاه لمحمد بن الحسن الشيباني**- (٣/١٤١-١٤٢) ، ونحوه في تيسير التحرير لأمير بادشاه الحنفي ت ٩٧٢هـ(٣/٢٥٠) ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد الباجي المالكي – **ونقله عن كافة المالكية** – (رقم٥٢٧-٥٣١) ، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - **وهو اختيار شيخ الإسلام**- (٢١/٢٩١)(٣٤/١٢٥) ، والبحر المحيط للزركشي الشافعي (٤/٥٤٠-٥٤٣) ، والتحبير شرح التحرير=

وغلب على ظننا أنه لو كان لهم فهمٌ آخر فيها لنُقل إلينا ، لا يمكن أن يكون باطلا ؛ لأن في اعتقاد بطلان فهم السلف للقرآن لازمًا فاسدًا ، وهو أن النبي ﷺ توفّي وما أتمّ بلاغَ الدِّين؛ إذ إن بيان القرآن إحدى أعظم واجبات الرسالة التي كُلِّف النبيُّ ﷺ بها من ربه عزّوجلّ ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤]، فكيف يجتمع اعتقادُ أن النبيَّ ﷺ قد أدّى الأمانةَ وبلّغَ الرسالة مع اعتقاد أن الأمة كلها جهلت شيئًا مما أُمر النبي ﷺ ببيانه ؟! وكيف يجتمع اعتقادُ حفظِ الدين مع اعتقاد أن ما بلّغه النبي ﷺ لم يُحفظ .. لا مرفوعا ولا موقوفا ؟!

وكما أن لأقوال السلف في التفسير هذه المكانة ، فإن المكانة الأكبر هي لمنهجِ السلف في التفسير ، فهو حجةٌ مطلقا ، لا يجوز الخروجُ عليه بنقصٍ منه أو زيادةٍ عليه [١]. والتزامُ منهجهم في فهم القرآن أوجبُ الواجبات في هذا الباب ؛ لأن منهجهم إجماعيٌّ لا يجوز فيه احتمالُ الخطأ أو الضياع ؛ إلا باعتقادٍ باطلٍ من نمط ما ألمحنا إليه آنفا وأشنع. فالزيادة على منهجهم مردودة: كتأويلِ الآية بقرينة يُدّعى أنها عقلية (وليست كذلك) ، أو اللجوء إلى حساب الجُمَّل لاستخرج معنًى خفيٍّ ، أو إلى عَدِّ الأحرف والآيات ، ونحو

= للمرداوي الحنبلي (١٦٣٨/٤-١٦٤٧) .

(١) وبذلك ردَّ الإمام الشاطبي على بعض أقوالِ سهلٍ التُّسْتَري التفسيرية ، التي جرى فيها على التفسير الإشاري ، وختم ردّه عليه بقوله :« والدليل على ذلك أنه لم يُنقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين تفسيرٌ للقرآن يماثله أو يقاربه . ولو كان عندهم معروفًا لنُقل ؛ لأنهم كانوا أحرى بفهم ظاهر القرآن وباطنه ، باتّفاق الأئمة ، ولا يأتي آخرُ هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أوّلها ، ولا هم أعرف بالشريعة منهم » . الموافقات للشاطبي (٢٤٨/٤) .

ذلك مما لم يصحَّ عن السلف الرجوعُ إليه في التفسير[١] = فكلُّه باطل. كما أن النقص من منهجهم باطلٌ أيضًا، كمن خرج عن دلالة اللغة تماما، بحجة التفسير الباطن، أو بحجة تجدُّدِ منهج الفهم !!

وللوصول إلى تفسير السلف نسير أولا وَفْقَ المرحلتين الأُولَيَيْنِ في الفرع السابق ، وهما : ١/مرحلة الجمع ، ومصادره في الفرع السابق هي مصادره نفسها في هذا الفرع ، ٢/ومرحلة التثبت من صحته .

لكن يجب أن تعرف بأن آثار السلف في التفسير يمكن أن تفيدك في التفسير ولو لم تصح بالمنهج الحديثي للأحاديث المرفوعة ، ولبيان هذا المنهج موطن آخر[٢] . لكن يكفي أن تعرف هنا أننا نكتفي من بعض الآثار بإثبات رأيٍ للسلف في الآية ، إن لم يصح عن آحادهم ، فإنه قد يدل على أن ذلك الفهم قد كان موجودًا لدى بعضهم وفي جيلهم . كأثرٍ لا يصح عن الصحابي لعدم سماع التابعي الذي رواه عنه منه ، لكنه يصح عن التابعي الذي نقله عنه،

(١) أما الرجوع إلى شيء من ذلك لإثبات وجهٍ من وجوه الإتقان (والإعجاز) ، دون الدخول في فهم الآيات ، فليس هذا تفسيرًا ، فلا بأس به . بشرط إثبات علميّته وصحّته بدليلٍ ظاهر ، لا بتلاعبٍ ولا اجتزاءاتٍ لا وزنَ لها في سياقاتِ العلم !

قلتُ ذلك ؛ لأن المحظورَ هو الخروج عن منهج السلف في التفسير ، أما استخراج عجائب القرآن ووجوه إعجازه ودقائق دلالاته ، فهذا ما لم يزل أهلُ العلم جادّين فيه . فانظر كلامَ العلماء في إظهار إعجاز القرآن البلاغي ، ماذا تجد منه في تفسير السلف ؟ لا تكاد تجد منه إلا أقل القليل . فإن قيل : لكنّ إعجازَ القرآنِ البلاغيَّ ثابتٌ بالدليل أنه إعجازٌ قرآنيٌّ تُحُدِّيَ به العرب ، قلتُ : ولذلك نشترط ممن ادعى وجها جديدا من الإعجاز أن يثبته بدليلٍ صحيح، بخلاف الإعجاز البلاغي .

وأحسب المسألة ستُحسم عند الدليل الصحيح، فلا داعي للحذر من تقريرٍ يشترطُ صِحّةَ الدليل !!

(٢) لي بحثٌ في ذلك أرجو أن يخرج قريبًا .

فنرجع إليه في التفسير على أنه فهمٌ معتبرٌ للآية . وكمجموعة آثار لا تصح أفرادُها، لكنها تدل بمجموعها على أن ذلك الفهم كان سائدا لدى السلف . فضلا عن التفسير اللغوي المنقول عن السلف ، ودلت عليه اللغةُ نفسُها ، فمثل هذا مستغنٍ غالبًا عن الأسانيد ؛ لأن نَقْلَ اللغةِ نقلٌ مستفيضٌ، والعمدة فيه على الاستفاضة لا على نقل الآحاد غالبا[1] .

فإن انتهى الباحث من هاتين المرحلتين ينتقل إلى التالية :

المرحلة الثالثة : النظر في معاني أقوال السلف ، وهل اتفقوا أم اختلفوا ؟ وتصنيف أقوالهم بحسب الاتفاق والافتراق .

فإن اتفقوا وتواردت أقوالهم وتكاثرت على رأي واحد ، فهو غاية ما يُتوصَّل إليه في هذه المرحلة .

وإن اختلفت عباراتهم ، فيجب أن أحاول الجمع بين أقوالهم ؛ لما علمناه من تفسيرهم واختلاف عباراتهم فيه ، وأن أكثرَ اختلافِ عباراتِهم هو من بابِ اختلافِ التنوّع ، لا اختلافِ التضادّ . من مثل الاختلاف بذكر المترادفات الدالّةِ على معنًى واحد ، أو ذكرِ بعض أفراد العام من باب التمثيل [2]. وبذلك سَيُضْطَرُّ الباحثُ إلى إعمال فكره في كلام السلف وفي التفقّه فيه، وهذا تدريبٌ مهمٌّ جدًّا لتكوين الملكة .

فإن تعذّر الجمعُ ، وصحَّ حَمْلُ الآية على أكثر من معنى من المعاني

(١) وإلى ذلك أشار البيهقي في دلائل النبوّة (٣٧/١) ، عندما قال :«وإنما تساهلوا في أخذ التفسير عنهم (أي الضعفاء) ؛ لأن ما فسّروا به تشهد لهم به لغات العرب ، وإنما عملهم في ذلك الجمع والتقريب فقط» .

(٢) انظر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية للدكتور مساعد الطيار (رقم١٤-٣٨) .

التي ذكرها السلف ، توجَّهَ ذلك ، خاصة عند عدم وجود مرجِّحٍ لأحد تلك المعاني على الآخر [1]. وهذا يستلزم دقّةً بالغةً في الفهم ، وفي مراعاة القرائن والمرجّحات المختلفة . وهذا تدريبٌ آخر ، يحتاج الباحثُ إليه أقوى احتياج ؛ لتكميل جوانب ملكته التفسيرية .

ومما يعينه على فهم الاختلاف الفهمَ المؤديَ إلى حُسن التعامل معه: محاولةُ تحديد سبب الاختلاف ، فعليه أن يجيل ذهنه في ذلك . وليستعن في تقوية ملكته في هذا الباب بتقوية علمه بالتنظير المعاصر له ، وذلك ببعض الدراسات الحديثة فيه : كـ(اختلاف المفسرين : أسبابه وآثاره) لفضيلة الشيخ الدكتور سعود الفنيسان ، و(أسباب اختلاف المفسرين) للدكتور محمد الشايع ، و(أسباب الخطأ في التفسير) للدكتور طاهر محمود محمد يعقوب ، و(الأقوال الشاذّة في التفسير : نشأتها وأسبابها وآثارها) للدكتور عبد الرحمن الدهش .

فإن تعذّر الجمعُ، وتعذّرَ أيضًا حَمْلُ الآية على المعاني الواردة جميعها، ومعنى ذلك أن التعارض مع كونه حقيقيًّا، فهو ممّا لا تحتمل الآيةُ قبولَ اختلافِه وجوهًا عديدةً في فهمها = فعندها يتوجّبُ الترجيحُ بين تلك الأقوال المختلفة.

والترجيح بين أقوال السلف والمفسرين عموما هو أحدُ أوسعِ علوم التفسير وأجلِّها خطرًا ، وعلى الباحث أن يسعى لتحصيل ملكته . وأنصح في هذا المجال أن يقرأ كتاب (قواعد الترجيح عند المفسرين) للدكتور حسين بن علي الحربي ، لكي يتسع نظره في المرجّحات .

---

(١) انظر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية للدكتور مساعد الطيار (رقم٣٩-٤١) .

وبوصوله إلى هذه المرحلة يكون الباحث قد انتهى من خطوة التفسير بالمنقول ، وقوّمَ بها الخطوةَ السابقةَ ، وهي التفسير اللغوي . وقد قدّمنا في أول حديثنا عن هذه الخطوة الاحتمالاتِ الثلاثةَ التي سيُخْرِجُه بحثُه إليها من تقويمه التفسيرَ اللغويَّ بالمنقول ، فكنْ على ذُكْرٍ منها .

ومن هذه الخطوة نصل إلى الخطوة السادسة والأخيرة :

الخطوة السادسة: الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وإلى ترجيحاتهم النهائية.

فبعد أن مررتُ بالخطوات السابقة جميعها لفهم مراد الله تعالى في كتابه الكريم ، واجتهدتُ في كل خطوة منها ، ولم أرضَ منهجَ التَّلقِّي بغير فقهٍ صحيح ولا طريقةَ التلقُّنِ لاجتهادِ غيري دون معرفةِ دليله بعمقٍ كافٍ ، بل اجتهدتُ في كل مرحلة من كل خطوة ، وقوّمتُ أغلبَ اجتهاداتي الجزئيّةِ السابقةِ باجتهادِ أئمةِ كلِّ علمٍ فيه = بقي عليَّ التقويمُ النهائيّ ؛ بالرجوع إلى خلاصة آراء أئمة التفسير في الآية .

وهنا ينبغي عليّ أن أختار عددًا من أئمة التفسير ، ممن وُصِفوا بأنهم أكثر أئمة التفسير تحقيقًا، وأقواهم تحريرًا ، وأدقّهم تعبيرًا. وهم كُثُرٌ، بحمد الله تعالى. دون إغفال الآخرين، بل كلما توسّعتَ في النظر في كتب التفسير خرجتَ بفائدة أكبر ؛ خاصة مع وجود مميزات في بعض التفاسير تختصُّ بها دون غيرها .

وعلى رأس هذه الكتب : تفسير ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، وتفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ؛ لما تميّزا به من تحقيق وتحرير ، ومن صحة معتقد وسلامة منهج . ثم تفسير (المحرَّر الوجيز) لابن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ) ، و(الوجيز) للواحدي (ت٤٦٨هـ) .

ومن المهمّ في هذا الباب أن تتعرّفَ على تراجم المفسرين ، وعلى

مكانتهم ومكانة كتبهم في التفسير ، وعلى منطلقاهم العقدية والمنهجية؛ لتحسن الاستفادة من كتبهم . فمثلاً : كتابُ (الكشاف) للزمخشري (ت٥٣٨هـ) من أبدع كتب التفسير في إظهار النواحي البلاغية ، وفي سَبْكِها ضمنَ عبارةِ البيانِ والتوضيح للآية ؛ لكن مؤلِّفَه من أئمة الاعتزال الدُّعاةِ إليه؛ ولذلك لا يُنصح بالرجوع إليه ؛ إلا لمن كان ضليعًا من علم المعتقد ، قادرًا على تمييز القول المؤسَّسِ على معتقَدٍ باطلٍ والقولِ المؤسَّسِ على معتقَدٍ صحيح . وهكذا الشأن في كل كتابٍ عُلِمَت من مؤلِّفه مخالفةُ منهجِ السلف في معتقدٍ أو سلوكٍ أو طريقةٍ في الفهم : أن يرجع إليه ويستفيد منه من كان قادرًا على تخليصه من شوائبه ، وأن يتجنّبه الطالبُ المبتدئ غير القادر على ذلك .

وطريقة السير في هذه الخطوة : أنني بعد أن خرجتُ بتفسيرٍ للآيات المدروسة ، اعتمدتُ فيه على التفسير بالمعقول (وَفقَ دلالة اللغة وأساليب العرب في البيان)(١) والمنقول ، بجهديَ الخاصّ ، وجب عليَّ تقويمُ هذا الجهد؛ للاطمئنان إلى سلامة نتائجه (أولا) ، ولمعرفة أسباب الخطأ وأسباب الصواب (ثانيا) ؛ لتُجْتَنَبَ الأولى ، وتُلْتَزَمَ الثانية .

فإن وجدتُ المفسرين الذين احتكمتُ إليهم قد اتفقوا على قول ، كان قولُهم هذا هو الصوابَ الذي لا يكون سواه إلا الخطأ، خاصة وأنني أتحدّثُ عن طالب متدرِّبٍ متمرِّن. فيجب تقويم اجتهادك وَفقَ هذا التفسير، فإن وافقتَه فذاك ثمرةُ جهدِك المتواصِل، بعد توفيق الله تعالى لك. وإن خالفتَه فقد استفدتَ

(١) لا يكون التفسير المعقول مقبولاً ؛ إلا أن يكون فهمًا للدلالة اللغوية من الآية . أما ما خرج عن هذه الدلالة وعن الاعتماد على المنقول ، فهو التفسير بالهوى .

سببَ الخطأ، وعرفتَ موطنَ النقص في اجتهادك ، وهي ثمرةٌ لا تقلّ عن الأولى ؛ لأنها تعصمك (بإذن الله تعالى) من إعادة الخطأ ومن تكرار الغفلة عن موطن النقص .

وإنِ اختلفوا: نظرتُ إلى مقالاتهم، هل فيها القول الذي وصلتُ إليه؟

فإن خرج القول الذي وصلتُ إليه عن جميع مقالاتهم ، كان كالأول : دليلًا على أني لم يحالفني الصواب . فعليّ أن أنظر في الخطأ وأسبابه ، على ما بينتُه آنفًا .

وإن وافقتُ بعضَهم دون بعض ، كان هذا دليلًا على عُمق الفهم الذي توصّلتُ إليه ؛ لكن لا يلزم أن يكون ما توصلتُ إليه هو الصواب! فالصواب لا يُعرَفُ بمجرّد موافقة جُهدك له ، بل يُعرف بدليله . أما العمق .. فيمكن أن يستحق ما توصّلتَ إليه أن يُوصفَ بأنه فهمٌ عميق ؛ لمجرّد موافقتك لإمامٍ من أئمة التفسير . لكن ليس كل عمقٍ يُوصِلُ إلى الصواب ، وليس كلُّ ظاهريةٍ حليفُها الخطأ .

وعليّ في حالة موافقة بعض أئمة التفسير دون بعضِهم الآخر : أن أنظر في استدلال كل إمامٍ على قوله ، وأن أُدقِّقَ في أساس رأيه الذي بناه عليه ، وأن أزن ذلك بما اجتمع لديّ من أدلةٍ زاخرةٍ أوصلتني إلى قولي ، لأخرج بالترجيح النهائي . وهنا تظهر إحدى أهم فوائد اجتهاداتك السابقة ، التي أظهرت لك مآخذَ الأقوال ، ووضَّحت لك معالمَ الوصول إليها ، وعمّقت لديك الاجتهاد ، بما أزعم أنه لا يمكن الوصول إليه بغير هذه الخطة **أو نحوها**.وحينها تكون أقدر على الترجيح الرَّجيح ، وأن تصل إلى القول الصحيح .

فإن وصلتَ إلى القول الراجح الذي سبقك إليه أحدُ أئمة التفسير ، بكل إنصاف ، ودون التّعصُّبِ الخفيّ لقولك الأول . فعليك بالنظر في العبارة التي تعبّر بها عن ذلك القول الراجح ؛ فإن تحريرَ المعنى وسَبْكَهُ في قالبِ الألفاظِ فَنٌّ آخر مهمٌّ ، فلا تُغفلْ تكوينَ ملكته أيضًا . وذلك بالنظر في تعبيرك أنت الذي قيدتَه أولا ، ثم في صياغة الأئمة لذلك المعنى ؛ لاختيار أوضحها وأدقِّها وأجمعها للمعنى المراد من كل جوانبه .

وهنا تكون قد وصلتَ إلى آخر المطاف ، وحان منك أوانُ القِطاف ، لتقول بكل ثقة : تفسير قول الله تعالى في آية كذا هو كذا وكذا ؛ فهنيئًا لك أيها المفسر الصغير[1]!!

والأهم أنك بدأتَ في تكوين ملكة التفسير لديك ، وفي السير على دربٍ طويلٍ منتهاه أن تكون مفسِّرًا كبيرًا (إن شاء الله تعالى) !!!

وأرجو أن تَحْمَدَ لي هذه الخطة بعد حين ،فإن كان ذلك، فلا تنسني من دعوةٍ صالحةٍ،ربما أكون أسيرَ إجابتها من ربٍّ سميع قريب مجيب (سبحانه).

---

(١) ما زال صغيرًا لأننا قرّرنا أن تأصيله العلمي في العلوم الإسلامية المرتبطة بالتفسير يجب أن تستمرَّ عنايته به ، ولا شك أن هذا طريقٌ لا نهايةَ له ، كما أن قوّةَ الملكة أيضًا لا حدّ لآخرها . وتدرُّبُ الطالب على هذه الخطة في جزءٍ أو جزئين من القرآن الكريم ، لن يصل به إلى أن يكون مفسِّرًا كبيرًا؛ إلا بعد إكمال المسيرة .

الخاتـــمة

لقد تضمّن المقالُ ذكر خطة تعليمية لإنشاء ملكةٍ في علم التفسير ، مبناها على محاولة ترتيب الوصول إلى التفسير الصحيح من خلال خطواتـــه العديـــدة ومراحلها الدقيقة بالجهد الذاتي ، الذي يعقبه تقويمٌ علميٌّ له ؛ ليتمكّن المتدرِّبُ من معرفة مآخذِ الاجتهاد في علوم التفسير ، ومن إدراك أسباب إصابته فيلزمها، ومن معرفة أسباب الخطأ فيجتنبها . وهو بذلك يبدأ في تكوين ملكة التفـــسير لديه تدريجيًّا ، ولا يكون مجرّد متلقِّنٍ لأقوال المفسرين.

ومُلخَّصُ خطواتِ الخطة ومراحل كل خطوة منها ، هو ما يلي :

الأولى : التزوُّدُ من العلوم الضرورية لعلم التفسير .

الثانية :اختيار الآيات التي سيتدرب على تفسيرها ، والتي يجـــب أن يتـــوفّر في سبب اختيارها أنها أبعد الآيات عن أن يكون استفاد تفسيرَها من أحد.

الثالثة :فهم الآية بالجهد الذاتي المحض، دون الاستعانة على فهمها بأحد .

الرابعة : السعيُ إلى التفسير اللغوي الصِّرْفِ للآية .

ولها مراحل :

١-تحديد الكلمات التي يُـــحتاج إلى دراستها لُغويًّا ، وهي كل كلمة لم يكن إدراك معناها اللغوي بَدَهِيًّا لدى الدارس .

٢-محاولة معرفة أصلِ المعنى اللغوي للكلمة .

٣-حصر المعاني الفرعية والمشتقة لتلك الكلمة المدروسة ، وذلك من خـــلال الرجوع إلى معاجم اللغة ، وتحديد أليق المعاني منها بالآية .

٤-الـــتأكد من صحة المعنى الفرعي للكلمة الذي توصّلتُ إليه سابقًا ، مـــن خلال كتب غريب القرآن والوجوه والنظائر .

٥–تفسير الآية كاملةً بحسب ما تقتضيه لغة العرب وحدها، باجتهادي الخاص.

٦–التأكّد من صحة تفسيري اللغوي للآية ، بالرجوع إلى كتب التفسير اللغوي .

الخامسة : تفسير الآية بالمنقول، من : القرآن ، والسنة ، وأقوال السلف .

للوصول بالتفسير اللغوي السابق إلى واحد من المواقف الثلاثة التالية من خلال تقويمه بالمنقول:

الموقف الأول : أن يتفق التفسير اللغوي مع المنقول ، فيُقبل .

الموقف الثاني : أن يُبطل التفسيرُ المنقولُ التفسيرَ اللغويَّ ، فيُردُّ اللغوي .

الموقف الرابع : أن يختلف التفسيران ، لكن لا يبطل أحدهما الآخر ، فيُحتمل قبول اللغوي مع المنقول ، ويحتمل ظهورُ أن اللغوي مرجوحٌ أمامَ المنقول .

ولهذه الخطوة فروعٌ ثلاثة :

الفرع الأول : تفسير القرآن بالقرآن . وله مراحل :

١– استخراج الآيات ذات العلاقة بآيات الدَّرْس من كتاب الله العزيز بالجُهد الذاتي الخالص .

٢– الاستعانة بالجهود المتفرّقة لأهل العلم التي تتضمّنُ جمْعَ النظيرِ إلى نظيرِهِ من الآيات .

٣– الرجوع إلى كتب التفسير عموما ، وإلى تلك التي اعتنت عنايةً واضحةً بتفسير القرآن للقرآن خصوصا ؛ بغرض جمع الآيات ذات الصلة في تفسير الآية ، دون الاستفادة من كتب التفسير في هذه المرحلة إلا في حصر الآيات المعينة على التفسير .

٤– الرجوع إلى كتب القراءات ؛ حيث إن من أعظم وجوه إفادة القراءات

الثابتة العديدة للآية الواحدة التفسيرَ والبيانَ .

الفرع الثاني : تفسير السنة للقرآن ، وله مراحل :

١- الوقوف على التفسير المروي عن النبي ﷺ،وجمعه من مظانه المتعدّدة .

٢- دراسة هذا التفسير المروي عن النبي ﷺ لتمييز صحيحه من سقيمه .

٣- فَهْمُ الحديثِ الثابتِ عن النبي ﷺ في التفسير ، والاجتهادُ في استنباط وجهِ بيانه للآية التي يفسرها .

٤- تقويمُ فَهْمِهِ للحديث ، ومراجعةُ استنباطِهِ لعلاقته بتفسير الآية ، بالرجوع إلى كُتُبِ شروح الحديث وإلى كُتب التفسير التي أوردتْه .

الفرع الثالث : تفسير السلف للقرآن الكريم ، وله مراحل :

١- جمعه من مظانه .

٢- التثبت من صحته ، وفق منهج معيّن .

٣- النظر في معاني أقوال السلف ، وهل اتفقوا أم اختلفوا ؟ وتصنيف أقوالهم بحسب الاتفاق والافتراق . ومحاولة الجمع بغير تعسّف بين ما ظاهره الاختلاف ، فإن لم يمكن الجمع فالترجيح بينها .

السادسة (والأخيرة) : الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وإلى ترجيحاتهم النهائية؛ لتقويم النتيجة النهائية من دراستي ، ولاختيار الصياغة الدقيقة للتفسير الذي توصلّت إليه . والله أعلم

والحمد لله على ما لا يُحصىٰ له من إنعام ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين أجلّ صلاةٍ وأشرفَ سلام ، وعلى أزواجه وآله ما أشرقت شمسٌ أو بدا بدرُ التمام .

المصادر والمراجع[(١)]

١- **إبراز الحِكَم من حديث «رُفع القلم»** : لتقي الدين السبكي . تحقيق : كيلاني محمد خليفة . الطبعة الأولى :١٤١٢هـ . دار البشائر : بيروت .

٢- **الإتقان في علوم القرآن** : للسيوطي . تحقيق مصطفى ديب البغا . الطبعة الأولى : ١٤٠٧هـ . دار ابن كثير : دمشق .

٣- **إحكام الفصول في أحكام الأصول** : لأبي الوليد الباجي المالكي . تحقيق : عبدالمجيد تركي . الطبعة الأولى : ١٤٠٧هـ .دار الغرب : بيروت .

٤- **إصلاح غلط أبي عبيد** : لابن قتيبة . تحقيق عبد الله الجبوري . الطبعة الأولى : ١٤٠٣هـ . دار الغرب : بيروت .

٥- **إعلامُ الموقِّعين عن ربِّ العالمين** : لابن قيِّمِ الجوزيّة .تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . دار الجيل : بيروت .

٦- **الأم** : للإمام الشافعي . تحقيق : د/رفعت فوزي عبد المطلب . الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ . دار الوفاء : المنصورة .

٧- **أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم** : د/ مساعد الطيار . الطبعة الثانية : رجب ١٤٢٣هـ . دار ابن الجوزي : الدمام .

٨- **البحر المحيط في أصول الفقه** : لبدر الدين الزركشي . تحقيق : الشيخ عبد القادر العاني، وجماعة .الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ .وزارة الأوقاف : الكويت .

٩- **البدر الطالع في حل جمع الجوامع:** للجلال المحلي. تحقيق : أبي الفداء مرتضى علي الداغستاني.الطبعة الأولى : ١٤٢٦هـ .مؤسسة الرسالة ناشرون : بيروت .

١٠- **البرهان في علوم القرآن** : لبدر الدين الزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثالثة :١٤٠٠هـ . دار الفكر : بيروت .

---

(١) التي تم العزو إليها ، دون ما ذُكرت في النص تمثيلا من الكتب المتعلقة بالتفسير وغيرها .

١١- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد : لابن تيمية . تحقيق : د/ موسى بن سليمان الدويش . الطبعة الثانية : ١٤١٥هـ .مكتبة العلوم والحكم : المدينة المنورة .

١٢- التحبير شرح التحرير : للمرداوي الحنبلي .تحقيق د/ عوض القرني، ود/ أحمد السراح . الطبعة الأولى :١٤٢١هـ .مكتبة الرشد : الرياض .

١٣- التحرير في أصول الفقه : لكمال الدين محمد بن عبد الواحد بن مسعود المعروف بابن الهُمام الحنفي . ضمن شرحَيْهِ : التقرير والتحبير : لابن أمير الحاج ، و تيسير التحرير : لأمير بادشاه . وستأتي معلومات طبعهما .

١٤- التعريفات : للجرجاني . تحقيق إبراهيم الأبياري . الطبعة الثانية :١٤١٣هـ . دار الكتاب العربي : بيروت .

١٥- * تفسير الطبري = جامع البيان .

١٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني . تحقيق : د/ مصطفى مسلم محمد . الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ .مكتبة الرشد : الرياض .

١٧- تفسير غريب القرآن : لابن قتيبة . تحقيق السيد أحمد صقر . ١٣٩٨هـ . تصوير دار الكتب العلمية : بيروت .

١٨- التفسير اللغوي: د/ مساعد الطيار.الأولى : ١٤٢٢هـ. دار ابن الجوزي: الدمام .

١٩- التقرير والتحبير:لابن أمير الحاج الحنفي. الطبعة الأولى:١٤١٧هـ .دار الفكر:بيروت .

٢٠- تقويم الأدلة في أصول الفقه : لأبي زيد الدَّبُوسي الحنفي . تحقيق : خليل محيي الدين المَيْس . الطبعة الأولى : ١٤٢١هـ . دار الكتب العلمية : بيروت .

٢١- التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيفٌ وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغريبين : لأبي الفضل محمد بن ناصر السَّلامي . تحقيق : د/ وليد السراقبي . الطبعة الأولى :١٤٢٤هـ . المجمع الثقافي : أبو ظبي .

٢٢- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق : لابن عبد الهادي . تحقيق : سامي بن محمد بن جاد الله ، وعبد العزيز بن ناصر الخباني . الطبعة الأولى : ١٤٢٨هـ .أضواء السلف : الرياض.

٢٣- **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل** : للمعلمي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الثانية : ١٤٠٦هـ . مكتبة المعارف : الرياض .

٢٤- **تهذيب اللغة** : للأزهري . تحقيق عبد السلام محمد هارون . الطبعة الأولى : ١٣٨٤هـ . المؤسسة المصرية العامة للتأليف .

٢٥- **التوقيف على مهمات التعاريف** : للمناوي . تحقيق د/ محمد رضوان الداية. الأولى : ١٤١٠هـ . دار الفكر المعاصر : بيروت .

٢٦- **تيسير التحرير**: لمحمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي. الطبعة الأولى: ١٣٥٢هـ. مطبعة صبيح: القاهرة. تصوير: دار الكتب العلمية : بيروت .

٢٧- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : للطبري . تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي .الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ . دار هجر : الجيزة .

٢٨- **جمع الجوامع**: لتاج الدين السبكي الشافعي:(ضمن: البدر الطالع: للجلال المحلي) .

٢٩- **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** : للسيوطي . تحقيق :د/ عبد الله بن عبدالمحسن التركي . الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ . مركز هجر : الجيزة .

٣٠- **دلائل النبوة** : للبيهقي . تحقيق : د/ عبد المعطي قلعجي . الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ . دار الكتب العلمية : بيروت .

٣١- **الرد على الجهمية** : للدارمي . تحقيق : بدر البدر . الطبعة الثانية : ١٤١٦هـ . دار ابن الأثير : الكويت .

٣٢- **الرسالة** : للإمام الشافعي . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر .الطبعة الثانية . ١٣٩٩هـ . دار التراث : القاهرة .

٣٣- **السنن** : **لابن ماجه** . تحقيق : بشار عواد معروف . الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ . دار الجيل: بيروت .

٣٤- **السنن الكبرى** : للبيهقي . الطبعة الأولى : ١٣٤٤هـ . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية : الهند .

٣٥- **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية** : للدكتور مساعد بن سليمان الطيار .

الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ . دار ابن الجوزي : الدمام .

٣٦- **الصاحبي** : لابن فارس . تحقيق السيد أحمد صقر . مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٣٧- **صحيح البخاري** . طبعة دار السلام : الرياض .

٣٨- **صحيح مسلم** . تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي .

٣٩- **العُدّة في أصول الفقه** : لأبي يعلى الفراء الحنبلي . تحقيق : د/ أحمد علي سير المباركي . الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ . لا توجد دار طابعة .

٤٠- **العلل** : للإمام أحمد (برواية ابنه عبد الله) . تحقيق : د/ وصي الله محمد عباس . الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ .المكتب الإسلامي : بيروت .

٤١- **العلل** : لابن أبي حاتم . تحقيق فريق من الباحثين ، بإشراف : د/ سعد الحُمَيِّد ، ود/ خالد الجريسي .الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ .

٤٢- **علل الأحاديث** : للدارقطني . تحقيق : د/ محفوظ الرحمن زين الله . الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٤١٦هـ . دار طيبة : الرياض .

٤٣- **غريب الحديث** : لإبراهيم الحربي. تحقيق د/ سليمان العايد. الأولى: ١٤٠٥هـ . جامعة أم القرى.

٤٤- **الفصول في الأصول** : لأبي بكر الرازي الجصّاص الحنفي . تحقيق : د/ محمد محمد تامر. الطبعة الأولى : ١٤٢٠هـ . دار الكتب العلمية : بيروت .

٤٥- **الكليات** : لأبي البقاء الكَفَوي . تحقيق د/ عدنان درويش ، ومحمد المصري . الأولى: ١٤١٢هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت .

٤٦- **مجموع الفتاوى** : لشيخ الإسلام ابن تيمية . الطبعة الأولى : ١٤١٦هـ . وزارة الشؤون الإسلامية : السعودية .

٤٧- **المحصول في علم الأصول** : لفخر الدين الرازي . تحقيق :طه جابر العلواني . الطبعة الأولى : ١٤٠١هـ . جامعة الإمام محمد بن سعود : الرياض .

٤٨- **المستصفى من علم الأصول** : لأبي حامد الغزالي الشافعي . تحقيق : د/: محمد سليمان الأشقر . الطبعة الأولى :١٤١٧هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت .

٤٩- **المسند** : للإمام أحمد : تحقيق : شعيب الأرناؤوط وجماعة ، بإشراف د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي . الطبعة الثانية :١٤٢٠هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت.

٥٠- **معجم الأدباء** : لياقوت الحموي . تحقيق د/ إحسان عباس . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٤١٤هـ . دار الغرب الإسلامي : بيروت .

٥١- **معجم المعاجم**: لأحمد الشرقاوي إقبال. الطبعة الثانية: ١٩٩٣م. دار الغرب: بيروت .

٥٢- **مفهوم التفسيرِ والتأويلِ والاستنباطِ والتدبُّرِ والمفسِّرِ** : د/ مساعد الطيار . الطبعة الأولى : ١٤٢٣هـ .دار ابن الجوزي : الدمام .

٥٣- **المقدمة** : لابن خلدون . تحقيق عبد السلام الشدادي . الطبعة الأولى:٢٠٠٥م . بيت العلوم والفنون : الدار البيضاء .

٥٤- **مقدمة في أصول التفسير** : لابن تيمية . (مع شرحها للدكتور مساعد الطيار). الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ .دار ابن الجوزي : الدمام .

٥٥- **الموافقات** : للشاطبي . تحقيق : أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان . الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ . دار ابن عفان : الخُبر .

٥٦- **نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي** . تحقيق : منصور السماري . الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ . أضواء السلف : الرياض .

٥٧- **نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم** : لصلاح الدين الصفدي . تحقيق محمد عايش . الطبعة الأولى :١٤٢٧هـ .دار البشائر : بيروت .

٥٨- **الواضح في أصول الفقه** : لأبي الوفاء ابن عقيل . تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي . الطبعة الأولى :١٤٢٠هـ . مؤسسة الرسالة : بيروت .

فهرس الموضوعات

الملخص ١١

المقدمة ١٢

معنى الملكة ١٢

فكرة الخطة ١٥

خطوات تكوين ملكة التفسير ١٩

الخطوة الأولى ١٩

الخطوة الثانية ٢١

الخطوة الثالثة ٢١

الخطوة الرابعة ٢٦

المرحلة الأولى ٢٦

المرحلة الثانية ٢٧

المرحلة الثالثة ٣٠

المرحلة الرابعة ٣١

المرحلة الخامسة ٣٢

المرحلة السادسة ٣٢

الخطوة الخامسة ٣٣

موازنة التفسير اللغوي بالتفسير المنقول.......... ٣٤

فروع الخطوة الخامسة.......... ٣٥

الفرع الأول ٣٥

الفرع الثاني ٤٠

الفرع الثالث ٤٦

الخطوة السادسة ٥١

الخاتـــمة ٥٥

فهرس المراجع ٥٨

عـادات عربيـة في ضـوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

أ.د.عبد الفتاح محمد أحمد خضر
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة بجامعة الملك خالد في أبها بالمملكة العربية السعودية

* ولد عام ١٣٨٣هـ الموافق ١٩٦٤م بمصر.
* نال شهادة الماجستير من كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر بأطروحته "المجمل والمبين في القرآن الكريم" ، ثم نال منها شهادة الدكتوراه بأطروحته: "العلامة الجمل وحاشيته على تفسير الجلالين دراسة وتحقيق".
* له العديد من البحوث والمشاركات العلمية، منها: "الدخيل في تفسير القرآن الكريم - الجزء الأول" ، "وصايا الرحمن(تفسير سورة لقمان) دراسة تحليلية"، "العلامة برهان الدين البقاعي وكتابه نظم الدرر".

الملخص

يدور بحث "**عادات عربية في ضوء القرآن الكريم**"حول العادة : تعريفها- منشؤها - أقسامها - موقف التشريع الإسلامي منها - أهميتها عند المفسرين- الألفاظ ذات الصلة.

ثم بينت عادات عربية أقرَّها القرآن الكريم وهي كثيرة منها: الجوار، وتولي توثيق العهد ونقضه برجل من ذات القبيلة، وتعظيم حرمة البيت، والحجابة، والسقاية، وتقليد الهدي وإشعاره. ثم وضحت عادات عربية هذبها القرآن الكريم وهي- أيضاً- كثيرة منها: عادة المساواة بين الفأل والطيرة، والتفاخر بالآباء، ورفع الصوت، والتحية، والحرمان من الميراث، والتعدد في الزواج، والإيلاء، والظهار، والطلاق، والتهذيب بالعدة، والإحداد،وتغيير الأشهر الحرم، والجدال في الحج، واتباع الهوى في إبداء الرأي.

ثم أشرت إلى عادات عربية أبطلها القرآن الكريم مثل: اعتقاد وجود قلبين في صدر اللبيب، ونسبة نزول المطر ونحوه إلى الأنواء، والاستعاذة بالجن،والحلف بغير الله تعالى، والدخول على الغير دون إذن، والتبرج، والاختلاط، والتعري، واتخاذ الأخدان، والقذف، ووراثة المرأة، ومراجعة المرأة استخفافًا بها، وعضل المرأة، وزواج الرجل من امرأة أبيه،و الجمع بين الأختين، وتطفيف الموازين،وأكل مهر المرأة، والتبني، وسفك الدماء، وقتل الأولاد، ووأد البنات، واحتقار أهل الأعذار، وتحريم الحلال من المطعومات، وتحليل الحرام من المطعومات، وتحريم بعض الأطعمة على النساء، وأكل الربا، ونهب الأموال، وعبادة الأوثان. ثم ختمت بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث شافعاً إيَّاها بالتوصيات. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

مقدمة

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على عباده الذين اصطفى، ثم أما بعد:

فإنه لمن توفيق الله للعبد اختياره لخدمة كتابه - عز وجل - قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢] فاللهم اجعلنا ممن ورثوا كتاب ربهم وعملوا بما فيه.

وموضوع هذا البحث:**"عادات عربية في ضوء القرآن الكريم"** يفصح عما تحته، إذ هو دراسة تفسيرية موضوعية تدور حول عادات كانت في العرب العرباء، تحدث عنها القرآن الكريم ووقف منها طبيباً معالجا، وناصحاً أميناً، وحكيماً عليماً، وضع الأمور في نصابها، فأقر ما يستحق الإقرار لعموم نفعه، وطيب ثمره، وشمول فضله، وهذب وسدد ما يحتاج إلى تهذيب وتسديد، ليرقى بعد ذلك إلى مصافّ القبول، ويكون بعد تصفيته كلبن خالص سائغ للشاربين، وأبطل ما عم فساده، وطمَّ خرابه، وادلهم خطبه، وذلك من رحمة الله بعباده فهو وحده الذي يعلم السر وأخفي، بل هو العالم سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤].

وتأتي **أهمية دراسة هذا الموضوع وسبب اختياره** من خلال تأمُّل آيات قرآنية تحدثت عن عادات تأصلت في مجتمع العرب، سلط عليها القرآن العظيم نوره فبانت حقيقتها، ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال:٤٢]، وليكون هذا الموضوع درساً واقعياً لنا في زماننا المعاصر الذي أبت فيه العادة أن تعترف

بحدود جغرافية، ولا بثوابت تاريخية دينية، فدخلت علينا من كل باب بحلوها ومرها، فكان هذا المثال القرآني الذي يقول بلسان حاله: هاكم الآباء وما كان فيهم وكيف عولجوا، ودونكم العلاج الذي عافاهم وهو هو - بفضل الله - يعافيكم، فهل أنتم مقتدون؟؟!

كما تأتي أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره - أيضاً - لندرته في المكتبة القرآنية، ولجمع ما تيسر مما اكتحلت به عيني على مدار أكثر من عشرين سنة مطالعة في أمهات كتب التفسير التي تورد عبارة "وهذه من عادات العرب" و ما شابهها، ولفتح المجال أمام موسوعة تعنى بـ **"العادات العربية"** في ضوء القرآن الكريم.

هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة فبينت فيها أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره .

وأما المبحث الأول: فحول العادة، وتضمَّن: تعريفها - ومنشأها - وأقسامها - وموقف التشريع الإسلامي منها - وأهميتها عند المفسرين- والألفاظ ذات الصلة.

و المبحث الثاني: عادات عربية أقرَّها القرآن الكريم، تضمن العادات الآتية: الجوار، تولي توثيق العهد ونقضه برجل من القبيلة، تعظيم حرمة البيت، الحجابة، السقاية، تقليد الهدي وإشعاره .

المبحث الثالث: عادات عربية هذبها القرآن الكريم، تضمن العادات الآتية: المساواة بين الفأل والطيرة، التفاخر بالآباء، رفع الصوت، التحية، الحرمان من الميراث، التعدد في الزواج، الإيلاء، الظهار، الطلاق، التهذيب بالعدة، الإحداد، تغيير الأشهر الحرم، الجدال في الحج ، اتباع الهوى في إبداء الرأي.

المبحث الرابع: عادات عربية أبطلها القرآن الكريم واحتوى العادات الآتية: اعتقاد قلبين في صدر اللبيب، نسبة نزول المطر ونحـوه إلى الأنـواء، الاستعاذة بالجن، الدخول على الغير دون إذن، التبرج، الاختلاط، التعـري، ارتكاب الفاحشة، القذف، وراثة المرأة، مراجعة المرأة استخفافًا بها، عـضل المرأة، زواج الرجل من امرأة أبيه، الجمع بين الأختين، تطفيف الموازين، أكل مهر المرأة، التبني، سفك الدماء، قتل الأولاد، وأد البنـات، احتقـار أهـل الأعذار، اختلاق التحليل أو التحريم ، عادات تخص المطعوم، تحـريم بعـض الأطعمة على النساء، أكل الربا، نهب الأموال، عبادة الأوثان.

الخاتمة: وقد جمعت فيها أهم نتـائج البحـث وشـفعت ذلـك بالتوصيات.

والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في العلم والعمل

المبحث الأول

العـــــــــادة

تعريفها – منشؤها – أقسامها – موقف التشريع الإسلامي منها – أهميتها عند المفسرين – الألفاظ ذات الصلة

هذا المبحث يمثل مفاتيح موضوعنا، من حيث إنه يوضح ضابط العـادة من خلال تعريفها في اللغة والاصطلاح، وفي تصور علمـاء التفسير وعلـوم القرآن الكريم، وعلماء الاجتماع، كما يوضح منشأ العادة وأقسامها، وموقف التشريع الإسلامي منها، وكون معرفة المفسر للعادة ضرورياً، كما يبين الألفاظ ذات الصلة.

أولاً: تعريف العادة:

تعريف العادة لغة: خلاصة ما قاله أهل اللغة: إن العادة هي: معاودة الأمر حتى يصير سجية لصاحبه وديدناً وطبعاً[(١)]، ولذلك قيل: العادة طبيعة ثانية[(٢)].

العادة اصطلاحاً: هي ما استمر الناس عليه على حكم المعقول[(٣)]، وعادوا إليه مرَّة بعد أخرى"[(٤)] قاله الجرجاني، وهو بهذا يقصر العادة على الحسن منها فحسب، في حين أن من العادة ما هو حسن، ومنها ما هو سيء، لذا أستطيع

---

(١) ابن فارس:٤/١٤٥، والراغب:٢/٢١٨ ، وابن منظور:١/٣٦٨، ٣/٣١٦، والفيومي: ٣٥٥، وسليمان الجمل: ١/ ١٥٢،

(٢) الراغب: ٢/٢١٨، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: ١٢.

(٣) قلت: أي: المتزن الموافق للمصلحة العامة.

(٤) التعريفات للجرجاني: ١٨٨. قال على حيدر في درر الحكام: الْعَادَةَ يُفْهَمُ مِنْهَا تَكَرُّرُ الشَّيْءِ وَمُعَاوَدَتُهُ بِخِلَافِ الأَمْرِ الْجَارِي صُدْفَةً مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَلا يُعَدُّ عَادَةً ". ١/١٤٥.

القول بأن **العادة هي: مجموع سلوكيات مجتمع ما حسنة كانت أو سيئة**. وقد جزم بوجود سيء العادات كوجود حسنها ابن نجيم في البحر الرائق، وعلى حيدر وأبو حيان التوحيدي الذي قال: والعادة طبيعة، ولكنها بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار [١] ومن هنا جزمنا بأن تعريف الجرجاني - رحمه الله - للعادة غير جامع ولا مانع.

العادة عند علماء التفسير وعلوم القرآن : لم أقف على تعريف للعادة من خلال علماء التفسير ، ولكنني أستطيع تعريفها في ضوء هذا البحث فأقول: العادة عند العرب هي: **أحوال العرب السلوكية السائدة وقت نزول القرآن الكريم**.

قلت هذا؛ لأن القرآن مَعْنِيّ بالعادة وقت نزوله، أما ما أتى بعد ذلك فيمكن قياسه على السبب السابق، ومن هنا كانت قاعدة:" العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

العادة في علم الاجتماع: لا يختلف الأمر في تعريف العادة بين ما ذكرناه سابقاً، وبين ما ذكره **علماء الاجتماع** من أن العادة هي: **الإلف والطبيعة** [٢] **كما رأينا الاتساق التام بين تعريف العادة عند أهل اللغة، وفي الاصطلاح، وفيما نتصوره من تعريف عند علماء التفسير وعلوم القرآن، وفي علم الاجتماع**.

---

(١) انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي: ودرر الحكام في شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر :١/١٤٥. الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: ١٢.

(٢) ابن خلدون: ٣٧.

منشأ العادة: أصل العادة خاطرة ، ثم تطورت إلى هم ، ثم عمل، ثم يكرر هذا العمل حتى أصبح عادة، و ما ورد في البحث يبرهن على ذلك.

أقسام العادة: العادة تنقسم إلى قسمين:

عادة حسنة: وهي السلوك المتكرر بين عقلاء الناس المتفق مع الشريعة الغراء، وهي التي لا تصادم نصاً أو تعطله، والعادة الحسنة هي التي نعبر عنها بقولنا: "وفقاً للعادة المتبعة، أو جرت العادة بكذا، أو ما شابه ذلك من المصطلحات".

وعادة سيئة: وهي عكس العادة الحسنة، إذ هي التي اعتادها جمع من الناس اعتماداً على موروث خاطئ أو فهم مغلوط مضاد للقرآن والسنة والعقل السليم.

موقف التشريع الإسلامي من العادة: يقول العلماء:" لا ريب أن التشريع الإسلامي استبقى المحمود من عادات العرب وأقره، ولا شك أنه قضى قضاء مبرمًا على أكثر ما هو ممقوت منها، وسلك بباقيها سنة التدرج حتى ذهب ريحه، وتلك هي الطريقة المثلى، وسنة كل تشريع حكيم يراعى الصالح فيما يقرره من الأحكام. [1]

ضرورة معرفة المفسر لعادات العرب:

اشترط العلماء[2] على من أراد التعرَّض لتفسير كلام الله – تعالى – أن يكون فاقها لقصة نزول كل آية لها سبب، وهذا يعني بالضرورة اتصال هذه القصة وذاك السبب بعادات من نزلت الآية فيهم – وهم العرب – كذا

---

(١) موسوعة الفقه الإسلامي: ١/٤.

(٢) كالواحدي، وابن تيمية، وابن دقيق العيد، ومن وافقهم كالسيوطي وغيره من العلماء.

تقاليدهم، ومن جهل هذا فقد خسر أقوى طرق الفهم، وناله من الوعيد ما ناله.

قال الواحدي في بيان أهمية معرفة أسباب النزول: " إذ هي – أي: أسباب النزول – أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطِّلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار..." (١) وقال ابن دقيق العيد:" بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيميه:" معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(٢).

من الأمثلة التي تبرهن على ما قاله العلماء من ضرورة معرفة عادات العرب من خلال تفسير القرآن:

ما جاء في سبب نزول قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة:١٥٨] فإن ظاهر لفظ الآية لا يقتضي أن السعي فرض، لذا ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكاً بهذا الظاهر، ولعزله الآية عن عادة الجاهلية، وقد ردت السيدة عائشة – رضي الله عنها – على ابن أختها عروة – رضي الله عنه – في فهمه ذلك بسبب نزولها، وهو أن **الصحابة** تأثموا من السعي بينهما؛ لأنه من عمل الجاهلية فنزلت.(٣)

---

(١) الواحدي في أسباب النزول:٤، والسيوطي في لباب النقول: ١٣، وفي الإتقان: ٩٢/١.

(٢) اين تيمية في فتاواه : ٣٣٩/١٣، السيوطي في لباب النقول:١٣، وفي الإتقان: ٩٢/١.

(٣) البخاري: كتاب الحج، باب: وجوب الصفا والمروة رقم: ١٦٤٣.ومسلم: كتاب: الحج باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن رقم: ٢٢٣٩، وانظر السيوطي في الإتقان:٨٩/١.

ضرورة معرفة مفسري الأحكام لعادات العرب:

ولما كان القرآن الكريم مقصد المفسرين على اختلاف تنوعهم، أضحى للعادة عند المفسرين الفقهاء – الذين عنوا بأحكام القرآن الكريم – أهمية كبرى لتقاسمها الوحي النازل بالأحكام الفقهية، حيث قال العلماء: إن ما نزل به الوحي من الأحكام الفقهية ينقسم إلى قسمين:

أما أحدهما: فهو ما من شأنه ألا يتأثر كثيرًا باختلاف البيئات والأقاليم والأعراف والعادات، وتجدد الأحداث وتقلب الظروف، وهذا قد قُرِّرَت أصول مسائله، وفصلت أحكامه تفصيلاً وافيًا، ومع هذا كان تفصيلاً يفسح الطريق للاجتهاد إذا دعا داعيه. [1]

وأما الآخر: فهو ما من شأنه أن يتأثر تأثرًا ملحوظًا بالعوامل المذكورة سابقاً وهذا كانت له القواعد الكلية المرنة التي تصلح لكل زمان ومكان وبيئة، وتتسع لحاجات الناس، وتفتح للاجتهاد في أحداثها بابًا واسعًا، وهذه الأحكام بنوعيها إنما شرعها الله – سبحانه – لمصالح العباد تفضلاً منه ، وتقوم على تحقيق سعادتهم في الدارين[2] من هنا أقول إن معرفة العادة من أهم ضروريات المفسر الفقيه كغيره من المفسرين، بل إن العادة قد تنفرد بالحكم عند عدم وجود نص، قال صاحب درر الحكام:" وَالْعُرْفُ وَالْعَادَةُ إِنَّمَا تُجْعَلُ

---

(١) وذلك كاجتهادات الفاروق –رضي الله عنه– في حكم السرقة في عام الرمادة، وتأخيره الصدقة.. ونحو ذلك، وليس المقام مقام تفصيله.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي:١/٤، قلت: ومثاله: الضرائب، وبعض جوانب التأمين، وكتصرفات الإمام على الرعية لكونها منوطة بالمصلحة كفرضه على الفلاحين زراعة معينة لأن عدمها يضر بالبلاد، وتغير الوسيلة بتغير مقصدها....ومحل ذلك كتب الأصول.

حَكَمًا لإِثْبَاتِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ إذَا لَمْ يَرِدْ نَصٌّ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ الْمُرَادِ إثْبَاتُهُ، فَإِذَا وَرَدَ النَّصُّ عُمِلَ بِمُوجِبِهِ"(١) .

ومن الألفاظ ذات الصلة:

من الألفاظ ذات الصلة بالعادة : العرف والتقليد وهما بمعنى العـــادة على صحيح القول (٢) .

---

(١) علي حيدر: ١/١٤٥.

(٢) الموسوعة الفقهية: ٥٤/٣٠. ويقول الجرجاني: العرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقـــول وتلقته الطبائع بالقبول وهو حجة - أيضًا - لكنه أسرع إلى الفهم، والعادة هي ما استمر الناس عليـــه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى. التعريفات – الجرجاني: ١/١٩٣. أما التقليد فهو إلف مـــا عليه الناس ومجاراتهم في عاداتهم.

المبحث الثاني

عادات عربية أقرَّها القرآن الكريم

حفل المجتمع العربي بعادات متأصلة في بيئته، وعندما نزل القرآن الكريم وقف منها موقف الإقرار فذكرها وخلَّدها وسطرها وحياً يُتلى إلى يوم القيامة، وهذا من فضائله، قال العلماء:" لا ريب في أن التشريع الإسلامي امتداد لما قبله من الشرائع السماوية الحقة، التي تكون دينًا واحدًا ساير الإنسانية في نموها وتطورها حتى إذا بلغت أشدها كانت الخاتمة الملائمة هي ما استقر عليه التشريع الإسلامي وتم به دين الله، والكتاب الكريم ينطق بهذا فى مواطن كثيرة،فلا غضاضة على هذا التشريع إن هو أقر عادات محمودة صالحة للبقاء أو كانت فيه آثار الشرائع الإلهية السابقة، فذلك من كماله ومن أفضل محاسنه. (١) وفي هذه العجالة لن نستطيع أن نأتي علي كل ما أقره القرآن، بل سنذكر ما تيسر ليكون عنواناً يفتح آفاق هذا الموضوع أمام طلابه، ودونك الأمثلة:

إقرار عادة الجوار :

من عادات العرب الاجتماعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة الجوار، هذه العادة تعني دخول الرجل مكان الأعداء آمنًا لكونه دخل في عهد رجل كبير مهاب في قومه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦] والمعنى: وإذا طلب أحد من المشركين الدخول في جوارك - أيها النبي - ورغب في الأمان؛ فأجبه إلى

(١) موسوعة الفقه الإسلامي:١/٤.

طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويقف على هدايته، ثم أعدْه من حيث أتى آمنًا؛ ذلك الصنيع لإقامة الحجة عليه ؛ حيث إن الكفار قوم جاهلون بالإسلام وشريعته، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم، وقد أورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] ما بيَّنَ أن الجوار عادة عربية أصيلة فقال: " كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته..."(١) وبالأمر الكائن في آية التوبة ﴿فَأَجِرْهُ﴾ يكون الإقرار لهذه العادة العربية الأصيلة.

إقرار عادة تولي توثيق العهد ونقضه برجل من القبيلة:

ومن العادات الاجتماعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة تولي نقض العهد برجل من ذات القبيلة التي أبرمته، قال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١] حج أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - سنة تسع، وكان على الموسم، ثم أمر أبا هريرة - رضي الله عنه - ((أن يؤذن في الناس بمنًى، بأَنْ لا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ..، ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ: لا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ))(٢).

قال العلماء: إن توهَّم مُتوهِّمٌ أن في أخذ (براءة) من أبي بكر وتسليمها إلى عليٍّ، تفضيلاً لعليٍّ على أبي بكر، فقد جهل؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أجرى العرب في ذلك على عادتهم، قال الزجاج: وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها

(١) ابن كثير: ٤/٤٢٩.

(٢) البخاري: كتاب: الصلاة باب: ما يستر من العورة، رقم:٣٥٦.

ونقضها، أن يتولىَّ ذلك على القبيلة رجل منها، وجائز أن تقول العرب إذا تلا عليها نقضَ العهد مَن ليس من رهط النبي – ﷺ – : هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود،فأزاح النبي – ﷺ – العلَّة بما فعل[1].

إقرار عادة تعظيم حرمة البيت:

من العادات الاجتماعية الشرعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة تعظيم حرمة البيت، وتعظيم حرمة البيت تعني بسط الأمن والأمان على البيت وعلى من يدخله، قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧] والآية تحمل أمراً بتأمين الحرم والداخل فيه من أن يصاب بأدنى مكروه، وذلك بدعاء إبراهيم – عليه السلام – حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] والتحذير من مجرد إرادة الظلم فيه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

وكانت العرب من قديم الزمان تعظم حرمته، ففي الجاهلية كان يقتل بعضهم بعضًا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن من القتل والغارة، قاله أكثر المفسرين[2].

وقد امتنَّ الله على عباده بأن جعل الكعبة البيت الحرام صلاحًا لدينهم، وأمنًا لحياقم، قال تعالى:﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧]، وبذا أقر الله تعالى عادة العرب المعظمة لحرمة بيته.

إقرار السقاية:

من العادات الاجتماعية التي أقرها القرآن الكريم: سقاية الحجيج، قال

(١) الفخر: ٤٥٢/٧،البيضاوي: ٢/ ٤١٦، وابن الجوزي:١٤٥/٣، الخازن: ٢/ ٢٢٦ .

(٢) البغوي:٣٢٩/١، والثعالبي:١٦٦/١.

تعـــــالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[التوبة:١٩].

سقاية حجاج بيت الله الحرام عند العرب منقبة منذ القدم، وقـــد أورد الطبري وابن كثير: أن آية التوبة نزلت في علي وعباس وعثمان وشيبة – رضي الله عنهم – تكلموا في ذلك فقال العباس: ما أراني إلا أني تارك سقايتنا، فقـــال رسول الله – ﷺ – ((**أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا**))[١] .

وقد أكد الإسلام على السقاية وأقرها من خلال ما نطق به – ﷺ – من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه – الطويل وفيه : ((أتى الـــنبي – ﷺ – بَنِـــي عَبْـــد الْمُطَّلِبِ وهم يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ: **انْزِعُوا بَنِي عَبْـــدِ الْمُطَّلِـــب فَلَـــوْلا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**))[٢]، قال النووي:" يَسْقُونَ عَلَـــى زَمْزَم مَعْنَاهُ : يَغْرِفُونَ بِالدِّلَاءِ وَيَصُبُّونَهُ فِي الْحِيَـــاض وَنَحْوهَـــا وَيُـــسْبِلُونَهُ لِلنَّاسِ.وَقَوْله – ﷺ – : ((**لَوْلا أَنْ يَغْلِبكُمْ النَّاس لَنَزَعْت مَعَكُـــمْ**)) مَعْنَاهُ: لَوْلا خَوْفِي أَنْ يَعْتَقِد النَّاس ذَلِكَ مِنْ مَنَاسِك الْحَجّ وَيَزْدَحِمُـــونَ عَلَيْـــه بِحَيْـــثُ يَغْلِبُونَكُمْ وَيَدْفَعُونَكُمْ عَنْ الاسْتِقَاء لاسْتَقَيْت مَعَكُمْ لِكَثْـــرَة فَـــضِيلَة هَـــذَا الاسْتِقَاء. وَفِيهِ فَضِيلَة الْعَمَل فِي هَذَا الاسْتِقَاء[٣]، وعَنْ عَبْدِاللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ : ((.. **أَلا إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهلِيَّـــة تُـــذْكَرُ وَتُدْعَى مِنْ دَمٍ أَوْ مَـــالٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ إِلا مَا كَانَ مِنْ سِـــقَايَةِ الْحَاجِّ وَسِـــدَانَةِ**

(١) الطبري: ٩٦/١٠، ابن كثير:٢٤٣.

(٢) مسلم: كتاب الحج باب: حجة النبي – ﷺ – رقم٢١٣٧. نزعْتُ الـــدَّلْوَ أَنزِعُهـــا نَزْعـــاً، إذا أخْرَجْتَها. وأصل النَّزْع، الجَذْب. النهاية: ٧٩/٣.

(٣) النووي على مسلم: ١٩٤/٨، وفتح الباري: ٤٩٢/٣، وعون المعبود: ٢٦٨/٥.

الْبَيْتِ)) [(١)]. وكما أقر الإسلام ونبيه - ﷺ - السقاية والحجابة أقر - أيضًا - الرفادة بإطعام زوار البيت، والعمارة بتعهد البيت ورعايته، وهذا يؤكد وقوف الإسلام بجانب كل خير يعود على مجتمع الموحدين ولو كان من عادات غيره، فالإسلام لا يعرف التعصب، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

إقرار الحجابة:

من العادات الاجتماعية التي أقرها الإسلام : الحجابة، [(٢)] قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء:٥٨]، حكى الحافظ ابن كثير أن كثيراً من المفسرين ذكر أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة حاجب الكعبة المعظمة، وذلك أنه - ﷺ - لما أخذ منه مفتاح الكعبة يوم الفتح، واطمأن الناس، خرج حتى جاء إلى البيت، فطاف به سبعًا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح له فدخلها .. ثم أعطاه إياه .. ثم قال ابن كثير: "**وهذا من المشهورات** أن هذه الآية نزلت في ذلك،وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية: هي للبر والفاجر أي هي أمر لكل أحد"[(٣)]، حكى الألوسي أثناء مناقشته مكية سورة النساء

---

(١) سنن أبي داود كتاب: الديات باب: دية الخطأ شبه العمد رقم:٣٩٤١، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١١٣/٣.

(٢) الحجاب: الستر، وحجبه: أي: منعه عن الدخول، وحجابة الكعبة: سدانتها وتولي حفظها ممن بأيديهم مفاتيحها " . انظر ابن منظور في اللسان: حجب ٢٩٨/١.

(٣) ابن كثير : ٥١٦/١، وانظر القرطبي: ٢٥٦/٥. والطبري:١٤٥/٥، والبغوي:٤٤٣/١، ابن=

الاستشهاد باتفاق المفسرين على أن هذه الآية نزلت في شأن مفتاح الكعبة[١].

هكذا أقر النبي - ﷺ - أمر الحجابة كفضيلة وميزة يمتاز بها أهلها من العرب بصفة عامة، وعثمان بن طلحة ونسله بصفة خاصة.

إقرار تقليد الهدي وإشعاره:

من العادات الشرعية التي أقرها القرآن الكريم: عادة تقليد الهدي وإشعاره، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة:٢] والمعنى: يا أيها الذين آمنوا لا تتعدَّوا حدود الله ومعالمه، .. ولا تستحِلُّوا حرمة الهَدْي، ولا ما قُلِّدَ منه، علامةً على أنه هَدْيٌ، وأن صاحبه يريد الحج.

وقد قلَّد النبي- ﷺ - ناقته،أي: وضع لها في عنقها عروة أو ضفيرة من صوف أو وَبَر علامةً على أن البهيمة هَدْيٌ، وأنه يريد الحج، وأشعرها - أي: جرحها - في صفحة سنامها الأيمن[٢]، علامة له لِيُعْلَم أَنَّهُ هَدْي، فَإِنْ ضَلَّ رَدَّهُ وَاجِده، وَإِنْ اِخْتَلَطَ بِغَيْرِهِ تَمَيَّزَ.[٣] ولهذا كان تقليد الهدي من السنة والشعائر المسنونة[٤]، وقد كانت عادة قديمة في العرب، وأقرها النبي - ﷺ - في الإسلام.

=حجر في العجاب: ٨٩٥/١، السيوطي في الدر المنثور:٥٧٠/٢، وفي لباب النقول: ١٧١، وهي رواية ابن عباس ، قال صاحب الهيثمي: رواية ابن عباس رواها الطبراني في الكبير والأوسط، وفيها عبد الله بن المؤمل، وثقه ابن حبان، وقال: يخطئ، ووثقه ابن معين في رواية وضعفه جماعة. انظر مجمع الزوائد: باب في أمر مكة من الأذان والحجابة وغير ذلك، ٢٨٥/٣.

(١) الآلوسي: ١٧٨/٤، والإتقان:٤١/١.

(٢) مسلم كتاب: الحج باب: تقليد الهدي وإشعاره عند الإحرام رقم:٢١٨٤.

(٣) النووي على مسلم: ٢٢٨/٨.

(٤) ابن سعدي في تفسير الكريم المنان: ٢١٩/١.

المبحث الثالث

عادت عربية هذبها القرآن الكريم

وكما حفل المجتمع العربي بعادات أقرها القرآن الكريم فذكرها وخلَّدها وسطرها وحياً يتلى إلى يوم القيامة، فقد سجل – أيضاً – عادات وقف القرآن الكريم منها موقف التهذيب والتدرج حتى وصلت إلى الحق الذي أراده الله – تعالى– فرضيه لعباده، ولن نستطيع – في هذه العجالة – أن نأتي علي كل ما هذبه القرآن، بل سنذكر ما تيسر من الأمثلة المبينة لهدايات القرآن، وليكون عنواناً يفتح آفاق هذا الموضوع أمام طلابه وباحثيه، ودونك الأمثلة:

تهذيب عادة المساواة بين الفأل والطيرة:

من عادة العرب العقدية المساواة بين الفأل والطيرة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[النساء:٧٨]، تثبت هذه الآية الكريمة أن الكفار كانوا يتطيرون عندما يقع عليهم ما يكرهونه، وينسبونه إلى الرسول – ﷺ – جهالة وتشاؤمًا، وما علموا أن ذلك من عند الله وحده، بقضائه وقدره، والأصل في التطير: زجر الطير ثم كثر استعمال التطير حتى قيل لكل من تشاءم تطير، وكانت العرب تتيمن بالسانح، وهو الطير الذي يأتي من ناحية اليمين، وتتشاءم بالبارح وهو الطير الذي يأتي من ناحية الشمال، وكانوا يتطيرون – أيضًا – بصوت الغراب، وكانوا يستدلون بمجاوبات الطيور بعضها بعضًا على أمور، وبأصواتها في غير أوقاتها المعهودة على مثل

ذلك، وهكذا الظباء، إلا أن أقوى ما عندهم كان يقع في جميع الطير فسموا الجميع تطيرًا من هذا الوجه، وقد نهى رسول الله - ﷺ - عن الطيرة، فعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: ((**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ**))(١)، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي - ﷺ - الفأل وأبطل الطيرة(٢).

تهذيب عادة التفاخر بالآباء:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠]، من عادات العرب الاجتماعية أنهم إذا قضوا حجهم يقفون عند الجمرة ، فيتفاخرون بالآباء، ويذكرون أيام أسلافهم من بسالة وكرم ، وغير ذلك، حتى أن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه، فنزلت الآية ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية.هذا قول جمهور المفسرين.(٣)

تهذيب عادة رفع الصوت:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة رفع الصوت قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[لقمان:١٩]، هذه الآية الكريمة تأديب من الله - تعالى - للناس بترك الصياح في وجوه

(١) البخاري: كتاب: الطب باب: لا عدوى رقم: ٥٧٥٦.ومسلم: كتاب: السلام وباب:الطيرة والفأل٤١١٦.

(٢) الرازي:١٤/١٧٦.

(٣) ابن كثير: ٨/٢٣٩وانظر: أبا السعود:١/٢٠٩، وتفسير البيضاوي: ١/ ٤٨٧.

غيرهم تهاونًا بهم أو بترك الصياح جملة، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت، فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، وشاع ذلك في أشعارهم، فنهى الله – سبحانه وتعالى – عن هذا الخلق الجاهلي بقوله: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩]، أي: لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار فجعلهم في المثل سواء[(١)]، وقد أمر الله المؤمنين بغَضِّ الصوت في حضرة نبيهم – ﷺ – تأدبا معه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات:٣].

تهذيب عادة التحية:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة العرب في قولهم:حياك الله، قال تعالى:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٨٦] يقول الفخر عن هذه الآية:" اعلم أن عادة العرب قبل الإسلام أنه إذا لقي بعضهم بعضاً قالوا: حياك الله ، واشتقاقه من الحياة كأنه يدعو له بالحياة وطولها، فلما جاء الإسلام أبدل ذلك بالسلام،...واعلم أن قول القائل لغيره: السلام عليك أتم وأكمل من قوله: حياك الله، وبيانه من وجوه : الأول : أن الحي إذا كان سليمًا كان حيًا لا محالة ، وليس إذا كان حياً كان سليمًا، فقد تكون حياته مقرونة بالآفات والبليات، فثبت أن قوله: السلام عليك أتم وأكمل من قوله: حياك الله . الثاني: أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فالابتداء بذكر الله أو بصفة من صفاته الدالة على أنه يريد إبقاء

(١) ابن عطية:٣٥١/٤، القرطبي:٧٢/١٤، الآلوسي:٩١/٢١.

السلامة على عباده أكمل من قوله: حياك الله. الثالث: أن قول الإنسان لغيره: السلام عليك فيه بشارة بالسلامة، وقوله: حياك الله لا يفيد ذلك، فكان هذا أكمل،ومما يدل على فضيلة السلام القرآن والأحاديث والمعقول"(١).

تهذيب عادة الحرمان من الميراث:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالشرع والتي هذبها القرآن بالتدرج فيها عادة حرمان البعض من الميراث، قال تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة :١٨٠] قال ابن عاشور : " هذه الآية تغيير لما كانوا عليه في أول الإسلام من بقايا عوائد الجاهلية في أموال الأموات فإنهم كانوا كثيرا ما يمنعون القريب من الإرث بتوهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه، وربما فضلوا بعض الأقارب على بعض، ولما كان هذا مما يفضي بهم إلى الإحن وبها تختل الحالة الاجتماعية بإلقاء العداوة بين الأقارب كان تغييرها إلى حال العدل فيها من أهم مقاصد الإسلام، وكانت عادة العرب في الجاهلية أن الميت إذا كان له ولد أو أولاد ذكور استأثروا بماله كله، وإن لم يكن له ولد ذكر استأثر بماله أقرب الذكور له من أب أو عم أو ابن عم الأدنى فالأدنى، وكان صاحب المال ربما أوصى ببعض ماله أو بجميعه لبعض أولاده أو قرابته أو أصدقائه، فلما استقر المسلمون بدار الهجرة واختصوا بجماعتهم شرع الله لهم تشريك بعض القرابة في أموالهم ممن كانوا قد يهملون توريثه من البنات والأخوات والوالدين في حال وجود البنين ولذلك لم يذكر الأبناء في هذه الآية، وخص الوالدين والأقربين لأنهم

(١) الفخر: ٣١٢/٥، الآلوسي:٩٨/٥، أبو السعود:٢١١/١، النسفي:٢٣٧/١.

مظنة النسيان من الموصى، لأهم كانوا يورثون الأولاد أو يوصون لسادة القبيلة، وقدم الوالدين للدلالة على أهما أرجح في التبدية بالوصية، وكانوا قد يوصون بإيثار بعض أولادهم على بعض أو يوصون بكيفية توزيع أموالهم على أولادهم، ومن أشهر الوصايا في ذلك وصية نزار بن معد بن عدنان إذ أوصى لابنه مضر بالحمراء، ولابنه ربيعة بالفرس، ولابنه أنمار بالحمار، ولابنه إياد بالخادم، وجعل القسمة في ذلك للأفعى الجرهمي، وقد قيل: إن العرب كانوا يوصون للأباعد طلبًا للفخر ويتركون الأقربين في الفقر، وقد يكون ذلك لأجل العداوة والشنآن، ..ثم إن آية المواريث التي في سورة النساء نسخت هذه الآية نسخًا مجملاً فبينت ميراث كل قريب معين؛ فلم يبق حقه موقوفا على إيصاء الميت له؛ بل صار حقه ثابتا معينا رضي الميت أم كره، فيكون تقرر حكم الوصية في أول الأمر استئناسا لمشروعية فرائض الميراث، ولذلك صدر الله تعالى آية الفرائض بقوله :﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء:١١] فجعلها وصية نفسه – سبحانه – إبطالاً للمنَّة التي كانت للموصى، فعَنْ جَابِرٍ – رضي الله عنه– قَالَ: ((عَادَنِي النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلِمَةَ مَاشِيَيْنِ فَوَجَدَنِي النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – لا أَعْقِلُ شَيْئًا فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَنَزَلَتْ " ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡۖ ﴾))[(١)] فدل على أن آخر عهد بمشروعية الوصايا سؤال جابر بن عبد الله، وفي البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –

(١) البخاري: كتاب:تفسير القرآن، باب: يوصيكم الله في أولادكم، رقم:٤٥٧٧، ومسلم: كتاب الفرائض باب: ميراث الكلالة، رقم: ٣٠٣٢.

قَالَ: كَانَ الْمَالُ لِلْوَلَدِ، وَكَانَتْ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ، فَنَسَخَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ [(١)]. وقد اتفق علماء الإسلام على أن الوصية لا تكون لوارث والأدلة على ذلك متظاهرة". [(٢)]

تهذيب عادة التعدد في الزواج:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة التزوج بأكثر من أربعة، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء:٣] ، هذّب القرآن الكريم عادة التعدد في الزواج، حيث كان الرجل يتزوج الأربع والخمس والست والعشر فيقول الآخر: ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان، فيأخذ مال اليتيم فيتزوج به، فنهوا أن يتزوج الرجل فوق الأربع[(٣)]. قال النحاس:"ولم يزل المسلمون من لدن رسول الله - ﷺ - إلى هذا الوقت يحرمون ما فوق الأربع بالقرآن والسنة". [(٤)]

تهذيب عادة الإيلاء:

من العادات الاجتماعية التي هذبها الشرع الإيلاء، قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٦] فقد "كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها فكان

(١) البخاري: كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث ، رقم:٢٧٤٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٥٠٨/٣.

(٣) وردت روايات يعضد بعضها بعضاً تحكى هذه العادة أوردها الحافظ ابن حجر في العجاب: ٨٢٦/٢.والحافظ السيوطي في الدر المثور ٤٢٧/٢.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٢٩٢.

يتركها بذلك لا أيما ولا ذات بعل، والغرض منه مضارة المرأة ثم إن أهل الإسلام كانوا يفعلون ذلك - أيضا - فأزال الله - تعالى - ذلك وأمهل للزوج مدة أربعة أشهر حتى يتروى ويتأمل، فإن رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها، وإن رأى المصلحة في المفارقة عن المرأة فارقها" قاله سعيد بن المسيب. [1]

تهذيب عادة الظهار:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن الظهار، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[المجادلة:٢]، هذه الآية الكريمة تعيب على المظاهرين قولهم، وتبين أنهم قد عصوا الله وخالفوه؛ لأنهم قالوا قول زور وكذب،و الظهار: قول الرجل لامرأته أنت عليَّ كظهر أمي،أي: في حرمة النكاح، وكان الظهار طلاقًا عند أهل الجاهلية، فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة[2]، قال القرطبي: وحكم الظهار عند بعض العلماء ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقًا، وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس وأبي قلابة وغيرهما[3]، فالقرآن جعل للظهار في الإسلام حكمه وكفارته المخالفة للطلاق.

---

(١) الفخر:٦٩/٦، ابن عطية:٣٠٢/١، والقرطبي:٢٧٠/١٧، وابن كثير:٣٢٢/٤، والبغوي:٢٠٢/١، وابن الجوزي:٢٥٦/١، غريب القرآن : ٥٢٩.

(٢) الزمخشري:٥٢٩/٣، النحاس: ٣٠٢/٣، والشوكاني:١٨١/٥، المحرر الوجيز:٣٦٨/٤ .

(٣) القرطبي:٢٨٧/١٧.

تهذيب عادة الطلاق:

من العادات الاجتماعية: الطلاق، وقد وقف القرآن منها موقف التهذيب بجعله الطلاق مرتين، قال تعالى:﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ﴾ [البقرة:٢٢٩] كان أهل الجاهلية وأهل الإسلام قبل نزول هذه الآية لم يكن لطلاقهم نهاية، حيث كان الرجل يطلق ما شاء، ثم إن راجع امرأته قبل أن تنقضي عدتها كانت امرأته، فعنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ((كَانَ النَّاسُ وَالرَّجُلُ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ مَا شَاءَ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَهِيَ امْرَأَتُهُ إِذَا ارْتَجَعَهَا وَهِيَ فِي الْعِدَّةِ وَإِنْ طَلَّقَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ، حَتَّى قَالَ رَجُلٌ لامْرَأَتِهِ: وَاللَّهِ لا أُطَلِّقُكِ فَتَبِينِي مِنِّي وَلا آوِيكِ أَبَدًا قَالَتْ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: أُطَلِّقُكِ فَكُلَّمَا هَمَّتْ عِدَّتُكِ أَنْ تَنْقَضِيَ رَاجَعْتُكِ، فَذَهَبَتْ الْمَرْأَةُ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَسَكَتَتْ عَائِشَةُ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ – ﷺ – فَأَخْبَرَتْهُ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ – ﷺ – حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ﴾))(١). وبذا هذَّب الإسلام هذه العادة.

التهذيب بالعدة:

من العادات الاجتماعية المتصلة التي هذبها القرآن عادة تخص الطلاق حيث لم يكن للمطلقة عدَّة فنزل القرآن بعدة للمطلقة، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[البقرة:٢٢٨] كان أهل الجاهلية يطلق أحدهم ليس لذلك عدة، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهَا

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الطلاق، باب: ما جاء في طلاق المعتوه، رقم:١١١٣، قَالَ أَبُو عِيسَى وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ شَبِيبٍ.

طُلِّقَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُطَلَّقَةِ عِدَّةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ – ﻷ – حِينَ طُلِّقَتْ أَسْمَاءُ بِالْعِدَّةِ لِلطَّلاقِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أُنْزِلَتْ فِيهَا الْعِدَّةُ لِلْمُطَلَّقَاتِ[1].

تهذيب عادة الإحداد:

من العادات الاجتماعية الإحداد على المتوفى، وقد تدرج القرآن في هذه العادة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤] قال العلماء:" يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل الاحتضار لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى ، وكان ذلك أول الإسلام على الصحيح ، ثم نسخت المدة بقوله تعالى:﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فإنه وإن كان متقدمًا في التلاوة متأخر في النزول، وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن[2]، ومن هنا فلا يحل الإحداد فوق ثلاث إلا على زوج، لحديث زينب بنت أبي سلمة قالت: قال رسول الله – ﷺ –: ((**لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ، إِلا عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**))[3]. وبذا يظهر التدرج المهذَّب لمدة الإحداد، وهذا من باب التخفيف والرحمة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

---

(١) أبو داود:كتاب الطلاق، باب في عدة المطلقة، رقم: ٢٢٨١، وحسَّنه الألباني ٢/٣٤.

(٢) أبو السعود :٢٣٦/١، ابن كثير:٢٨٧/١،٢٩٧، البغوي:٢١٣/١،الألوسي: ١٥٩/٢.

(٣) البخاري:كتاب الجنائز، باب: إحداد المرأة على غير زوجها، رقم: ١٢٨٠.

تهذيب عادة تغيير الأشهر الحرم:

من عادات العرب الاجتماعية: تعظيم الأشهر الحرم، إلا أنهم كانوا يتلاعبون فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧] الآية تكشف عادة من عادات العرب في الجاهلية وهي النسيء في الأشهر الحرم، فهم كانوا يقرون بحرمة القتال في الأشهر الحرم – ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب – إلا أنهم كانوا يستكثرون الأيام دون إغارة على بعضهم البعض، فنتج عن ذلك النسيء للأشهر الحرم الذي هو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر،ليكون في نهاية الأمر ما مجموعه أربعة أشهر حرم في كل عام ولو في غير مكانها،وهذا ما وصفه الله بأنه زيادة في الكفر[1]،ومن هنا كان تهذيب هذه العادة بجعلها في عين مكانها من العام،وجعل التلاعب فيها زيادة في الكفر.

تهذيب عادة الجدال في الحج:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن عادة الجدال في الحج، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة:١٩٧]. وردت صور متعددة تضرب أمثلة على الجدال الذي كان من عادة العرب في معظم الأحوال، والذي تطرّق إلى مناسك الحج، من هذه الأقوال: أن قريشا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة، وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء: نحن أصوب، ويقول

(١) الطبري:٥٤/٦، الزمخشري: ٢٥٧/٢، وابن عطية: ٢٩٠/١، ١٤٦/٢، أبو السعود:٦٣/٤، الآلوسي: ٩١/١٠، النسفي:٨٨/٢. الكلبي: ٧٥/٢، السمرقندي:٤٩١/٣، الواحدي :١٣٠/١.

هؤلاء: نحن أصوب[1]، كلهم يدعى أن موقفه موقف إبراهيم - عليه السلام - فقطعه الله حين أعلم نبيه بالمناسك، وكلهم يدعي تمام حجه، ونقصان حج غيره، قول بعضهم الحج غدًا وقول بعضهم الآخر الحج اليوم، وقد اختار ابن جرير مضمون هذه الأقوال وهو قطع التنازع في مناسك الحج والله أعلم[2]. فالحج أصل قائم والمناسك كائنة، ولكن الذي هذّب هو منطق العرب في جدالهم وخصوماتهم من ذلك لا يليق بالحج ولا يليق فيه.

تهذيب عادة اتباع الهوى في إبداء الرأي:

من العادات الاجتماعية التي هذبها القرآن الكريم: اتباع الهوى في إبداء الرأي، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]، جاء التوجيه في هذه الآية الكريمة مهذباً لعادة عربية قديمة وهي: تكلم المرء بما يشاء هو وفعله لما يحب ولو في حضرة رسول الله - ﷺ - ، فعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ ((أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرْ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدٍ، وَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرْ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَى -أَوْ إِلاَّ- خِلافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلافَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾ حَتَّى انْقَضَتْ الآيَةُ))[3].

قال الحافظ في الفتح:" قَالَ اِبْن عَطِيَّة : الصَّحِيح أَنَّ سَبَب نُزُول هَذِهِ

(١) ابن كثير: ٢٣٩/١.

(٢) ابن كثير: ٢٣٩/١.

(٣) البخاري: كتاب تفسير القرآن: باب: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات، رقم: ٤٤٦٩.

الآيَة كَلام جُفَاة الأعْرَاب . قُلْت: لا يُعَارِض ذَلِكَ هَذَا الْحَدِيث، فَإِنَّ الَّذِي يَتَعَلَّق بِقِصَّةِ الشَّيْخَيْنِ فِي تَخَالُفهمَا فِي التَّأْمِير هُوَ أَوَّل السُّورَة ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ وَلَكِنْ لَمَّا اِتَّصَلَ بِهَا قَوْله :﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ﴾ تَمَسَّكَ عُمَر مِنْهَا بِخَفْضِ صَوْته، وَجُفَاة الأَعْرَاب الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هُمْ مِنْ بَنِي تَمِيم، وَالَّذِي يَخْتَصّ بِهِمْ قَوْله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ ﴾، قُلْت: وَلا مَانِع أَنْ تَنْزِل الآيَة لأَسْبَاب تَتَقَدَّمهَا ، فَلا يُعْدَل لِلتَّرْجِيحِ مَعَ ظُهُور الْجَمْع وَصِحَّة الطُّرُق، وَلَعَلَّ الْبُخَارِيّ اِسْتَشْعَرَ ذَلِكَ فَأَوْرَدَ قِصَّة ثَابِت بْن قَيْس عَقِب هَذَا لِيُبَيِّن مَا أَشَرْت إِلَيْهِ مِنْ الْجَمْع ، ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ كُلّه بِتَرْجَمَةِ " بَاب قَوْله:﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾"، إِشَارَة إِلَى قِصَّة جُفَاة الأَعْرَاب مِنْ بَنِي تَمِيم.[1] فهذه الآية جاءت مهذبة لأهل الرأي من العرب خاصة عند الاختلاف ورفع الصوت بين يدي الله ورسوله.

---

(١) انظر فتح الباري:٨/٤٥٦، وأما ما أشار إليه الحافظ من رأي ابن عطية فهو قوله: كانت عادة العرب وهي- إلى الآن- الاشتراك في الآراء وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب، فمشى بعض الناس ممن لم تتمرن نفسه مع النبي-ﷺ- على بعض ذلك، و..ربما قال قوم لو نزل كذا وكذا في معنى كذا وكذا، وينبغي أن يكون كذا، ...فنزلت الآية...انظر المحرر الوجيز: ٥/١٤٤.

المبحث الرابع
عادات عربية أبطلها القرآن الكريم

كما حفل المجتمع العربي بعادات أقرها القرآن الكريم فذكرها وخلَّدها وسطرها وحياً يتلى إلى يوم القيامة، وحفل بعادات هذبها، فقد سجل – أيضاً – عادات وقف القرآن الكريم منها موقف الرفض والإبطال لخطورتها على المسلمين بصفة خاصة، وعلى الناس بصفة عامة، ولن نستطيع أن نأتي علي كل ما أبطله القرآن – في هذا المقام – بل سنذكر نماذج تكون عنواناً يفتح آفاق هذا الموضوع أمام أهل العلم وذوي الاهتمام، ودونك الأمثلة:

إبطال عادة عبادة الأوثان:

أبطل القرآن عادة عربية تزيل العقيدة من أساسها تتمثل في عبادة الأوثان، حيث قال تعالى:﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾[الحج:٣٠] والرجس: الشيء القذر، والوثن: التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة ونحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها والنصارى تنصب الصليب وتعبده(١)، فجاءت الآية الكريمة بتحريم ذلك وتجريمه فأصبح العرب بصفاء التوحيد إخواناً.

إبطال عادة نسبة نزول المطر ونحوه إلى الأنواء:

من العادات العقدية التي أبطلها القرآن الكريم نسبة حصول الأشياء إلى الأنواء، قال تعالى:﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس:٢١] قوله تعالى:﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ

---

(١) القرطبي:١٢/٥٤.

ءَايَاتِنَا ﴾ أي: بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها، والظاهر أن المراد بالآيات الآيات القرآنية، وقيل: المراد بها الآيات التكوينية كإنزال الحياة، ومكرهم فيها: إضافتها إلى الأصنام والكواكب، وقيل: إن الناس عام لجميع الكفار ولا يجوز حمله على ما يشمل العصاة ، وكانت العرب تضيف الأمطار وكذا الرياح والحر والبرد إلى الأنواء، وهو جمع نوء مصدر ناء ينوء إذا نهض بجهد ومشقة، ويقال ذلك – أيضًا – إذا سقط، فهو من الأضداد، ويطلق على النجم الذي هو أحد المنازل الثمانية والعشرين، وهو المراد في كلامهم إلا أن الإضافة إليه باعتبار سقوطه مع الفجر وغروبه كما هو المشهور أو باعتبار طلوعه ذلك الوقت كما قال الأصمعي، وقد عُد القائل بتأثير الأنواء كافرًا، فقد روى الشيخان عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِد الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّه – ﷺ – **((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، **قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))**[1]، ولعل كون ذلك من الكفر بالله – تعالى – لاعتقاد زعمٍ هو أن للكواكب تأثيرًا اختياريًا ذاتيا في ذلك[2]، وبهذه الآية الكريمة ومثيلاتها خلصت العقيدة من أدران الشرك، إذ لا مؤثر في الكون إلا الله تعالى.

إبطال عادة الاستعاذة بالجن:

من العادات العربية المتصلة بالعقيدة والتي أبطلها القرآن الكريم: استعاذة

---

(١) البخاري : كتاب الجمعة، باب: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون، رقم: ١٠٣٨، ومسلم: كتاب الإيمان باب: بيان كفر من يقول مطرنا بالنوء، رقم :١٠٤.

(٢) الكشاف:٣/٢٩٢،الفخر:١٧/٥٣،البيضاوي:٥/٢٩٣،روح المعاني:١١/٩٣، ٢٩/١٧١،النسفي:٤/٣٠٧.

البشر بعظيم المكان من الجن، وقد صور القرآن هذه العادة السيئة بقوله سبحانه :﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن:٦] أي: إن الجن كانوا يرون أن لهم فضلاً على الإنس؛ لأن الإنس كانوا يعوذون بهم، إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها،يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم زادوهم خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يظل الإنس في خوف دائم لا ينقطع(١).

ولإبطال هذه العادة الشركية أمرنا ربنا ألا نستعيذ إلا به – سبحانه– قال تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١] وقال – أيضاً –:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:١]، والأحاديث بينت أنه لا استعاذة ولا استعانة إلا بالله وحده.

إبطال اعتقاد وجود قلبين في صدر الذكي اللبيب:

من مزاعم العرب الفكرية التي تناقلوها ونزل في إبطالها قرآن يتلى إلى يوم القيامة اعتقادهم بأن الذكي اللبيب له قلبان، قال تعالى:﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: "اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُرَادِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَنَى بِذَلِكَ تَكْذِيبَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَصَفُوا نَبِيَّ اللَّهِ – ﷺ – بِأَنَّهُ ذُو قَلْبَيْنِ، فَنَفَى ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ وَكَذَّبَهُمْ ثُمَّ ذَكَرَ أَثَرَ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا، ثُمَّ قَالَ : وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ عَنَى بِذَلِكَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يُدْعَى ذَا الْقَلْبَيْنِ مِنْ ذِهْنِهِ ثُمَّ ذَكَرَ

(١) القرطبي: ٤٣١/٢، تفسير الثعالبي:١١٦/١ ، المحرر الوجيز: ٢٧٦/١.

مَنْ قَالَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ عَنَى بِذَلِكَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – كَانَ تَبَنَّاهُ فَضَرَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَثَلاً" (١).

قال صاحب غوامض الأسماء المبهمة:" والشاهد لذلك – أي: لنزول الآية في أبي معمر – ما أنبأ به أبو محمد عبد الرحمن بن محمد عن أبيه قال: ثنا أبو علي بن أيوب..عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من قريش من بني فهر يقال له: جميل بن أسد يُكنى أبا معمر وكان راوية للحديث حافظًا له، فكان يرويه ويحدث به قريشًا، فيتعجبون من حفظه للحديث وروايته وكثرة حديثه، فكانت قريش تقول: له قلبان يعني له عقلان في جوفه، وللناس قلب واحد، حتى إذا كان يوم بدر وهزم الله المشركين انهزم أبو معمر بن أسد فيمن انهزم من المشركين، فأخذ في الخيل فتلقى أبا سفيان من وراء الخيل في العير وأبو معمر معلق إحدى نعليه في يده والأخرى في رجله، فقال أبو سفيان: يا أبا معمر ما فعل الناس قال: انهزموا فبين معقول وبين هارب، قال فما بال إحدى نعليك في يدك والأخر في رجلك؟! قال: والله ما شعرت إلا أنهما جميعًا في رجلي؛ فعرفوا حينئذٍ أنه لو كان له عقلان في جوفه ما نسي نعله في يده، فنزلت هذه الآية ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ يعني: أبا معمر، ﴿مِّن قَلْبَيْنِ ﴾ يعني: عقلين، ﴿فِي جَوْفِهِۦ ﴾ يعني: صدره"(٢). وعلى هذا القول فإن الآية تبطل ذلك الزعم، لأن لكل إنسان قلباً واحداً مهما كان.

---

(١) الطبري:١١٨/٢١، والقرطبي: ١١٦/١٤، الآلوسي:١٤٤/٢١، وابن كثير:٤٦٧/٣، تحفة الأحوذي: ٤٣/٩.

(٢) غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال:٧٠٤/٢.

إبطال عادة الدخول على الغير دون إذن:

ومن العادات الاجتماعية التي حرمها القرآن الكريم: عدم الاستئذان، حيث رصد القرآن الكريم هذه العادة ووجهها الوجهة الصحيحة حفاظاً على العورات والأسرار وعلاقات الناس العامة، حيث قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[النور:٥٨].

حدد الله تعالى للمملوكين وللأطفال ثلاث أوقات لا يدخلون فيها إلا بإذن، لأنها أوقات انكشاف العورات وإتيان الزوجات، وهي من قبل صلاة الفجر وحين وضع اللباس وقت الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، وبذا انتهت عادة مرذولة كادت تعصف بالبيوت، وكم شكا منها الصحابة، كما حكى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – بعث غلامًا من الأنصار إلى عمر ليدعوه فوجده نائمًا في البيت فدفع الباب وسلم فلم يستيقظ عمر، فعاد ورد الباب، وقام من خلفه وحركه فلم يستيقظ، فقال الغلام: اللهم أيقظه لي، ودفع الباب ثم ناداه، فاستيقظ وجلس، ودخل الغلام، فانكشف من عمر شيء، وعرف عمر أن الغلام رأى ذلك منه، فقال: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى الرسول – ﷺ – فوجده قد نزلت عليه الآية:" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ... ﴾ ، فحمد الله – تعالى – عند ذلك، وقال بعضهم:

نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت: إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد، وقيل: دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فيه فأتت رسول الله – ﷺ – فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت الآية[١].

وعندما يبلغ الطفل الحلم عليه أن يستأذن إن أراد الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، لقوله تعالى:"﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور:٥٩].

إبطال الإسلام عادة الاختلاط:

من العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم:الاختلاط،قال تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

قال الإمام النووي والخطابي في شرح حديث جابر بن عبد الله– رضي الله عنه– ((..**وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ**))[٢]:كَانَ الْحَدِيث مِنْ الرِّجَال إِلَى النِّسَاء مِنْ عَادَات الْعَرَب لا يَرَوْنَ ذَلِكَ عَيْبًا وَلا يَعُدُّونَهُ رِيبَة، فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَة الْحِجَاب، وَصَارَتْ النِّسَاء مَقْصُورَات ؛ نَهَى عَنْ مُحَادَثَتهنَّ وَالْقُعُود إِلَيْهِنَّ. [٣]

---

(١) أورد المفسرون هذه الأسباب وغيرها. انظر: الفخر:٢٦/٢٤، وابن كثير:٣٠٤/٣، والسيوطي في الدر المنثور: ٢١٧/٦.

(٢) مسلم: كتاب: الحج باب: حجة النبي – ﷺ – رقم:٢١٣٧.

(٣) النووي على مسلم:١٨٤/٨، والسيوطي في الديباج: ٣٢٦/٣، وعون المعبود:٥٦٣/٥. وحاشية السندي على ابن ماجة: ١٠٨/٤.

ومن العجيب قيام الغرب برعاية مؤتمرات عالمية أهمية الهدف منها إشاعة الاختلاط بين الذكور والإناث على كل المستويات التعليم، العمل ...، واعتبار عدم الاختلاط بين الجنسين نوعاً من التخلف الرجعي الذي يجب على المسلمين أن ينتهوا عنه ، والله غالب على أمره.

إبطال عادة التبرج:

من العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم : عادة التبرج، وقد نهى القرآن الكريم عنها فقال– عز من قائل– :﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣] والتبرج: إظهار الزينة، والنهي عنه نهي عن إظهار المرأة لزينتها ومحاسنها – كقلائدها وقرطها وعنقها وكل ما يصاحب ذلك من تكسر أو تغنج– للرجال، قاله مقاتل.

وقد فسر العلماء تبرج الجاهلية الأولى بأقوال منها: ما كان عليه نساء الجاهلية من الانكشاف والتعرض للنظر، في أزمان سابقة كزمن ما بين آدم ونوح – عليهما السلام – ، والجاهلية الأخرى من كان بعده، وقيل: زمن ما بين موسى وعيسى – عليهما السلام – ، أو زمن ما بين عيسى ومحمد– عليهما السلام – وقيل: الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر وما قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى: حال من عمل في الإسلام بعمل الكافرين والفاسقين ، ويؤيد ذلك قوله – ﷺ – لأبي ذر: ((**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**)) أي: خصلة من خصال الجاهلية، أو فيك جهل [1]، قال الجصاص:" فهذه الأمور كلها مما أدب الله

(١) الفخر: ١٨١/٢٥، وابن كثير :٤٨٣/٣، والكلبي :١٣٧/٣، وأبو السعود : ١٠٢/٧.والحديث رواه البخاري كتاب: الإيمان باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها.رقم:٣٠.وانظر فتح الباري:٨٧/١، ٤٦٨/١٠.

تعالى به نساء النبي - ﷺ - صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بها".[١]

إبطال عادة التعري عند الطواف:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالعبادات والمرفوضة: عادة الطواف بالبيت مع التجرد من الثياب، وقد أبطل الله - تعالى - هذا الصنيع الأخرق، وأنزل قرآناً يتلى إلى يوم القيامة حيث قال تعالى: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، قال ابن عباس: إن أهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، وكانوا إذا وصلوا إلى مسجد منى طرحوا ثيابهم، وأتوا المسجد عراة، وقالوا: لا نطوف في ثياب أصبنا فيها الذنوب، ومنهم من يقول: نفعل ذلك تفاؤلاً حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب، وكانت المرأة منهم تتخذ ستراً تعلقه على حقويها لتستتر به، وأما الحِمس - وهم قريش - فإنهم كانوا لا يفعلون ذلك، وكانوا يصلون في ثيابهم، ولا يأكلون من الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً، فقال المسلمون: يا رسول الله فنحن أحق أن نفعل ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أي: البسوا ثيابكم وكلوا اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا.[٢] هذا وقد أمَّرَ رسولُ الله-ﷺ- أبا بكر على الحج بالناس وأنفذه، ثم أتبعه علي بن أبي طالب على ناقته العضباء، وأمره أن يؤذن في الناس بأربعة أشياء، وهي: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وفي

(١) الجصاص في أحكام القرآن:٥/٢٣٠. قلت: لقد عاب القرآن على أهل الجاهلية ما يعد الآن حشمة - إن صح التعبير - إذا ما قيس بتبرج أهل زماننا هذا مما يجعل الحليم حيرانَ، فماذا نحن فاعلون مع العري والمجون والفوضى التي عصفت بمجتمعات المسلمين ؟ الجواب في شيء واحد لا ثاني له هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فالذي أصلح أولنا هو وحده الذي يصلحنا.

(٢) الشنقيطي:٤/٢٤١، ابن جزي:٢/٣١، الفخر:١٤/٥٠ ، والمحرر الوجيز:٣/٦.

بعض الروايات: ولا يدخل الجنة كافر، ولا يطوف بالبيت عريان.[1]

ولكذبهم كانوا يلصقون كل خطيئة أو فاحشة بالله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٨]، ومن هنا قضى القرآن الكريم على هذه العادة المرذولة، وغسل المجتمع المسلم من أدرانها.

إبطال عادة اتخاذ الأخدان:

أبطل القرآن عادة اجتماعية متصلة بالحلال والحرام وهي عادة الزنى في السر باتخاذ الأخدان، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء:٢٥] قال القرطبي: قيل: المسافِحة: المبذولة، وذات الخدن: التي تزني بواحد - يعني في السر -، وكانت العرب تعيب الإعلان بالزنى ولا تعيب اتخاذ الأخدان، ثم رفع الإسلام جميع ذلك، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ..﴾، وقال- أيضاً- : ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ... وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ... ﴾ [الأنعام:١٥١] ، وقال- أيضاً- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] [2].

ومما نحذر منه في أيامنا هذه ما انتشر في بعض المجتمعات من فساد أخلاقي داخل بعض البيوت المسلمة وغيرها أدى إلى الزنى بين المحارم في السر، وذلك

(١) البخاري: كتاب: الصلاة، باب: ما يستر من العورة، رقم:٣٦٩، ومسلم: كتاب الحج ، باب: لا يحج بعد العام مشرك.

(٢) القرطبي: ١٤٣/٥، والشوكاني: ٤٥١/١.

لأسباب متعددة منها: مشاهدة القنوات الفضائية الداعرة، ودخول النت دون ترشيد، وغياب الأب مدة طويلة عن بيته، وعمل المرأة وترك الأولاد دون رقيب، وتشجيع المجتمع الدولي للفساد ومحاربة العفة عالميًا ، حتى أصبح القابض على دينه كالقابض على جمر.

إبطال عادة القذف والرمي:

ومن العادات الاجتماعية التي لا تمت إلى الشريعة بصلة: القذف ورمي المحصنين والمحصنات، وقد نهى الله – تعالى – عن هذا المرض وأبطله فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] قال الفخر: قيل المراد من الآية : النهي عن القذف ورمي المحصنين والمحصنات بالأكاذيب ، وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكروها في الهجاء ويبالغون فيه(١).

وقد تظاهرت الآيات محذرة من هذا العيب المشين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:٢٣].

إبطال عادة وراثة المرأة:

من العادات الاجتماعية الظالمة التي قضي عليها الإسلام قضاء مبرماً: جعل المرأة موروثة شأنها شأن الجماد والحيوان، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ... ﴾ [النساء:١٩]، وسبب نزول هذه الآية الذي جاء بألفاظ متعددة كلها يبين عادة العرب في غمط المرأة حقها : ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : ((كانوا إذا مات

(١) الفخر: ٥٢/١٠، النيسابوري: ١٠٤/٥.

الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فترلت)) [1]، وفي لفظ لابن جرير وابن أبي حاتم عنه: ((فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها)) [2]، يقول ابن حجر: كانت هذه العادة في الجاهلية، في أهل المدينة، وقد استمرت في أول الإسلام إلى أن نزلت هذه الآية ، وبذلك جزم الواحدي [3].

والمقصود من الآية نهي الأولياء عن ظلم المرأة [4]، وبإبطال هذه العادة الظالمة أصبحت المرأة لا تورث بل لها هي الحق في الميراث وتملّك المال، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

إبطال عادة مراجعة المرأة استخفافا بها:

من العادات الاجتماعية السيئة مراجعة المرأة بهدف الاستخفاف بها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ

---

(١) كتاب التفسير، باب: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا رقم:٤٥٧٩.

(٢) الطبري:٤/٣٠٥.

(٣) فتح الباري: ٨/ ٢٤٧.

(٤) والدر المنثور:٢/٤٦٢، الطبري:٤/٣٠٥، القرطبي: ٥/٩٤، وابن كثير:١/٤٦٦، الآلوسي: ٤/٢٤١، والجصاص:٣/٤٦، والسيوطي في لباب النقول: ٦٥. ومن صور هذه العادة ما حكاه الزهري وأبو مجلز قالا: كان من عاداتهم إذا مات الرجل وله زوجة ألقى ابنه من غيرها أو أقرب عصبته ثوبه على المرأة، فيصير أحق بها من نفسها ومن أوليائها، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئًا، وإن شاء عضلها لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت فيرثها، فترلت الآية.انظر الشوكاني :١/٤٤٠.

بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣١]. فقد بين الله – تعالى – في هذه الآية أنه يجب احترام أمر النساء، ومن ذلك أمر الطلاق والرجعة ، وعدم اتخاذ ذلك هزوًا، يقول أبو حيان:"والذي يظهر أنه– تعالى– لما أنزل آيات تضمنت الأمر والنهي في النكاح، وأمر الحيض والإيلاء،والطلاق والعدة،والرجعة والخلع،وترك المعاهدة، وكانت هذه أحكامها جارية بين الرجل وزوجته، وفيها إيجاب حقوق للزوجة على الزوج، وله عليها، **وكان من عادة العرب عدم الاكتراث بأمر النساء والاغتفال بأمر شأنهن**،وكنّ عندهم أقل من أن يكون لهنّ أمر أو حق على الزوج، فأنزل الله فيهنّ ما أنزل من الأحكام، وحدّ حدوداً لا تتعدى، وأخبرهم أن من خالف فهو ظالم متعدٍّ، أكد ذلك بالنهي عن اتخاذ آيات الله – التي منها هذه الآيات النازلة في شأن النساء – هزءًا ، بل تؤخذ وتتقبل بجد واجتهاد، لأنها من أحكام الله، فلا فرق بينها وبين الآيات التي نزلت في سائر التكاليف التي بين العبد وربه، وبين العبد والناس" .(١) وهذه الآية ومثيلاتها ترد على كل زاعق أو ناعق يتهم الإسلام بعدم تحرير المرأة.

إبطال عادة عضل المرأة:

ومن عادات العرب الاجتماعية التي أبطلها القرآن عادة عضل المرأة بالتحكم في تزويجها، بل ومنعها ممن تحب انتصاراً من وليها لمصلحته هو، ضارباً بالمرأة وبمستقبلها عرض الحائط، قال تعالى محذراً: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ

---

(١) أبو حيان: ٤١٧/٢.

﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

هذه الآية جاءت رداً على عادات العرب في الجاهلية والتي بموجبها كان الرجال يتحكمون في تزويج النساء، إذ لم يكن يزوّج المرأة إلا وليُّها، وقد يزوجها بمن تكره، ويمنعها ممن تحب لمصلحته هو، فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ((أَنَّهُ زَوَّجَ أُخْتَهُ رَجُلاً مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَكَانَتْ عِنْدَهُ مَا كَانَتْ ثُمَّ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً لَمْ يُرَاجِعْهَا حَتَّى انْقَضَتْ الْعِدَّةُ، فَهَوِيَهَا وَهَوِيَتْهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا مَعَ الْخُطَّابِ، فَقَالَ لَهُ: يَا لُكَعُ أَكْرَمْتُكَ بِهَا وَزَوَّجْتُكَهَا فَطَلَّقْتَهَا !! وَاللَّهِ لا تَرْجِعُ إِلَيْكَ أَبَدًا آخِرُ مَا عَلَيْكَ، قَالَ: فَعَلِمَ اللَّهُ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا وَحَاجَتَهَا إِلَى بَعْلِهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ... ﴾..فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْقِلٌ قَالَ: سَمْعًا لِرَبِّي وَطَاعَةً، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ))(١).

وبذا كان التحذير الصارم من الله للكف عن منع المرأة ظلماً وعضلها.

إبطال زواج الرجل من امرأة أبيه:

من سيء العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم زواج الرجل من امرأة أبيه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٢٢].

قال ابن جزي الكلبي:" كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده فنزلت الآية تحريمًا لذلك، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية بمعنى العقد"(٢).

---

(١) الترمذي كتاب:تفسير القرآن باب:ومن سورة البقرة رقم: ٢٩٠٧ ، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) ابن جزي الكلبى في التسهيل لعلوم التنـزيل: ١/١٣٥.

وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقتي أو مقيت، وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية. وعن البراء بن عازب قال: مر بي خالي ومعه لواء فقلت أين تذهب؟ قال: بعثني النبي-ﷺ- إلى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه (١)، وذلك لأن زوجة الأب تشبه الأم وكان نكاح الأمهات من أقبح الأشياء عند العرب، فلما كان هذا النكاح يشبه ذلك لا جرم كان مستقبحًا عندهم، فبين الله – تعالى – أن هذا النكاح أبدًا كان ممقوتًا وقبيحًا، ومراتب القبح ثلاثة القبح في العقول وفي الشرائع وفي العادات،فقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ إشارة إلى القبح العقلي، وقوله:﴿وَمَقْتًا﴾ إشارة إلى القبح الشرعي، وقوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ إشارة إلى القبح في العرف والعادة،ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح.(٢)

إبطال عادة الجمع بين الأختين:

ومن عادات العرب الاجتماعية التي هدمها القرآن المجيد وأبطلها: الجمع بين الأختين، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣]، استثنى سبحانه من الإثم المفهوم من التحريم في الآية زواج الأختين الذي وقع قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام فأزاله، وهذا أرجح الأقوال.(٣)

(١) صحيح ابن حبان: ٤٢٣/٩، رقم:٤١١٢.وسنن ابن ماجه :كتاب الحدود، باب من تزوج امرأة أبيه من بعده، ٨٦٩/٢، رقم: ٢٦٠٧.وسنن الترمذي: كتاب الأحكام، باب فيمن تزوج امرأة أبيه ٦٤٣/٣، رقم: ١٣٦٢، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

(٢) الفخر:٢١/١٠، ٦٠/١٢٠.

(٣) ابن عطية:٣٤/٢، والبيضاوي:١٦٩/٢، الكلبي في التسهيل:١٣٥/١.

وقد حكم الله – تعالى – على زواج الأختين بأنه فاحشة لليقين بعدم صلاح الحياة مع هذا الزواج، والآية تقتضي تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم، وقد خيَّر رسول الله – ﷺ – من جمع بين الأختين باستبقاء أيتهما، فعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَسْلَمْتُ وَتَحْتِي أُخْتَانِ قَالَ: ((**اخْتَرْ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ**))[1]. وبالقرآن والسنة قضى الله – تعالى – على هذه العادة الفاحشة إلى الأبد.

إبطال عادة تطفيف الموازين:

ومن العادات العربية الاجتماعية التي أبطلها القرآن: تطفيف الموازين، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

أول سورة نزلت بعد الهجرة سورة "ويل للمطففين" كما قال مجاهد[2]. وقد كان أهل المدينة أبخس الناس كيلاً أو أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله هذه السورة لتعالج مرض التطفيف ، قال السيوطي: أخرج ابن ماجه بسند صحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: ((لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ – ﷺ – الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلاً فَأَنْزَلَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ – ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ، فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ))[3].

---

(١) سنن الترمذي:كتاب النكاح: باب: ما جاء في الرجل يسلم وعنده أختان، رقم:١٠٤٩.وقال أبو عيسى: حديث حسن.

(٢) فتح الباري: ٦٧٨/٨.

(٣) السيوطي في لباب النقول: ٢٢٨، وسنن ابن ماجه: كتاب التجارات، باب: التوقي في الكيل=

وقد عالج القرآن هذه العادة في أكثر من موضع(١)؛ لنعتبر ونصطلح مع الله ونبتعد عن الظلم الواقع من خلال الموازين، حيث إنه عين السرقة وأكل المال بالباطل والله تعالى يقول:﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:١٨٨] .

إبطال عادة أكل مهر المرأة:

من العادات الاجتماعية التي أبطلها القرآن الكريم: أكل مهر المرأة، قال تعالى:﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء:٤].

لما كان هضم حق المرأة في امتلاكها مهرها شائعاً في مجتمع العرب الأوائل؛ كان هذا الأمر القرآني بإيتاء النساء مهورهن نحلة، أي: فريضة مسماة وديناً، فالنحلة في اللغة معناها: الديانة والملة والشرعة والمذهب، كما قال السلف - رضوان الله عليهم - ، أو النحلة: العطية عن طيب نفس من غير مطالبة من النساء؛ لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة، كما قال القفال وأبو عبيدة.

والخطاب في الآية **إما لأولياء النساء**؛ لأن عادة بعض العرب كانت

=والميزان رقم:٢٢١٤.وصحيح ابن حبان: ٢٨٦/١١، رقم:٤٩١٩.

(١) كالأنعام:١٥٢،والإسراء:٣٥، والرحمن:٩،.. وكذلك ذكر القرآن أن التطفيف كان من عادات بعض الأقوام السابقين كقوم شعيب - عليه السلام - الأعراف:٨٥، والشعراء : ١٨١.وذكر في سبب نزول سورة المطففين - أيضاً - "أن رجلاً كان له مكيالان كبير وصغير إذا اكتال لنفسه على غيره اكتال بالمكيال الكبير وإذا كال من عنده لغيره اكتال بالمكيل الصغير ففي كلتا الحالتين تطفيف أي تنقيص على الناس من حقوقهم"انظر الكشاف: ٧١٩/٤، وزاد البغوي في سبب نزول سورة المطففين رواية السدي: " قدم رسول الله - ﷺ - المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية فالله تعالى جعل الويل للمطففين. البغوي:٤٥٧/٤، والألوسي :٦٧/٣٠.

تقضي بأكل ولي المرأة مهرها فرفع ذلك الإسلام، ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت: هنيئًا لك النافجة، ومعناه أنك تأخذ مهرها إبلاً فتضمها إلى إبلك فتنفج مالك أي: تعظمه، وقيل:النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان إذا زوج ابنته، فنهى الله- تعالى - عن ذلك وأمر بدفع الحق إلى أهله، وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة، **أو للأزواج** أمروا بإيتاء النساء مهورهن، وهذا قول علقمة والنخعي وقتادة واختيار الزجاج[1]، قال تعالى:﴿.. وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:٢٠]، قال ابن كثير:" قال عبد الرحمن بن أسلم: ليس ينبغي لأحد بعد النبي- ﷺ - أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب، وأن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتما مع طيب النفس" [2]، قلت: ليتنا نلتزم في مجتمعنا المسلم بهذا الأدب القرآني، ونبهج البنات بمهورهن،والبنين بالتيسير عليهم، وبذا نصيب عين الإسلام النقي الخالص.

إبطال عادة التبني:

من العادات الاجتماعية التي قضى عليها القرآن قضاءً مبرماً عادة التبني، حيث قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب:٣٧]. لما كان من عادة العرب تحريم الزواج من المتبنِّي لامرأة المتبنَّى، بيَّن الله- تعالى- حلِّية ذلك من خلال ما

(١) الفخر :١٤٦/٩،وابن عطية:٨/٢، والسمعاني: ٣٩٧/١، السيوطي في لباب النقول: ٦٤،

(٢) ابن كثير:٤٥٢/١، وابن حجر: ٢٤٦/٨.

نزل في حق السيدة زينب بنت جحش- رضي الله عنها- وزيد بن حارثة- رضي الله عنه- متبنَّى النبي-ﷺ- فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب:٣٧]، أي: لكي لا يظن ظان أن امرأة المتبنى لا تحل للمتبني، وقوله- سبحانه -﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ خطاب خاص بالنبي-ﷺ- وقد صرح – تعالى- بشمول حكمه لجميع المؤمنين في قوله :﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ ، وبذا قطع اليقين ما اعتاده العرب في هذه القضية(١).

قال السمعاني:"وقد كانت العرب تعد ذلك- أي: الزواج من مطلقة المتبني – حرامًا فنسخ الله التبني، وأحل امرأة المتبنين"(٢).

وقال القرطبي:" وقد كان التبني معمولاً به في الجاهلية والإسلام ، يتوارث به ويتناصر إلى أن نسخ الله ذلك بقوله: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥] أي: أعدل، فرفع الله حكم التبني ومنع من إطلاق لفظه وأرشد بقوله إلى أن الأولى والأعدل أن ينسب الرجل إلى أبيه نسبا، يقال: كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه من الرجل جَلَده وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له نصيب الذكر من أولاده من ميراثه، وكان ينسب إليه فيقال: فلان ابن فلان، وقال النحاس: هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقرآن فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه المعروف، فإن لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولائه، فإن لم يكن له ولاء معروف، قال له يا أخي،

---

(١) الواحدي : ٨٦٧/٢. الشنقيطي: ٣٧٨/١

(٢) تفسير السمعاني: ٢٥٨/٤، ٢٨٩.

يعني:في الدين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات:١٠](١).

وقال ابن عطية في تفسير آية﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣]: وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ تخصيص ليخرج عنه كل من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وكان عندهم أمراً كثيراً قوي الحكم(٢)، والعلم عند الله تعالى.

إبطال عادة سفك الدماء:

أبطل القرآن الكريم عادة اجتماعية كادت تقضي على المجتمع العربي لسيادة القتل وسفك الدماء بسبب عدم وجود قصاص رادع، قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩]هذا من الكلام البليغ الوجيز، ومعناه: لا يقتل بعضكم بعضًا، رواه سفيان عن السدي عن أبي مالك، والمعنى: أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر مخافة أن يقتص منه فحييا بذلك معًا، وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمى قبيلاهما وتقاتلوا، وكان ذلك داعيًا إلى قتل العدد الكثير، فلما

(١) القرطبي: ١١٩/١٤.وانظر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٢٦.

(٢) ابن عطية:٣٤/٢

شرع الله القصاص قنع الكل به، وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة[١]. ولكن نبتت نابتة في بعض مجتمعات المسلمين لا ترضى بحل المشكلات المتعلقة بالدماء عن طريق ولي الأمر، بل ارتضت أخذ ثأرها بنفسها دون الرجوع لأحد؛ مما جعل القتل يتعدى حدوده ليصل إلى ذرية الذرية من الطرفين، بل من الأطراف؛ مما أورث الفوضى وأشاع الكراهية وشريعة الغاب، في حين أن الحل الناجع في كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ- كما بينا.

إبطال عادة قتل الأولاد:

من عادات العرب الاجتماعية التي نزل بسببها القرآن محذراً فاعلها، ومخطئاً إياه: قتل الأولاد، وقد جاء النهي عن ذلك في آيات متعددة منها قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾[الممتحنة:١٢] ،وقتل الأولاد عند العرب كان من الفقر ومن خوف الفقر، قال تعال:﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام:١٥١]وقال تعالى- أيضًا -:﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٣١][٢].

إبطال عادة وأد البنات:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالحلال والحرام والتي قضى عليها الإسلام قضاءً مبرماً: عادة وأد البنات، قال تعالى:﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨-٩]، حيث كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد بقاء

(١) القرطبي: ٢/٢٥٦.

(٢) ابن عطية: ٥/٢٩٩.

حياتها ألبسها جبة من صوف أو شعر لترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قامتها ستة أشبار، فيقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أقاربها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء، فيبلغ بها إلى البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، روى عكرمة عن ابن عباس: كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتًا رمتها في الحفرة، وإذا ولدت ابنًا أمسكته.

والذي حملهم على وأد البنات: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٣١] [(١)].

وفي ذات قضية- وأد البنات- أنزل الله تعالى قوله:﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[الأنعام:١٤٠]، حيث نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفهًا بغير علم؛ لخفة أحلامهم وجهلهم

---

(١) وقد افتخر الفرزدق به في قوله:

ومنا الذي منع الوائدات		فأحيا الوئيد فلم توأد

وانظر: الزمخشري: ٧٠٨/٤، والفخر: ٦٤/٣١، أبوالسعود: ١١٥/٩، البغوي: ٤٥٢/٤، البيضاوي: ٤٥٧/٥، الآلوسي: ٥٢/٣٠، النسفي: ٣١٩/٤. وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد، وقد ذكر الآلوسي قصة هي السبب في وأد البنات، فقال: ورأيت في بعض الكتب أن أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة، وذلك أنهم أُغير عليهم فنهبت بنت لأمير لهم فاستردها بعد الصلح، فخيرت برضا منه بين أبيها ومن هي عنده، فاختارت من هي عنده وآثرته على أبيها، فغضب وسن لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم ومخافة أن يقع لهم بعد مثل ما وقع، وشاع في العرب غيرهم، والله تعالى أعلم بصحة ذلك، الآلوسي: ٥٢/٣٠.

بأن الله هو رازق أولادهم لا هم(١).

إبطال عادة احتقار أهل الأعذار:

من عادات العرب الاجتماعية السيئة التي أبطلها القرآن الكريم عادة: احتقار أهل الأعذار، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾[النور:٦١].

هذه الآية بينت أصنافاً من أهل الأعذار تحرَّجوا من مخالطة مجتمعهم، أو تحرَّج مجتمعهم منهم لسطوة العادة السيئة، وتمكنها من نفوس الكثير من الناس، فكان توجيه الله عباده إلى الصواب المتمثل في التواد والتراحم والتعاون بين أبناء الأمة الواحدة بكل أطيافها، وقد اختلف الناس في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأصناف الثلاثة، فظاهر الآية وظاهر أمر الشريعة أن الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم إليه العذر، وتقتضي نيتهم الإتيان فيه بالأكمل، ويقتضي العذر أن يقع منهم الأنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا، قال الحافظ في الفتح:" ذَكَرَ أَهْل التَّفْسِير أَنَّهُمْ - أي العرب - كَانُوا إِذَا اجْتَمَعُوا للأكْلِ عُزِلَ الأَعْمَى عَلَى حِدَة، وَالأَعْرَج عَلَى حِدَة، وَالْمَرِيض عَلَى حِدَة، لِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ أَكْل الأَصِحَّاء فَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَتَفضَّلُوا عَلَيْهِمْ ..بل كَانَ الأعْمَى يَتَحَرَّج أَنْ يَأْكُل طَعَام غَيْره لِجَعْلِهِ يَده فِي غَيْر مَوْضِعهَا، وَالأَعْرَج كَذَلِكَ لاتِّسَاعه فِي

(١) الزمخشري:٦٨/٢، أبو السعود:٣/ ١٩١، البغوي:١٣٥/٢، و الألوسي: ٣٧/٨ ، فتح القدير: ١٦٨/٢.

مَوْضِع الأَكْل، وَالْمَرِيض لِرَائِحَتِهِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة، فَأَبَاحَ لَهُمْ الأَكْل مَعَ غَيْرهمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي سَبَب نُزُول الآيَة أَثَر آخَر مِنْ وَجْه صَحِيح، قَالَ عَبْد الرَّزَّاق أَنْبَأَنَا مَعْمَر عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد " كَانَ الرَّجُل يَذْهَب بِالأَعْمَى أَوْ الأَعْرَج أَوْ الْمَرِيض إِلَى بَيْت أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ قَرِيبه، فَكَانَ الزَّمْنَى يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا يَذْهَبُونَ بِنَا إِلَى بُيُوت غَيْرهمْ، فَنَزَلَتْ الآيَة رُخْصَة لَهُمْ "[1] فكانت الآية نهياً صريحا عن أخلاق الجاهلية.

إبطال عادة السخرية

قال تعالى: " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:١١].

قبل الشروع في بيان عادة السخرية وموقف القرآن الكريم منها،أحب أن أنوه بأنه قد ورد في نزول الآية المذكورة أسباب كثيرة أكثر من أن تحصى- والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – لذا قال ابن عطية "عندي أن هذه الآية نزلت تقويمًا كسائر أمر الشرع، ولو تتبعت الأسباب لكانت أكثر من أن تحصى".[2]

وهذه الآية الكريمة تضع أيدينا على جرح يسغب دماً في جسد هذه الأمة، هذا الجرح يتمثل في السخرية من الغير، كبراً وغطرسة واحتقاراً لخلق الله، وقد كان العرب في جاهليتهم أكثر الناس أنفة وسخرية، فجاء القرآن فهذبهم وأخذ بأيديهم إلى أقوم طريق، مبطلاً هذه العادة السيئة من خلال أكثر من آية، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ

(١) فتح الباري: ٥٢٩/٩، وانظر: ابن عطية:١٩٥/٤، القرطبي:٣١٣/١٢، وابن كثير: ٣٠٦/٣.

(٢) المحرر الوجيز ١٤٩/٥.

لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٧٩] وقوله سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [البقرة:٢١٢] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦] ، هذه الآيات وغيرها أثّرت في حياة السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - حتى أفرطوا في توقيهم وتصونهم ، حتى قال بعضهم:" لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع"، وقال الآخر:"البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبًا" (١).

وعلى هذا فلا ينبغي لمن رأى مسلمًا في حالة رثة تظهر بها عليه آثار الفقر والضعف أن يسخر منه ، أو أن يسخر من صاحب عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته، فلعل من يسخر منه أخلص ضميرًا وأنقى قلبًا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهزاء بمن عظمه الله(٢).

ولعلنا نقف على الحكمة من تعبير القرآن الكريم بقوله: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ... وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾ دون أن يقول: "لا يسخر رجل من رجل ولا امرأة من امرأة" على التوحيد، وذلك لإعلامنا بإقدام غير واحد من رجال العرب وغير واحدة من نسائه على السخرية،ولاستفظاع شأن العرب الذي كانوا عليه، ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه

(١) القرطبي :٣٢٥/١٦

(٢) أضواء البيان - الشنقيطي :٤١٣/٧.

من النهي والإنكار فيكون شريك الساحر وتلوه في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك - وإن أوجده واحد - إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقومًا[1]. وما أشبه اليوم بالبارحة عندما نسخر من بعض خلق الله لمهنة شريفة إلا أن المجتمع يحتقرها، أو من صنف من الناس لأنهم لم ينالوا حظًا من الدنيا ، أو من بعض الآدميين للون بشرتهم، أو لانحدارهم من غصن ضعيف في العائلة أو القبيلة أو.... وقد نسي الساخر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[الحجرات:١٣]، فالمعول عليه هو تقوى القلوب، لا قوة الأجسام، ولا علو الأنساب، ولا شرف الأحساب ، ولا كثرة الأموال، ولا ولا... روى مسلم في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :((**إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**)) [2].

فالكل لآدم وآدم من تراب. ولله در القائل:

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

نفس كنفس وأرواح مشاكلة ... وأعظُم خلقت فيهم وأعضاء

فإن يكن لهم من أصلهم حسب ... يفاخرون به فالطين والماء[3]

إبطال عادة تحريم الحلال من المطعومات:

من العادات المتصلة بالحلال والحرام التي أبطلها القرآن الكريم: عادة

(١) الكشاف - الزمخشري :٣٧٠/٤. أبو السعود :١٢١/٨

(٢) مسلم كتاب: البر والصلة باب:تحريم ظلم المسلم رقم: ٤٦٥١.

(٣) القرطبي: ٣٤٢/١٦. وقد نسبه لعلي - رضي الله عنه - .

اختلاق التحليل والتحريم بهوى النفس، قال تعالى:"﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[المائدة:١٠٣].

هدم القرآن الكريم عادة عربية سيئة حولت الحلال إلى حرام، وذلك من خلال ما شرعوه في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ودونك التفصيل:

أما البحيرة فمأخوذة من البحر وهو الشق، ومن عادة العرب شق أذن الناقة التي نتجت عشرة أبطن، فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر، ويتركونها ترعى وترِد الماء ويُحَرَّم لحمها على النساء ويحلل للرجال، فنهى الله -تعالى- عن ذلك نهياً صريحا[1].

وأما السائبة من الأنعام: فهي ما كانت العرب تتخذها شكراً لله كالقُربة عند المريض يبرأ منه، والقدوم من السفر، وإذا نزل بأحدهم أمر يشكر الله عليه تقرب بأن يسيب ناقة فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره، يرون ذلك كعتق بني آدم، ذكره السدي وغيره، وكانت العرب تعتقد أن من عرض لهذه النُّوق فأخذها أو انتفع منها بشيء فإنه تلحقه عقوبة من الله[2].

وأما الوصيلة فهي الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة فكان آخر ذلك جديًا ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة، وإن كانت عناقًا استحيوها، وإن كانت جديًا وعناقًا استحيوا الجدي من أجل العناق فإنها وصيلة وصلت أخاها[3].

وأما الحام : فالفحل يضرب في الإبل عشر سنين، ويقال: إذا ضرب ولد ولده قيل: قد حمي ظهره، فيتركونه لا يمس ولا ينحر أبدًا ولا يمنع من كلأ يريده،

---

(١) لسان العرب: بحر، ٤/٤٣.

(٢) ابن عطية:٢/٢٤٨، الثعالبي:١/٤٩٣.

(٣) الطبري: ٧/٩١.

وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها[1].

وقد علق الفخر نقلاً عن القفال: "إن في تحريم العرب للحلال كـالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وفي تحليلهم للحرام كالميتة والدم..عدم وفاء بالعقود التي أمر الله بالوفاء بها في قوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ [المائدة:١][2]. وقد أراح الله عباده بإبطال هذه الفرية إلى يوم القيامة.

إبطال عادة تحليل الحرام من المطعومات:

من العادات العربية المتصلة بالحلال والحرام وقد أبطلها القرآن الكـريم: عادة أكل ما لم يأذن به الله، كأكل الميتة، والدم، ولحم الخنـزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، لقوله تعالى:

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣].

وقد نصت الآية على أنواع من المحرمات كان العرب يستحلونها منها: الميتة، والدم أي : المسفوح ولحم الخنـزير، وما أهل لغير الله به : يعني مـا ذبح لغير الله – تعالى- وقصد به صنم أو بشر من الناس، كما كانت العـرب تفعل وكذلك النصارى، وعادة الذابح أن يسمي مقصوده ويصيح بـه فـذلك إهلاله، والمنخنقة أي: التي تموت خنقًا، والموقوذة أي: التي ترمى أو تـضرب بعصا وشبهها، والمتردية: التي تتردى من علو إلى سفل تموت، والنطيحة: فعيلـة بمعنى مفعولة، وما أكل السبع: يريد كل ما افترسه ذو ناب وأظفار من الحيوان،

(١) الطبري:٩١/٧.

(٢) الفخر:٥٣/١٧، البغوي:٤١٠/١.

وكانت العرب تأكل هذه المذكورات ولم تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع [(١)].

وما ذبح على النصب: عطف على المحرمات المذكورة، والنصب: حجارة تنصب يذبحون عليها، قال ابن جريج: وليست النصب بأصنام، فإن الصنم يصور وينقش، وهذه حجارة تنصب، وكانت العرب تعبدها، قال ابن زيد: ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به شيء واحد، لكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة أمره.[(٢)] وبعد تفصيل هذا التحريم أصبح الباقي حلالاً بأمر الله رب العالمين.

إبطال تحريم بعض الأطعمة على النساء:

ومن العادات المتصلة بالحلال والحرام التي أبطلها القرآن الكريم: تحريم بعض الأطعمة على النساء فحسب، قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام:١٣٩]، أي: ومن مذاهب المشركين الفاسدة قولهم: ما في بطون الأنعام من أجنَّة خرجت حية لا ميتة فهو خالص لذكورنا ومحرم على نسائنا، وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث- وقيل: ما في بطونها أي : الألبان - على رأي- سيجزيهم وصفهم، أي: سيعاقبهم الله إذ شرَّعوا لأنفسهم من التحليل والتحريم ما لم يأذن به الله، إنه - تعالى- حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم، وهو زجر على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق، وهذا يظهر أن الأشياء التي يقولون: إن هذا

(١) الثعالبي: ١/٤٤٠.

(٢) تفسير الثعالبي: ١/٤٤١. وابن عطية:١/١٥٠.

حلال وهذا حرام كذب وافتراء على الله. [1] وبهذه الآية التي توعدهم الله بها على سيء صنيعهم أبطل هذا الفساد الذي لا وجه له إلا القبح والكذب على الله- تعالى-، والتفريق المشين بين الذكور والإناث.

إبطال عادة أكل الربا:

من العادات العربية السيئة التي أبطلها القرآن وهي متصلة بالاقتصاد عادة أكل الربا قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٧٨] سبب نزول الآية: "أن أهل مكة كانوا يرابون فلما أسلموا عند فتح مكة أمرهم الله – تعالى – أن يأخذوا رؤوس أموالهم دون الزيادة، وقيل سبب نزول الآية: أنه كان بين قريش وثقيف ربًا في الجاهلية فلما فتح رسول الله – ﷺ – مكة قال: في خطبته كل ربا كان في الجاهلية موضوع، ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش فأبوا من دفعه، وقالوا: قد وضع الربا، فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله-ﷺ- فنزلت الآية[2]. وقيل غير ذلك[3].

وبيت القصيد يكمن في كون الربا الذي يزيد الغنيَّ غنى والفقير فقراً، ويزيد المجتمع ظلماً،كان منتشرًا بين العرب، وجاء الإسلام فحرمه بكل أنواعه وأشكاله، بل ولعن الله فيه آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه إذا علموا به،والآثار في ذلك كثيرة.

إبطال عادة شرب الخمر:

من العادات العربية التي أبطلها القرآن العظيم وهي تتصل بالحلال

(١) الفخر:١٧١/١٣، الطبري:٤٨/٨، والثعالبي:٥٦٢/١، وأبو السعود:١٥٦/٤

(٢) الفخر:٨٦/٧، والكلبي: ٩٥/١.

(٣) الفخر:٨٧/٧. وقد تركت ما يتعلق بتعريف الربا وبيان أنواعه لكتب الفروع.

والحرام: عادة شرب الخمر، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]، معلوم أن الخمر كانت المشروب الأكثر رواجاً لدى العرب، وقد أحدثت من الخبائث ما أحدثت فصدت عن ذكر الله وعن الصلاة، وفرَّقت بين الناس، ونشرت الفوضى بين العرب وكانت بحق أم الخبائث، لذا حرمها الله بالقرآن والسنة، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ((سَمِعْتُ عُمَرَ – رضي الله عنه– عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهْيَ مِنْ خَمْسَةٍ: مِنْ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالْعَسَلِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ)).(١)

وقد سلك الشارع الحكيم في تحريمها مسلكاً متدرجاً اقتلع به أمَّ الخبائث من معاقريها وذلك بفضل الله ثم بفضل دعاء الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه، كما روى أصحاب السنن، ((عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ :﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي النِّسَاءِ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ:" ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [النساء:٩١]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا)) (٢).

---

(١) البخاري: كتاب الأشربة، باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب، رقم: ٥٢٦٦. ومسلم: كتاب التفسير، باب: في نزول تحريم الخمر، رقم:٣٠٣٢.

(٢) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة رقم:٢٩٧٥، قَالَ أَبُو عِيسَى: وَقَدْ =

قال القفال – رحمه الله – : والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله – تعالى– علم أن القوم قد كانوا ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيرًا، فعلم أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق ذلك عليهم[1]. ومن ناحية أخرى فإن الله – تعالى – أحل الطيبات كلها من المأكول والمشروب لتغني من أراد الغناء عن كل محرم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] ولكثرة الطيبات لم يرد لها تفصيل، أما المحرَّم فمفصَّل لقلته قال تعالى:﴿ ...وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ [الأنعام:١١٩].

إبطال عادة المكاء والتصدية:

من العادات الاجتماعية المتصلة بالعبادات والتي أبطلها القرآن: المكاء والتصدية،قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٥]، أي: إن صلاة المشركين وعبادتهم عند المسجد الحرام لم تكن رهبة ولا رغبة بل صفيرًا بالفم، وتصفيقًا باليد لأجل خلط الصلاة على المسلمين.

قال ابن عطية: وذهب أكثر المفسرين إلى أن المكاء والتصدية إنما أحدثها الكفار عند مبعث رسول الله – ﷺ – لتقطع عليه وعلى المؤمنين قراءتهم وصلاتهم ويخلط عليهم، فكان المصلِّي إذا قام يقرأ من المؤمنين اكتنفه من الكفار عن يمينه وشماله من يمكو ويصدي حتى تختلط عليه قراءته،فلما نفى الله– تعالى– ولايتهم

= رُوِيَ عَنْ إِسْرَائِيلَ هَذَا الْحَدِيثُ مُرْسَلٌ ..وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ.

(١) الطبري:١٠٧/٣، الفخر: ٣٥/٦، والسيوطي في لباب النقول : ٩٧.

للبيت ﴿...وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ...﴾ [الأنفال:٣٤]؛ أمكن أن يعترض معترض بأن يقول: وكيف لا نكون أولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده ؟!! فقطع الله هذا الاعتراض بأن قال: وما كان صلاقم إلا المكاء والتصدية، وهذا كما يقول رجل: أنا أفعل الخير فيقال له: ما فعلك الخير إلا أن تشرب الخمر وتقتل أي: هذه عادتك وغايتك(١).

ولمّا توعدهم الله في ختام الآية بما توعدهم به أقلعوا عن ذلك، وبذا أبطل القرآن الكريم هذه العادة التي كانت تَنْهى عبداً إذا صلى.

إبطال عادة اعتقاد أن البر في إتيان البيوت من ظهورها:

من العادات التي أبطلها القرآن الكريم وهي تتصل بالعبادات: إتيان البيوت من ظهورها بعد الإحرام، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:١٨٩]، عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ:((كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾)) (٢).

وكأهم كانوا يتحرجون من الدخول من الباب من أجل سقف الباب أن يحول بينهم وبين السماء صرح به الزهري في رواية ابن جرير عنه، ويعدون فعلهم

(١) ابن عطية:٢/٥٢٤، وقال ابن عطية: " وقيل إن المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديما قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشرع والله أعلم ٢/٥٢٤.وانظر الطبري:٩/٢٤١، وابن كثير: ٢/٣٠٨، وابن الجوزي:٣/٣٥٢.

(٢) البخاري : كتاب تفسير القرآن، باب:قوله(لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا) رقم: ٤٥١٢، وابن حجر في العجاب في بيان الأسباب: ١/٤٦٢، والسيوطي في لباب النقول:٣٦ .

ذلك براً ، فبين لهم أنه ليس ببر[١]. وظل الحرج من دخول البيوت من أبوابها في الجاهلية وفي أول الإسلام حتى أبطله القرآن بتجريده عن البر [٢].

إبطال عادة تحليل شعائر الله:

من العادات المتصلة بالعدوان على طاعة أمر الله، والتي أبطلها القرآن الكريم: عادة تحليل شعائر الله، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [المائدة:٢] والشعائر: جمع شعيرة، أي: قد أشعر الله أنها حده وطاعته فهي بمعنى معالم الله، وقال ابن الكلبي: كان عامة العرب لا يعدون الصفا والمروة من الشعائر، وكانت قريش لا تقف بعرفات فنهوا بهذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٢]، وكانت العرب مجمعة على ذي القعدة وذي الحجة والمحرم، وكانت تطول عليها الحرمة، وتمتنع من الغارات ثلاثة أشهر، فلذلك اتخذت النسيء وهو أن يحل لها ذلك[٣].

وخلاصة الأقوال أن هذه الآية تحكي نهياً صريحا لعادات متعددة كانت عند العرب اتحدت كلها على مخالفة ما أمر الله به، سواء أكان ذلك حرم الله، أم مناسك الحج، أم إخراجهم الصفا والمروة من عموم الشعائر، أم تأخير بعض الأشهر التي يحرم فيها القتال من الإغارة، أم غير ذلك، والنهي الوارد في الآية الكريمة يمثل جدعاً لأنف الهوى، ومحواً لمظاهر الشر في المجتمع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) الطبري:٢/١٨٦، الآلوسي:٢/٧٣.

(٢) انظر الفخر: ٥/١٠٦، وما أورده من أسباب لنزول هذه الآية.

(٣) ابن عطية: ٢/١٤٦.

الخاتـــمة

بعد رحلة قرآنية مع هذا البحث ؛ أستطيع رصد النتائج الآتية:

- بيان أن أمة الإسلام أمة مرحومة؛ لأن الله هو الذي سددها ونبهها ونقاها.

- معرفة أن مدار صلاح الكون منوط بصلاح المسلمين.

- أن دراسة هذا الموضوع جددت الأمل فينا بأننا نستطيع - بفـــضل الله - الثبات على مبادئ ديننا، وتهذيب ما يجب تهذيبه مما اعترى حياتنا وعاداتنـــا، وإبطال كل دخيل مدسوس على عقيدتنا أو عبادتنا أو معاملاتنا أو أخلاقنا...

- بيان أن العادة تبدأ بخاطرة، وتتوسط بعمل، وتنتهي بعادة وديـــدن، فـــإن كانت هذه العادة طيبة فنعم المقدمات لأفضل النتائج، وإن كانت الأخرى فلا نلوم إلا أنفسنا.

- أضاف البحث دليلاً جديداً على وسطية الإسلام واعتداله، حيث لم يقف من كل العادات موقفاً واحداً، بل أقر وهذَّب وأبطل، كلاً بحسبه، وذلك عين النَّصَفة والعدل.

- أن دراسة هذا الموضوع أبانت عن مدى حاجة المفسر لمعرفة عادات العرب إذ بمعرفتها يسترشِد المفسر ويسدَّد.

-كون العادة من أصيل المجتمعات البشرية فهي هويتهم وعمق ثقافتهم، ومن هنا يجب أن تصان العادات الطيبة من العبث أو الإضرار بها.

-كشف البحث عن عادات عقدية، واجتماعية واقتصادية، حظيـــت كلـــها بعناية القرآن الكريم.

- رد البحث على الأدعياء في أمور متعددة، خاصة موضوع المرأة التي رفعت

إلى مقام ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾.

أهم التوصيات:

أوصي بعمل موسوعة للعادات العربية من خلال القــرآن الكــريم، نستفيد منها في حل مشكلاتنا الحاضرة على نور من كتاب ربنا – سبحانه .

فهرس المراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن للسيوطي**،دار الفكر بلبنان، ١٤١٦/١٩٩٦م، الأولى ت:سيد المندوب.

٢- **أحكام القرآن** للجصاص- دار إحياء التراث العربي- بيروت – ١٤٠٥- ت: محمد الصادق قمحاوي .

٣- **إرشاد العقل السليم** لأبي السعود العمادي - دار إحياء التراث - بيروت - د .ت.

٤- **أسباب الترول** للواحدي - دار الباز للنشر والتوزيع - مكه المكرمة . د.ت.

٥- **أضواء البيان** للشنقيطي - دار الفكر ببيروت، ١٤١٥هـ - ت: مكتب البحوث والدراسات.

٦- **الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي - مؤسسة العلم للطباعة - القاهرة - ١٩٩٠م.

٧- **أنوار التتريل** وأسرار التأويل للبيضاوي - دار الفكر - بيروت - د .ت.

٨- **البحر الرائق** شرح كتر الدقائق لابن نجيم - دار الكتاب الإسلامي — د. ت.

٩- **بحر العلوم** للسمرقندي دار الفكر - بيروت - ت: د.محمود مطرجي.د.ت.

١٠- **البحر المحيط** لأبي حيان - الكتب العلمية - بيروت - الأولى.

١١- **تحفة الأحوذي للمباركفوري** - دار الكتب العلمية - بيروت .

١٢- **التحرير والتنوير** لابن عاشور - دار سحنون - تونس.

١٣- **التسهيل لعلوم التتريل** للكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣/١٩٨٣م- الرابعة.

١٤- **تفسير السمعاني** - دار الوطن - الرياض - ١٤١٨/١٩٩٧م - الأولى - ياسر غنيم .

١٥- **التعريفات** للجرجاني دار الكتاب العرب بيروت ١٤٠٥- الأولى ت:إبراهيم الأبياري .

١٦- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ -

١٧- **تيسير الكريم الرحمن** لابن سعدي، الرسالة بيروت، ١٤٢١/ ٢٠٠٠م.

١٨- **الجامع لأحكام** القرآن للقرطبي - دار الشعب - القاهرة - د .ت.

١٩- **جامع البيان** للطبري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

٢٠- **الجامع الصحيح** للبخاري - دار ابن كثير - بيروت — ١٤٠٧.

٢١- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** الثعالبي - مؤسسة الأعلمي - بيروت — د.ت

٢٢- **حاشية الجمل** سليمان بن منصور الجمل - دار الفكر – بيروت.

٢٣- **حاشية السندي على ابن ماجة** - كتاب الكتروني - من المكتبة الشاملة .

٢٤- **درر الحكام في شرح مجلة الأحكام** لعلي حيدر، دار الجيل بيروت — د. ت.

٢٥- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** للسيوطي - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣م — د. ت.

٢٦- **الديباج على صحيح مسلم** للسيوطي - دار ابن عفان - الخبر - ١٤١٦/١٩٩٦م - ت: أبو إسحاق الحويني.

٢٧- **روح المعاني** للآلوسي - دار إحياء التراث - بيروت .

٢٨- **زاد المسير** لابن الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤- الثالثة.

٢٩- **سنن ابن ماجه** - شركة الطباعة العربية - بيروت - لبنان - ١٩٨٤م.

٣٠- **سنن أبي داود** - المكتبة العصرية - بيروت - د ت.

٣١- **سنن الترمذي** - دار التراث العربي - بيروت - ت : أحمد شاكر.

٣٢- **شرح النووي على مسلم**، إحياء التراث العربي بيروت - ١٣٩٢- الثانية

٣٣- **صحيح ابن حبان** - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤/١٩٩٣م.

٣٤- **صحيح سنن أبي داود** - مكتبة المعارف - الرياض - الأولى - ١٤١٩/١٩٩٨م.

٣٥- **صحيح مسلم** - إحياء التراث العربي - بيروت - ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي د .ت.

٣٦- **العجاب في بيان الأسباب** لابن حجر، دار ابن الجوزي،١٤١٨ /١٩٩٧م ، الأولى، ت: عبد الحليم الأنيس.

٣٧- **عون المعبود** للعظيم آبادي،دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥- - الثانية — د. ت

٣٨- **غوامض الأسماء المبهمة** لابن بشكوال - عالم الكتب - بيروت - الأولى - ١٤٠٧، تحقيق د. عز الدين على السيد، ومحمد كمال الدين عز الدين.

٣٩- **غريب القرآن** للسجستاني - دار قتيبة - ١٤١٦/١٩٩٥م - ت: محمد أديب جمران .

٤٠- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** للنيسابوري - دار الكتب العلمية - لبنان — د.ت.

٤١- **فتح الباري** لابن حجر - المكتبة السلفية - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - ١٤٠٧هـ -.

٤٢- **فتح القدير** للشوكاني - دار الفكر - بيروت — د.ت.

٤٣- **كتب ورسائل ابن تيمية** - مكتبة ابن تيمية - الثانية - ت عبد الرحمن النجدي.دت.

٤٤- **الكشاف** للزمخشري - دار إحياء التراث - بيروت - ت: عبد الرزاق المهدي.

٤٥- **لباب التأويل في معاني التنزيل** للخازن - دار الكتب العلمية - بيروت

٤٦- **لباب النقول في أسباب النزول** للسيوطي - دار إحياء العلوم - بيروت - د .ت.

٤٧- **لسان العرب** لابن منظور - دار صادر - بيروت - الأولى.

٤٨- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لابن عطية الأندلسي - دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣/١٩٩٣ الأولى - ت: عبد السلام محمد .

٤٩- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** لأبي البركات النسفي، مصطفي الحلبي - مصر ت د ت.

٥٠- **المصباح المنير** للفيومي - الأميرية بمصر - عناية حمزة فتح الله - د.ت.

٥١- **معالم التنزيل للبغوي** - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.

٥٢- **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس - ط الحلبي - الأولى - بتحقيق عبد السلام هارون.

٥٣- **مفاتيح الغيب** للفخر الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى — ١٤٢١هـ .

٥٤- **المفردات** للراغب الأصفهاني ، دار ابن قتيبة - الأولى — د.ت.

٥٥- **مقدمة ابن خلدون** - دار ابن خلدون بالإسكندرية بمصر - ب.ت.

٥٦- **الموسوعة الفقهية**: وزارة الأوقاف الكويتية.

٥٧- **الناسخ والمنسوخ** للنحاس، مكتبة الفلاح بالكويت ١٤٠٨ الأولى ت: محمد عبد السلام.

٥٨- **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير - المكتبة العلمية - بيروت - ت طاهر الزاوي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	ص
الملخص	٦٧
المقدمة	٦٨
المبحث الأول: العادة	
تعريفها – منشؤها — أقسامها	٧١
موقف التشريع الإسلامي منها	٧٣
أهميتها عند المفسرين	٧٣
الألفاظ ذات الصلة	٧٦
المبحث الثاني	
عادات عربية أقرَّها القرآن الكريم	
الجوار	٧٧
تولي توثيق العهد ونقضه برجل من ذات القبيلة	٧٨
تعظيم حرمة البيت	٧٩
السقاية	٧٩
الحجابة	٨١
تقليد الهدي وإشعاره	٨٢
المبحث الثالث	
عادات عربية هذبـــها القرآن الكريم	
عادة المساواة بين الفأل والطيرة	٧٣
التفاخر بالآباء	٨٤
رفع الصوت	٨٤
التحية	٨٥
الحرمان من الميراث	٨٦
التعدد في الزواج	٨٨
الإيلاء	٨٨
الظهار	٨٩
الطلاق	٩٠
التهذيب بالعدة	٩٠
الإحداد	٩١
تغيير الأشهر الحرم	٩٢
الجدال في الحج	٩٢
اتباع الهوى في إبداء الرأي	٩٣
المبحث الرابع	
عادات عربية أبطلها القرآن الكريم	
عبادة الأوثان	٩٥
نسبة نزول المطر ونحوه إلى الأنواء	٩٥
الاستعاذة بالجن	٩٦
اعتقاد وجود قلبين في صدر اللبيب	٩٧
الدخول على الغير دون إذن	٩٩
الاختلاط	١٠٠
التبرج	١٠١
التعري عند الطواف	١٠٢
اتخاذ الأخدان	١٠٣

الموضوع	ص
القذف	١٠٤
وراثة المرأة	١٠٤
مراجعة المرأة استخفافاً بها	١٠٥
عضل المرأة	١٠٦
زواج الرجل من امرأة أبيه	١٠٧
الجمع بين الأختين	١٠٨
تطفيف الموازين	١٠٩
أكل مهر المرأة	١١٠
التبني	١١١
سفك الدماء	١١٣
قتل الأولاد	١١٤
وأد البنات	١١٤
احتقار أهل الأعذار	١١٦
السخرية	١١٧
تحريم الحلال من المطعومات	١١٩
تحليل الحرام من المطعومات	١٢١
تحريم بعض الأطعمة على النساء	١٢٢
أكل الربا	١٢٣
شرب الخمر	١٢٤
المكاء والتصدية	١٢٥
اعتقاد أن البر في إتيان البيوت من ظهورها	١٢٦
تحليل شعائر الله	١٢٧
الخـــــــاتمة	١٢٨
فهرس المراجع	١٣٠

وحدة النسق في السورة القرآنية

فوائدها وطرق دراستها

رشيد الحمداوي

* من مواليد الدار البيضاء بالمغرب عام ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م.
* نال الإجازة من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة القاضي عياض بمراكش،كما نال دبلوم الدراسات العليا المعمقة (الماجستير) من دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا في " مؤلفات التفسير والحديث بالغرب الإسلامي".
* له عدة بحوث، منها: "المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند ابن الزبير الغرناطي من إصدار مكتبة أولاد الشيخ بمصر سنة ٢٠٠٣م". و "قواعد الترجيح في التفسير عند ابن جزي الأندلسي".

الملخص

يتناول هذا البحث خصيصة من خصائص السور القرآنية وهي وحدة النسق، ونعني بها تماسك بناء السورة القرآنية واتساق معانيها المتشعبة التي تتضمنها ضمن غرض محوري واحد دون تنافر أو تفكك.

والدلائل على تميز سور القرآن بهذه السمة متوافرة بشكل يجعلها وجهًا من أوجه الإعجاز. وقد وفق العلماء المتقدمون في استجلاء هذه السمة ودراستها في علمين من علوم القرآن : الأول علم المناسبات الذي عني بأوجه الارتباط بين الآي والسور، والثاني علم مقاصد السور الذي أبدعه برهان الدين البقاعي، وبفضله تنبه بعض المفسرين - لا سيما من المعاصرين- إلى أن لكل سورة غرضًا محوريًا تدور عليه جميع آياتها،فعنوا ببيانها في تفاسيرهم.

ومن خلال تتبع بعض التفاسير القرآنية تبينت بضعة فوائد لملاحظة وحدة نسق السورة في تفسير أجزائها، منها تيسير التفسير،وتسديد فهم بعض ما أشكل على المفسرين،وترجيح ما اختلفوا فيه،واستجلاء أسرار تكرار القصص واختلاف الآيات المتشابهة اللفظ. بالإضافة إلى الوقوف على الأصح من المناسبات بين الآي واستكناه بعض الحكم التربوية واللطائف المعنوية المكنونة فيها. وهذه الفوائد تنبئ عن أهمية دراسة نسق السور القرآنية وجعله مرتكزًا في التفسير السديد لكتاب الله المجيد .وقد خلصت إلى بيان طرق استجلاء الغرض المحوري للسورة، وحددتها في أربعة مسالك وهي: تدبر فواتيح السورة وخواتيمها،وتقسيمها إلى مقاطع حسب مضمونها، ومعرفة زمن نزولها، والاستئناس بأسمائها المأثورة.ولا ريب أن الالتفات إلى نسق السورة القرآنية واستحضارها في التفسير سيثمر دراسات قرآنية جديرة بالأخذ بيد المسلم نحو فهم مراد الله تعالى وملامسة هداياته في كلامه.

المقدمة

القرآن الكريم هو كتاب الله الحكيم ،وآيته الظاهرة ومعجزته الخالدة على مر العصور، وقد نزله الله تعالى على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم – على خلاف الكتب السماوية السابقة – مُنجّماً حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة،وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه آيات أمر أصحابه بكتابتها في مواضعَ يُعيّنها حسبما أوقفه عليه جبريل عليه السلام دون مراعاة لترتيب النزول، وقد تألف مما جمع على هذا النحو سُوَر مؤتلفة المباني متسقة المعاني، لا تكاد تحس بأدنى خلل في بنائها أو تنافر بين أجزائها. وبهذه السور وقع التحدي، وصحت المعجزة كما في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٢].

وقد اهتم العلماء منذ وقت مبكر بدراسة أسرار نظم آي القرآن الكريم تحت مسمى الإعجاز بالنظم تارة، وبعنوان علم المناسبات تارة أخرى، إلا أن تفسير القرآن ظل بمنأى عن بيان وحدة نسق السورة والتحام موضوعاتها واتساق أجزائها بحيث تترامى في جملتها إلى غرض واحد،وبقيت المناسبات بين الآيات والسور لونًا من ألوان النكت التفسيرية التي تظهر بعض أسرار ترتيب القرآن المعجز دون أن ترقى إلى جعل السورة بنية متماسكة لها مقصود واحد. ومع أن بعض المفسرين تنبهوا إلى أن لكل سورة غرضًا محوريًا تدور عليه جميع آياتها فإن أكثرهم لم يستصحبوا هذا الملحظ في تفسير أجزائها وبيان ارتباط معانيها.

وقد تزايد الاهتمام بالتناسق الموضوعي في القرآن تسديدًا لعلم التفسير ، وتجديداً لطرائق التعامل مع القرآن الكريم وتدبر آياته وسوره.

وقد اخترت أن أستعمل للدلالة على هذه الخصيصة القرآنية مصطلح وحدة

النسق[١]، وأعني بها: التحام موضوعات السورة القرآنية وتماسك بنائها واتساق معانيها لخدمة مقصود واحد. وأعني بالنسق[٢]بناء السورة الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين آياته. وقد يعبر عنه بعض الباحثين بسياق السورة العام، إلا أن كلمة " النسق " – في رأيي – أدل على التكامل والتناسب من الناحيتين المعنوية والبيانية، وأشمل لأجزاء السورة، بخلاف السياق الذي يراد به سوابق الآية ولواحقها.كما أن وحدة النسق أدل على إحكام بناء السورة من التناسق الموضوعي الذي يدل على تناسب مواضيعها فحسب.

وقد عبر كثير من الكاتبين عن هذا المفهوم بالوحدة الموضوعية[٣]، ولكنني آثرت التعبير بوحدة النسق دفعا لما قد يُتَوهّم من أن إضافة الوحدة الموضوعية إلى السورة يقضي بأن لها موضوعًا واحدًا[٤]، فالحقيقة أن معظم السور القرآنية متعددة المواضيع، ولكنها مع تعددها متحدة في هدف عام تتجه إليه، ملتحمة في نسيج واحد دون تنافر أو تفكك؛ وما يعبر عنه بعض الكاتبين بأنه موضوع السورة إنما هو هدفها المحوري الذي تدور عليه جميع موضوعاتها. وهو ما سأتناوله في هذا البحث، بيانًا لجهود العلماء من المتقدمين والمعاصرين فيه، وإيضاحًا لطرائق استجلائها وفوائد ملاحظتها في التفسير .

---

(١) وقد سبقني إلى هذا المصطلح د أحمد أبو زيد في كتابه " التناسب البياني في القرآن " .منشورات كلية الآداب بالرباط ١٩٩٢م .

(٢) هذه الكلمة وردت في نص لأبي إسحاق الشاطبي حيث يقول عن سورة المؤمنون:" إلا أنه غلب على نسقها ذكر الكفار للنبوة"الموافقات (ج ٣ / ٣١٢)وفي كلام محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم (١٥٦).

(٣) وهذه التسمية سائغة اعتبارًا بكون المقصود بها هي وحدة موضوعات السورة ، ولكنني اخترت استعمال "وحدة النسق "، ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٤) وممن يوحي كلامه بهذا المعنى الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في مثل قوله "حول وحدة موضوع السورة القرآنية" (قواعد التدبر الأمثل ٤٢) وفي تعبيره تسامح،وإلا فإن معظم السور متعددة الموضوعات.

المبحث الأول

دلائـــل وحـــدة النســق القرآنـــي

من خصائص القرآن الكريم أنه لم يُفرِد كل سورة من سوره لموضوع معين في الغالب(١)، بل كان يجمع في السورة الواحدة مواضيع متنوعة وأغراضًا مختلفة من عقائد وأحكام ومواعظ وقصص وأمثال وجدل وحكم ويتنقل بينها من غير فصل. وهو بذلك مباين لمناهج التأليف البشرية التي تعتمد التبويب والترتيب،وهذا ما جعل المغرضين من المستشرقين كدوزي وبلاشير وغيرهم يطعنون في القرآن ويرون أن آياته لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق ! بل في سرده للموضوعات عشوائية واضطراب، وزعموا أن ذلك يعزى إلى البدائية والبساطة في طريقة التأليف مما يدل على أنه فكر بشري لا وحي إلهي!(٢)

ومن ثم أوصوا بإعادة الحياة للمصحف - في زعمهم - وذلك بترتيب القرآن وسوره وفق السياق التاريخي المعقول بناء على أسباب النزول،تيسيرًا للقارئ الغربي ومساعدة له على فهم القرآن،وسار على ذلك بعض مترجمي المصحف؛ وفي ذلك يقول بلاشير(٣)معلقًا على اقتراح

---

(١) واحترزت بقولي " الغالب" لاستثناء قصار السور فإن أكثرها يتناول موضوعًا واحدًا .

(٢) انظر آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان (٢ /٥٧٩) دار طيبة، ط ١، ١٩٩٣م.

(٣) مستشرق فرنسي : من أشهر كتبه " تاريخ الأدب العربي "، و"دراسة حول القرآن " وله مقالات عديدة في أشهر مجلات الاستشراق . تراجع ترجمته في مجلة الوعي الإسلامي ع٢٨٨ - ذو الحجة ١٤٠٨ هـ -ص ١٥ ويراجع " المستشرقون" للأستاذ نجيب العقيقي (١ /٣٠٩ - ٣١٢)ط دار المعارف.

نولدكه[1] بإعادة ترتيب السورة : " ويتوصل القارئ الغربي إذ ذاك بمنطق لا تكلف فيه إلى الاقتناع بأن الحياة قد أعيدت للمصحف،فما عاد يظهر على شكل متتابع مصطنع وغير منتظم للنصوص،بل على شكل سلسلة من الموضوعات،عالجها محمد خلال عشرين سنة وفقًا لمقتضيات دعوته " [2] .

والحقيقة أن التاليَ لأي سورة من مطلعها إلى ختامها لا يشعر بنشاز أو اضطراب، ولا يرى انقطاعًا أو انفصالاً، بل يخلص من معنى إلى آخر خلوصًا طبيعيًا لا عسر فيه ولا اقتسار، وتنطوي هذه الخصيصة في تمازج المعاني والأغراض في سور القرآن على عدة حِكَم كما سيأتي،من أظهرها أنه يكون سببًا لطرد سآمة القارئ والسامع وتجديد نشاطهما،مما يجعل الإنسان لا يمل من ترداد القرآن الكريم وسماعه.

و عند إمعاننا للنظر في كتاب الله المجيد نجد الدلائل متضافرة على أن آياتِ القرآن وكَلِمَه محكمة البنيان متناسقة الأركان،ومن هذه الدلائل :

١- إن القرآن ليس كلام أحد من البشر،وإنما هو كلام الحكيم العليم سبحانه،وهو كلام من له الكمال المطلق،فله الأسماء الحسنى والصفات العلى ، ومن ثم لا يمكن أن ترى ثغرة في بنائه أو تنافرًا في أجزائه أو تفككًا في معانيه،فكمال حكمته تعالى وسعة علمه سبحانه تقتضي إيقاع المباني والمعاني

---

(١) مستشرق ألماني : حصل على الدكتوراه في علوم القرآن وكان عنوان رسالته " أصل وتركيب سور القرآن " وقد أعاد النظر فيها وفي توثيق مراجعها ونشرها بعنوان " تاريخ النص القرآني " وله مؤلفات أخرى . تراجع ترجمته كاملة في " المستشرقون " (٢ / ٣٧٩- ٣٨٣).

(٢) "القرآن : نزوله ، وتدوينه وترجمته وتأثيره " لـبلاشير- الفصل الأول (ص ٢٣- ٤٤) ط دار الكتاب اللبناني /بيروت ط ١ ١٩٧٤م .

على أبدع نظام، وقد وصف تعالى كتابه بالإحكام فقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال تعالى منبهًا على كمال علمه وحكمته: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

وكثيرًا ما يستفتح السور القرآنية بوصف القرآن بالإحكام والتنويه بعلو مصدره وعظمة المتكلم به سبحانه تنبيهًا للقارئ على عظم قدر ما يتلقاه وسمو مضمونه، وطردًا لكل الوساوس التي تهجس في نفس السامع من جهة تعدد موضوعاته وتشعب معانيه أو غرابة أحكامه. ومن تأمل مطالع معظم سور القرآن التي تتسم بالطول نسبيًا وجد هذا الأمر مطردًا على نحو يجعلنا نجزم بوجود مقصود عظيم وراء ذلك، وكلما كانت السورة مجالاً فسيحًا لتعدد موضوعاتها كلما كان التأكيد على عظمة القرآن أشد، والتنبيه على إحكامه وإعجازه أقوى.

ولننظر على سبيل المثال سورة البقرة، فإنها أطول سور القرآن وأكثرها تشعبًا في مضامينها، ولذلك افتتحت بنفي الريب الذي قد يتردد في الصدور من القرآن، فقال تعالى مشيرًا إلى علو قدره: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] كما افتتح سورة الأعراف - وهي من السبع الطوال - بقوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢] وفي مطلع آل عمران بين الله إنزال القرآن بالحق وموافقته للكتب السابقة - لتوجه السورة بالخطاب في شطرٍ منها إلى أهل الكتاب - فقال سبحانه: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

ونجد سوراً أخرى افتتحت بالتنبيه على حكمة الكتاب:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس :٢، ولقمان:٢]، أو وصف القرآن بالحكمة كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[يس : ٢-٥].

وفي سور أخرى يقرن تعالى إنزال القرآن بصفاته العليّة :﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الزمر :١ والأحقاف:٢ والجاثية :٢]،﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [غافر:٢]. وفي سور أخرى يقرن إنزال القرآن بنفي الريب والعوج واتسامه بالحق والاستقامة:﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة:٢].﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد:١].﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ [الكهف:١].

وكما وصف آيات القرآن بالإحكام وصف السورة بذلك فقال تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [محمد:٢٠].

ولو شاء الله تعالى لأنزل القرآن الكريم دون تقطيعه إلى سور، أو أنزل كل سورة منه في موضوع واحد، ولكنه عز وجل جعل كتابه سورًا غير متماثلة، منها الطويل والقصير والمتوسط بينهما، ومنها ما هو طويل الآيات، ومنها ما هو قصير الفواصل ، ومنها ما يركز على مسائل الإيمان، ومنها ما يركز على الأحكام؛ كل ذلك وفق بالغ حكمته تعالى .

٢- تسمية المجموعة من الآيات القرآنية بالسورة، فقد قال تعالى في مطلع سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١] وهذا الاسم يحمل في طواياه معنى الإحاطة وتوحيد الأجزاء المتعددة، فتصاريف مادة " س و ر" تدور على هذا المعنى كالسور الذي يحيط بأبنية المدينة ويجمع بيوتها، والسوار الذي يحيط بالمعصم... وفي السور وحدة واستقلال، وفي السوار زينة وجمال؛ والعلماء يُعرّفون السورة القرآنية بأنها " طائفة مستقلة من آيات القرآن ذاتُ مطلع ومقطع "[١]، ومن ثم فالسورة تحيط بطائفة من الآيات ذات المعاني المتنوعة وتجمعها برباط وثيق . ومطلع السورة وختامها بمنزلة الحدود التي تحف بآياتها فتجعل لها صبغة الاستقلال والتميز عن غيرها من السور الأخرى، وما تضمه السورة بين تضاعيفها من مواضيع مرصوص متكاملٌ كَتراصّ لَبنات البناء الواحد، متساوٍ في الجودة والحسن كالسوار الذي لا يدرى أين طرفاه، فتكتسي من اجتماعها على ذلك النحو رونقًا وجمالاً.

وتقسيم القرآن إلى سور مختلفة أحد مظاهر تيسير القرآن للذكر كما في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧]. فالسورة الواحدة من القرآن كافية للتذكير لمن أراد أن يتذكر، لتنوع موضوعاتها وتعدد الجوانب التي تتناولها، ومن ثم فما من مسلم أقبل على كتاب الله إلا ونال حظه منه تلاوة وحفظًا، على قدر ما يسعفه وقته واستعداده وذاكرته ، وأخذ نصيبه من تذكر المعاني الرئيسة مهما كانت منزلته في المعرفة والفهم.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني(١ / ٣٥٠).

٣- وقوع التحدي بالسورة الواحدة من سور القرآن، فقد قال تعالى :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣]، وقال تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨]، وهذا التحدي دليل على أن بناء السورة وتأليف آياتها على هذا النحو العجيب أمر معجز للأولين والآخرين، ولا يمكن أن يصح الإعجاز بالسورة القرآنية إلا إذا كانت متآزرة المعاني متسقة المباني معجزة في ترتيبها وبنائها مع تنوع مضامينها . وقد دعا الله الخلق إلى تدبر القرآن والتأمل فيه، وعلى رأسهم العرب الذين كانوا فرسان البلاغة وأرباب البيان، ومع علمهم بعيوب الكلام و قوادح بلاغته شعرا ونثرا فإنهم لم يعيبوا القرآن بأنه ضعيف الترابط أو مهلهل النسج أو متنافر الأجزاء، كما يقول المستشرقون الذين يفتقرون إلى الذوق البلاغي .

ونظام السور القرآنية نظام متميز، فالكتب التي يؤلفها البشر تُقسَّم إلى أبواب وفصول ومباحث حسب جزئيات الموضوع التي تتناوله، وكل مبحث يتناول واحدة منها دون أن يخلطها بغيرها، أما السورة القرآنية فتجمع في كثير من الأحيان مواضيع متعددة، وهي على اختلافها متآلفة في نسيجها، وهنا يكمن الإعجاز . ثم إننا لو عمدنا إلى القرآن وجمعنا طائفة من الآيات متحدة الموضوع من سور مختلفة وجعلناها سورة واحدة لوجدناها متنافرة الأسلوب مضطربة التركيب، ولو أخذنا من سورة معينة آياتٍ ذات موضوع واحد كالآيات التي تتحدث عن قصة خلق آدم في سورة البقرة مثلاً [من الآية ٣٠ إلى الآية ٣٨] وجعلناها سورة قصيرة لوجدنا أن القصة قد خفتت إشعاعاتها

وانكسفت أنوارها. ولكن الله تعالى أراد أن تكون سور القرآن على ذلك النحو، وترك استخراج المواضيع ذات الصبغة الواحدة للجهد البشري تصنيفًا وتفسيرًا واستنباطًا على مدى العصور، بما يلبي حاجات البشرية ويوفي بمطالبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤- ترتيب آيات سور القرآن الكريم توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم مأخوذ من الوحي، فقد تنزل القرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم تكن تنزل آيات السورة مجتمعة في آن واحد، ولا متوالية في أوقات متقاربة، وإنما كانت تنزل متفرقة حسب الدواعي والأحداث، ويكفينا للتمثيل على ذلك أن سورة العلق نزل مطلعها﴿ٱقۡرَأۡ﴾ إلى قوله تعالى :﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ في بدء الوحي، ونزل شطرها الأخير في وقت لاحق بعد نزول آيات من سورة المدثر وتتابع نزول الوحي عليه(١).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اكتمل إنزال السورة دعا كتبة الوحي ليكتبوها على وفق ترتيبها الذي أخبره به جبريل ، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال له : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: « **ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** »، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: «**ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** »

---

(١) انظر سبب نزول مطلع سورة المدثر في لباب النقول بهامش تفسير الجلالين (٨٠٥) وسبب نزول الآيات الأخيرة من سورة العلق (٨٢٨) .

وإذا أنزلت عليه الآية قال : « **ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** »[1].فكأنه عليه الصلاة والسلام يرشدهم – بوحي من الله – إلى المواضع التي تلائم الآية التي أنزلت عليه، وتتصل بها بروابط معنوية معينة.

وما دام الترتيب في المصحف على غير ترتيب النـزول فهو ترتيب مستند إلى ما في اللوح المحفوظ الذي استكَنَّ الله فيه كتابه قبل إنزاله على قلب رسوله مصداقا لقوله تعالى :﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج:٢٢] وهذا الأمر ليس منحصرًا في ترتيب الآيات، بل يشمل ترتيب السور، فهو كذلك وفق ترتيبها في اللوح المحفوظ، ولذلك قال ولي الدين المَلَّوي : « قد وهم من قال :لا تطلب للآية الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حساب الوقائع تنـزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف؛ وحافظ القرآن العظيم لو استُفتِيَ في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لَذَكر آية كل حكم على ما سُئِل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقًا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ... »[2]. ولا ريب أن وضع الآية لا يكون إلا في الموضع الذي يناسبها والذي علم الله تعالى أنه أوفق بها وأوقع في تحقيق مقاصدها.

و لو تأملنا سورة البقرة وقد نزلت ترتيلاً في ما يقارب عشر سنوات ؛

---

(١) مسند الإمام أحمد (١ / ١١١ رقم ٥٠١) . الترمذي (كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة رقم ٣١٨٧) وصححه الحاكم (٢ / ٢٣٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي(١/ ٣٧)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي(٢ / ١٠٨) .

لوجدناها مع ذلك معجزة ظاهرة، متناسقة الألوان، متوافقة الأشكال، تأخذ ألباب الناظرين بجمالها وروعتها، وتوحي للمتوسمين بإشاراتها ودلالاتها . ومن مظاهر الإعجاز التي نلمحها فيها أن اختلاف أسباب نزول آياتها وتباعد أوقات تنزيلها كان أدعى إلى تفكك أجزائها وتداعي بنائها، ومع ذلك تجدها متصلة الوشائج، متينة النسج، متنوعة المشاهد، متحدة المقاصد، متآلفة البدايات والنهايات :﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٣].

٥- كراهة السلف للتنقل بين السور دون إكمال واحدة منها، والخلط في التلاوة بين آيات من سور متعددة، ولعل أساس ذلك هو ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم « أنه مر ليلة بأبي بكر وعمر وبلال رضي الله عنهم وكلٌّ منهم يقرأ القرآن، فلما أصبح قال لبلال : **مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة !** فقال : أخلط الطيّب بالطيّب فقال: **اقرأ السورة على وجهها – أو قال– على نحوها** »[١].

فقد نحى بلال رضي الله عنه – حسب هذه الرواية – في تلاوته للقرآن منحى خاصًا، إذ كان ينتخب من كل سورة آيات الرجاء والرحمة وما يتضمن وصفَ الجنة والنعيم[٢] وما أشبه ذلك ويضمه إلى نظائره في سورة أخرى؛ فأمره النبي أن يقرأ السورة على الوجه الذي أنزلت عليه بتنوع موضوعاتها وتعدد أغراضها وتشعب معانيها، تحقيقا للمقصد الإلهي من

(١) مصنف عبد الرزاق (٢ / ٤٩٥ رقم ٤٢٠٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٦ / ١٥١ رقم ٣٠٢٥٩)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (١ / ٣٦٠ رقم ٢٩٨)، وسنن البيهقي الكبرى (٣ / ١١).
(٢) هذا شرح أبو عبيد القاسم بن سلام أثر بلال كما نقله عنه الزركشي في البرهان (١ / ٥٥٣).

التسْوِير، وفي رواية أخرى أن النبي قال له: ((**إذا قرأت السورة فأنفذها**))[(١)] أي أكملها، وهذا الأمر النبوي يحمل في ثناياه نكتة لطيفة، وهي أن السورة وحدة متماسكة متكاملة لا يغني بعضها عن سائرها، ومن ثَم لا يحصل الانتفاع بها واستخراج بركاتها وهداياتها إلا باستيفائها تلاوةً وتدبراً، فآياتها حلقات مترابطة آخذٌ بعضُها بأعناق بعض، ولو ظهرت باديَ الرأيِ مختلفة المقاصد متنائية الأغراض .

ولعل من أبرز حِكَم الامتزاج بين تلك المعاني المختلفة، أن كتاب الله تعالى شفاء لصدور الخَلقِ ، وليتناسب الشفاءُ مع مكونات النفوس البشرية المتداخلة وأحوالها المتعددة، لا بد أن يوضع بميزان دقيق ليتمكن من تتبع مسارب النفوس ومعالجة دخائلها المختلفة، ومن ثم كان من اللازم أن يقرن الترغيب بالترهيب، والبشارة بالإنذار، ويشفع ذكر الدنيا بنبأ الآخرة، ويؤكد ما يقرره بالدلائل التي تشهد عليه، ويمهد للأحكام التشريعية بأساس إيماني تحمل النفوس على الالتزام بها، بحيث يبادر النفوس بما تحتاج إليه عند تلقيها للوحي، ويجيب العقول عما تبحث عنه، ويغذي العواطف ويمتع الأرواح بما تهفو إليه؛ كل ذلك بشكل متوازن متناسق، شأنه شأن الدواء الذي يركبه الصيدلي لعلاج مرض معين[(٢)]، فيضعه بنسب مضبوطة بدقة، كي يتحقق الشفاء التام دون أضرار أو مخاطر، فإذا تغير مقدار واحد من المواد التي تركب منها، أو زالت مادة من تلك المواد بالجملة، لم يؤد ذلك الدواء مفعوله، بل قد يستحيل سمًا قاتلاً ، ولكن

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (١ / ٣٦٠ رقم ٢٩٩).

(٢) نقل الزركشي عن أبي عبيد قوله : " فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة كما أنزل الله تعالى؛ فإنه أعلم بدواء العبد وحاجتهم، ولو شاء لصنفها أصنافًا، كل صنف على حدة، ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام الإيمان " البرهان (١ / ٥٥٣).

القرآن يتميز بكونه شفاءً خالصاً، إلا أن الانتفاع بآثاره المباركة استشفاءً واستهداءً لا يكون إلا بأخذه على الوجه الذي ألّفه الله سبحانه عليه، وبقدر ما يجتزئ المَرْء ببعضه دون بعض ينقص حظه من مِنَح القرآن وهِباته، وبقدر ما يتعامل معه على هيئته الممتزجة ينال خيراته وبركاته، ولا ريب أن سر شفاء القرآن هو في ترتيبه على ذلك النحو المعجز، ومَثَلُه في ذلك كمَثَل العسل؛ فإن الله تعالى شهد له بكونه شفاءً للناس، وعلة ذلك أن النحل تأكل من نباتات مختلفة وأزهار متنوعة، وفي الآية التي يخبر الله فيها عن وحيه للنحل قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩]، وبقدر تنوع طعامها تكون جودة عسلها، وقوة أثره الشفائيّ .

ولكن كلام الله تعالى يعلو على غيره، ويمتاز بأنه كلّه شفاء وهدى ورحمة ونور، فما من سورة إلا وهي في نفسها شفاء لعلة من علل النفوس، وهداية إلى سبيل من سبل الخير، ورحمة للإنسان من الوقوع في مَهْواة من مهاوي الضلال، ونور يزيح عنه ظلمة من الظلمات .

فالقرآن يروم من قارئه أن ينال من قراءة كل سورة من سوره نصيباً وافراً من الهدايات التي بثها فيها، ويخرج من تدبره لأسلوبها ومعانيها وفواصلها ومعايشة قصصها وصورها وحواراتها برسالة السورة التي تحملها إليه.

وقد تأملت في سنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فوجدته غالباً يتلو في صلاته سوراً كاملة، ولا يقطعها أو يكتفي بأجزاء منها إلا

أحيانا(١)، وكان تحزيب السلف للقرآن ينتهي عند آخر السور، ولا يتوقف عند أواسطها أو أواخرها .

ولعلّ حكمة ذلك هو أن السورة - كالآية الواحدة - ينبغي للوارد على حياضها ليستسقي من معينها بالمكيال الأوفى أن يتم تلاوتها إذا أراد أن يستمنحها هداها كله، لا أن يتوقف عند جزء منها؛ لأنه بذلك يكون قد قطَّع أوصالها؛ فإذا استأنف قراءتها بعد ذلك لم يتلق الرسالة القرآنية الكلية في السورة، وإنما أخذ بعض معانيها فحسب .

وما ورد في السنة من استحباب تلاوة آيات مخصوصة في مواضع معينة - كآية الكرسي وخواتيم البقرة ونحوها - فإنها تؤخذ كذلك مجتزأة من السورة التي وردت فيها لكونها تحمل معنى مستقلاً يناسب المقام الذي تقال فيه من أجل الذكر أو التحصين أو سؤال الله تعالى والاستعانة به .

وبذلك يكون القرآن قد نفع من يتلوه - بسوره وأبعاضها- على اختلاف درجاتهم؛ إذ منهم الأمي الذي لا يعرف القراءة، والشيخ الذي لم يتعلم شيئًا كثيرًا من القرآن في شبابه، والقارئ الذي يكتفي بقراءة حروفه، والمتأمل الذي يقتنص من تلاوته للقرآن مقاصده وغاياته.

٦- الجمع بين الآيات المكية والمدنية في السورة الواحدة : فمن المعلوم أن القرآن منه ما نزل قبل الهجرة النبوية، ومنه ما نزل بعدها، فالأول يطلق عليه المكي من القرآن تغليبًا، والثاني يطلق عليه المدني لكون معظمه نزل بالمدينة، ولكلٍّ من المكيّ والمدنيِّ خصائصُ موضوعية وأسلوبية تميزه عن قسيمه.

---

(١) وقد أكد هذه الملحوظة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صفة صلاة النبي (١٠٣) .

ولكن الأمر المُعجِب في بناء السور القرآنية، أنك تُلفي كثيرًا منها قد امتزجت فيه آيات مدنية بأخرى مكية في سياق واحد، وتجدها مع ذلك في غاية الالتئام والانسجام، بحيث تحسَب أن السورة كلها نزلت في مكان واحد، فلا تدري أنها مكية أو مدنية إلا من كتب التفسير، التي تَسِمُ السورة - مثلاً- بكونها مكيةً بناء على الغالب منها وتستثني بعض آياتها فتذكر أنها مدنية النزول، أو العكس، وكثيرًا ما تورد اختلافًا في كونها من هذا القسم أو ذاك.

وهذا البناء المُحكَم يدلنا على أن المقصود من ترتيب آي السورة مُباين للمقصود من ترتيب النزول، فزمان النزول إنما كان على مقتضى سنة التدرج في تنزيل شرائع الإسلام ومراعاة حال المخاطبين في تربيتهم على مبادئها وتكاليفها، أما حكمة وضع الآيات المدنية في سورة مكية أو وضع آيات مكية في سورة مدنية فهي أن هذه الآيات دون غيرها هي التي تخدم مقصود السورة وتلتئم مع المعنى الذي تدور عليه سائر آياتها.

ومن أمثلة السور المكية التي استفتحت بآيات مدنية سورة العنكبوت، ففي قولٍ لابن عباس وقتادة وغيرهما أنها مكية إلا عشر آيات من أولها(١).

ومن أمثلة السور المكية التي جاء في أثنائها آيات مدنية سورة الأنعام، فقد قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الآية:٩١] ، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ [الآية:١٤١](٢).

---

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٣٢٣) .

(٢) زاد المسير (٣ / ٣) ط دار الفكر، د ت .

ومن أمثلة السور المكية التي اختتمت بآيات مدنية النزول سورة النحل فإنها على قول عطاء بن يسار مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومُثِّل به[1]، وكذلك سورة الشعراء، فإنها على قول ابن عباس وقتادة مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة من قوله :﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الآية: ٢٢٤] إلى آخرها[2].

ومن أمثلة السور المدنية التي تخللتها آيات مكية سورة الرعد فهي مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة؛ وهما قوله عز وجل:﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد:٣١] إلى آخرهما[3].

ومثال سورة مدنية جاءت في ختامها آيات مكية النزول سورة المطففين، فهي على قول ابن عباس وقتادة مدنية إلا ثمان آيات من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [الآية:٢٩] إلى آخرها[4].

وهذه الأمثلة شواهد بيِّنة على كمال تآلف الآيات وتكامل مضامينها، واتصال عُراها .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٢٧) وانظر أقوالا أخرى في زاد المسير (٤ / ٣١١) .

(٢) تفسير القرطبي (١٣ / ٨٧).

(٣) المصدر السابق (٩ / ٢٧٨) .

(٤) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٠)

المبحث الثاني

عنايـــة المفسرين بعلم المنـــاسبات

لقد استرعى هذا النمط في عرض مضامين السورة اهتمام العلماء قـــديمًا وحديثًا، فنشأ علم عني ببيان أوجه التعلق والربط بين الآيات الـــتي ظاهرهـــا الانفصال والاستقلال، وهو ما سمي بعلم المناسبات. وقد ظهرت بوادر العنايـــة بالتناسب بين الآيات عند فريقين من المفسرين:

- مفسرون غلب عليهم البحث عن الأسرار البيانية في نظـــم القـــرآن الشاهدة بإعجازه.

- مفسرون غلب عليهم الاتجاه الصوفي، فَهُم يلتمسون لطائف القـــرآن وبدائع إشاراته.

ومن أقدم من اهتم بذلك أبو بكر النيسابوري[(١)] (ت ٣٣٨ هـ) الذي أظهر المناسبات في دروسه التفسيرية ببغداد، فكان يقول: لم جعلت هذه الآية جنـــب هذه؟وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟[(٢)].

ثم انتقل إلى طور التأليف حيث يحدثنا أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٢ هـ) عن هذا العلم وتأليفه فيه فيقول: « ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حـــتى تكـــون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله لنـــا فيه، فلما لم نـــجد له حملـــة ، ورأيـــنا الخلق بأوصـــاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننـــا وبين الله ورددناه

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عبدوس بن أحمد النيسابوري المفسر الواعظ، إمام فاضـــل عـــالم بمعـــاني القرآن، كان غزير العلم في الشريعة والأدب. طبقات المفسرين الداودي (٢ / ١٩١).

(٢) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي(١ /٣٦) .

إليه »[1].

والظاهر من كلامه أنه لم يجد من طلاب العلم في زمانه إقبالاً على هذا الفن، فلم يمل تصنيفه على طلابه كعادته في باقي تصانيفه، ولم يعطه للنساخ لينشروه، وإنما أخفاه كما أشار إليه في كتاب "الناسخ والمنسوخ" حيث قال: «والأحكام فيها (أي سورة الأنعام) قليل لعارض بينا وجهه في "ترتيب آي القرآن"، وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان، وأنه ليس له في هذه الأقطار حفِيّ، فوضعناه في سرب خفيّ »[2].

كما احتفل الفخر الرازي (٦٠٦هـ) بهذا النوع في تفسيره أيما احتفال، حتى إنه كان يورد في تناسب بعض الآيات أكثر من وجه. وقد أفصح عند تفسيره لخواتيم سورة البقرة بأنه أحد وجوه الإعجاز وعاب على المفسرين غفلتهم عنه[3] فقال: « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر»[4]

وقد كان للرازي عميق الأثر في المفسرين الذين جاءوا بعده،لا سيما أبي حيان

(١) البرهان (١ /٣٦).

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (٢ /٢١٠) تحقيق: د. عبد الكبير العلوي المدغري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٨٨.

(٣) قال الزركشي معللا ذلك : " وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته " البرهان (١ / ٦٢).

(٤) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (٧ /١٢٨) دار الكتب العلمية، طهران، ط ٢.

الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في"البحر المحيط"، والشهاب الخفـــاجي (ت ٧٩١ هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي، والآلوسي (ت ١٢٨٠ هـ) في "روح المعـــاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

أما في الغرب الإسلامي فقد برز جانب العناية بالتناسب بين الآيات عند أبي الحكم بن برَّجان الإشبيلي (ت ٥٣٦ هـ) في تفسيره "تنبيه الأفهـــام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم"[١]، ثم عنـــد أبي الحـــسن الحرّالي المراكشي (ت ٦٣٨ هـ) في تفسيره[٢]. وعند أبي عبد الله محمد بـــن أبي الفضل المُرْسيّ(٦٥٥ هـ) في تفسيره "رِيّ الظمآن في تفسير القرآن "، حيـــث قصد فيه ارتباط الآي بعضِها ببعض[٣].ونضجت فكرة التناسب عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي(ت ٧٠٨ هـ)، فألف كتاب " البرهان في ترتيب سور القرآن " في تناسب السور، كما ألف كتابه " مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحـــاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنـــزيل "، وبين فيه مناسبة كـــل آية من الآيات المتشابهة في ألفاظها لمساقها.

وعلى الحرالي وابن الزبير كان اعتماد برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) الذي صنف تفسيرًا حافلاً استوعب فيه المناسبات بين السور والآيات في القرآن كله، وسماه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

(١) انظر ابن برجان والتفسير الصوفي، محمادي بن عبد السلام الخياطي، أطروحة دكتوراه بـــدار الحديث الحسنية (٢ /٣٧١ – ٣٩١).

(٢) انظر: أبو الحسن الحرالي المراكشي، أثره ومنهجه في التفسير، محمادي الخياطي رســالة دبلــوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية (٢ /٢٨٩ – ٢٩٩).

(٣) معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦/ ٦٤٢) مؤسسة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

وعلى نهجه سار الإمام السيوطي (٩١١هـ) حين ألف كتابًا جامعًا لمناسبات السور والآيات مع بيان ما تضمنه القرآن من وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة سماه " أسرار التنزيل "[١]، وأفرد كتابا لتناسب السور سماه" تناسق الدرر في تناسب السور".

ومع أنهم كانوا يؤكدون أن فائدة هذا العلم هو "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حالَ البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[٢]؛ فإن قصارى ما كانوا يعمله أكثرهم هو التماس بعض أوجه الربط بين الآيات دون أن يضعوا أيديهم على الخيط الجامع الذي تنتظم فيه حبات عقد السورة، وكانت عنايتهم بالمناسبات من باب استجلاء اللطائف التفسيرية التي يستدل بها على جمال القرآن وعلو نظمه، باعتبار التناسب المعنوي من محاسن الكلام، مما جعل علم المناسبات من مُلَح علم التفسير لا من متينه. وقد أوغل في البعد عن تحقيق ثمرته حين صارت المناسبات حبيسة لبعض الاصطلاحات البلاغية والظواهر الأسلوبية، كما تجده عند الزركشي (٧٩٤هـ) والسيوطي حيث يتحدثون عن التناسب حديثَ البيانيين ويستعرضون أساليب الربط بين الآيات : كالتنظير، و المضادة، والاستطراد، والتذييل والعطف، والالتفات والاعتراض وغيرها[٣].

وعلى هذا النحو كان محمد الطاهر بن عاشور في بيانه للتناسب في"التحرير والتنوير" يوظف مبحث الجمل من النحو ومباحث الفصل والوصل

---

(١) انظر تناسق الدرر حيث ذكر الأنواع الأربعة عشر التي اشتمل عليها هذا الكتاب (ص٥٣ -٥٤).

(٢) البرهان (١/ ٣٦).

(٣) انظر المصدر السابق (١ /٤٠ – ٥٠)، والإتقان في علوم القرآن (٢ /١٠٨ – ١٠٩).

والاستئناف البياني والابتدائي من البلاغة وغير ذلك[١]، ويغرق المناسبات في سيل من المصطلحات الأسلوبية.

ومن جهة أخرى فإن بعض المناسبات التي ذكرها بعض أولئك المفسرين لم تخل من شيء من التكلف والتمحل[٢]، وذلك لخفاء وجه التناسب ودقته في كثير من الآيات، واعتمادهم في بيانها على مجرد الرأي والذوق، وذلك ما جعل بعض العلماء كالعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) يشترط أن تُلتمَس المناسبة في كلام متحد يرتبط أوله بآخره، فإن وقع الكلام على أسباب مختلفة لم يلزم في رأيه أن يكون أحد الكلامين مرتبطًا بالآخر[٣].

وبالغ الإمام الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) فعدّ علم المناسبات علمًا متكلفًا ليس من ورائه فائدة، وأنحى باللائمة على المفسرين الذين اشتغلوا به، وأطال الاحتجاج في إبطال هذا المسلك[٤].

ولكن إنكاره محمول على أوجه التناسب البعيدة؛ إذ هو نفسه كان يذكر في تفسيره بعض المناسبات القريبة حين بيان علة انتقال سياق الآيات من موضوع إلى آخر[٥].

---

(١) انظر (١ /١١٦ – ٣٧٧) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

(٢) وهذا ما تعلق به الشوكاني فقال : "و ذلك أنه أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، جاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه " فتح القدير (١ / ٧٢).

(٣) انظر البرهان (١/٣٧).

(٤) انظر فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير (١ /٨٥ –٨٧) ط. ابن كثير بدمشق.

(٥) انظر (١ / ١٨٣ ــ ١٨٤ و١٨٨ و٢٤١).

ومرد هذا النقد هو أن معظم المفسرين الذين اعتنوا ببيان المناسبات كانوا يصرفون أنظارهم إلى التناسب بين الآيات معتمدين على السياق القريب دون أن ينظروا إليها نظرة شمولية يشرفون فيها على بناء السورة ليبصروا موقع كل قضية تناولتها من نظامها الكلي الذي وضعت عليه في جملتها، وهذا ما جعلهم يذكرون أحيانا مناسبات بعيدة وأوجها ضعيفة لا تبرز التحام الآيات واتساق معانيها، وإنما تزيدها تفككًا وانفصالاً، ومن ثم لم تحقق تلك المناسبات ثمرتها المرجوة منها، لأنها كانت منفصلة عن غرض السورة المحوري الذي تشتبك حوله سائر موضوعاتها.

ولعل أول من صرح بعلاقة المناسبات الوثقى بمقصود السورة العام هو أبو الفضل المَشَذّالي البجائي (ت ٨٦٥ هـ)[١] الذي أخذ عنه البقاعي المنهج الأمثل في التوصل إلى أوجه التناسب بين الآيات. وقد نص على ذلك في مطلع تفسيره للفاتحة حيث قال: « قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشذالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان : الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك – إن شاء الله– وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة سورة »[٢].

(١) مفتي بجاية وخطيبها، من مؤلفاته مختصر البيان لابن رشد والفتاوى .ترجمته في توشيح الديباج لبدر الدين القرافي (٢١٩ –٢٢٠)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١١ /٢٥٩).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/١٧-١٨) توزيع مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٦٩.

المبحث الثالث

عناية العلماء المتقدمين ببيان مقاصد السور

من أوائل المفسرين الذين استبصروا بوحدة نسق السورة وأدركـــوا أن لكل سورة مقصودًا رئيسًا تدور عليه جميع أجزائها أبو الحكم بن برجـــان، إذ كان ينبه في غير موضع على غرض السورة الذي تأسست عليه، لا ســـيما في الربع الأخير من القرآن، ومن أمثلة ذلك قوله في سورة القمر:"الغرض الأساسي فيها هو إثبات نبوة محمد عليه السلام وتصحيح رسالته وأنه في ذلك على سبيل سلوكه للأنبياء والرسل قبله الذين أرسلوا إلى أمم لهم، فعصوهم وأهلكهم الله، وأن موعدهم الساعة. والحض على التذكر والتفكـــر والاعتبـــار وأن العاقبـــة للمؤمنين والمتقين "[1]، وتتردد عنده أمثال هذه العبارات: "وتأسيس تنـــــزيل هذه السورة"، "المراد إثباته في هذه السورة"، " الغرض في هذه السورة".

وقد رأى بعض الباحثين[2] أن استشعار الموضوع الكلي للسورة قد ظهرت ملامحه عند الرازي، وضرب له مثالاً يتيمًا حيث يقول في سورة النساء: « اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة»[3]، وهو-كما ترى – لم يكشف عن غرض السورة الأساس، وإنما ذكر الطابع العام

---

(١) انظر: ابن برجان والتفسير الصوفي (٢ /٤٠٢).

(٢) د.رفعت فوزي عبد المطلب، الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية (ص ٧)، دار السلام، القـــاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

(٣) التفسير الكبير (٣ /١٥٩).

الذي يغلب على موضوعاتها.

وممن استشعر باختلاف سياق كل سورة عن غيرها الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في تفسيره " لطائف الإشارات "، وهذا ما أفصح بـــه محققــه الدكتور إبراهيم بسيوني في مقدمته حيث قال: « سار القشيري في اللطائف على خطة واضحة محددة..فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة...ومع تكرار البسملة في كل سورة فإنه يفسرها كل مرة على نحو ملفت للنظر...ويـــزداد إعجابنـــا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة يتمشى مع السياق العام للسورة كلها » [1].

وممن تنبه إلى الغرض الأساس للسورة أبو جعفر بن الزبير الغرناطي الذي كان يبني التناسب بين بعض السور في كتابه "البرهان" على تلاحم مقاصدها.

ومن ذلك بيانه لمجمل معاني سورة البقرة، حيث استعرض أبرز معانيهـــا وخلص إلى وحدتها قائلاً: « فحصل من السورة بأسرها بيان الصراط المـــستقيم على الاستيفاء والكمال أخذًا وتركا، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال مـــن تنكب عنه» [2].

وكذلك قوله عن سورة المائدة: « فحصل من جملتها الأمر بالوفاء فيمـــا تقدمها، وحال من حاد ونقض، وعاقبة من وفّى وأنهم الصادقون» [3].

ومن العلماء الذين تنبهوا إلى تعانـــق موضاعات السورة المختلفة ودورانها

(١) لطائف الإشارات (١ / ٢٦)، وانظر تفسيره للبسملة في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنـــساء على التوالي (١ / ٤٤ و٥٢ و٢١٧ــ ٢١٨ و٣١٠).

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن(ص١٩٤)تحقيق محمد شعباني، منشورات وزارة الأوقـــاف، المغـــرب ١٩٩٣م.

(٣) المصدر السابق (٢٠٣) وانظر (ص ٢٠٥ و٢٢٦ و٢٨٦ و٣٢٢و ٣٢٩)، ولي بحث قيد الإعداد في نظرية النسق القرآني عند أبي جعفر بن الزبير .

حول غرض واحد ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)؛ أما ابن تيمية فحديثه عن بعض السور كان يَشِي باستشعاره بالهدف المحوري للسورة وتناسب معانيها المتفرعة، ومن أمثلة ذلك قوله: « سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم، والأمر والنهي؛ ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: هي آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحَرَّموا حرامها، ولهذا افتتحت بقوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١] ، والعقود هي العهود، وذكر فيها من التحليل والتحريم والإيجاب ما لم يذكر في غيرها، والآيات فيها متناسبة مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧] »(١). وكان يبين أن المعاني على تشعبها متناسبة في موضعها، ولذلك قال عند استعراضه لمواضيع سورة البقرة:«فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض»(٢).

أما ابن القيم فمع أنه لم يصنف كتابًا في التفسير، إلا أن ما بثه في تضاعيف كتبه المتعددة يدلنا على التفاته للسياق العام للسورة القرآنية واستجلائه لمقصودها، ومن أبرز الأمثلة التي وقفت عليها قوله بعد تحليل بديع لمجموع آيات سورة العنكبوت: « فمضمون هذه السورة هو سر الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمتها وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤ / ٤٤٨)، وانظر وصفه للبقرة بأنها أجمع سور القرآن لقواعد الدين أصوله وفروعه وبيانه لتقرير خواتيمها لمضمونها (١٤ / ٤١ و١٢٩).

(٢) المصدر السابق (١٤/ ٤٤) .

وتوكل، وآخره هداية ونصر »[1].

وممن لمح وحدة نسق السور القرآنية مع تعدد القضايا التي تتضمنها أبو إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، إذ استبان له أن السورة وإن تعددت قضاياها فهي باعتبار النظم كلام واحد متصل من أوله إلى آخره، فلا يُسوِّغ لنا تعددُ قضاياها أن ننظر إليها باعتبارها أجزاءً مستقلة عن بعضها، بل لا بد من استيفائها بالنظر لمن أراد التفهم السديد لها بناء على أن نظمها وترتيبها مأخوذ من الوحي، وقد أعرب عن ذلك فقال: « وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات. فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد النظر في جميعها، فسورة البقرة – مثلاً– كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو المؤكد والمتمم ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب منها، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك »[2].

وقد ضرب مثلاً آخر لسورة تعددت معانيها وبين أن جميع آياتها تدور على مقصود واحد، فقال: « وسورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة وإن اشتملت على معان كثيرة، فإنها من المكيات، وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد،وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى، أحدها: تقرير الوحدانية لله...

(١) بدائع التفسير لابن القيم، جمع : يسري السيد محمد (٣/٣٧٠) نقلاً عن شفاء العليل (٢٤٧) .
(٢) الموافقات في أصول الأحكام (ج ٣ /٣١٠ ــ ٣١١)، دار الكتب العلمية د. ت.

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد...والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة...وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصول الأمر...فإذا تقرر هذا وعدنا إلى النظر في سورة المؤمنين مثلاً وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه، إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة التي هي المدخل للمعنيين الباقيين »[1]. وبعد استعراض جملة من آياتها والربط بين معانيها خلص إلى وحدة موضوعاتها قائلاً : « فسورة المؤمنين قصة واحدة في شيء واحد »[2].

وقال في موضع آخر مؤكدًا أن النفي الوارد في قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] وارد على ظلم مخصوص وهو الشرك والافتراء على الله والتكذيب بآياته : « فإن سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص؛ فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد وهادمة لقواعد الشرك وما يليه »[3]. كما ذكر في موضع آخر أن سورة البقرة هي التي قررت قواعد التقوى[4].

وقد اكتمل الإحساس بوحدة بناء السورة وتعانق موضوعاتها عند البقاعي الذي أبدع علمًا جديدًا من علوم القرآن هو علم مقاصد السور، وأفرده بكتاب استعرض فيه مقصود كل سورة، وبين فيه مناسبة اسمها لغرضها الذي تدور عليه سائر معانيها، قال في مقدمته: « فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع

(١) المصدر السابق (٣ / ٣١٢).

(٢) المصدر السابق (٣ / ٣١٢).

(٣) الموافقات (ج ٣ / ٢٠٥).

(٤) المصدر السابق (ج٣ / ٣٠٥)

نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرا، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع...وآخرُ السورة قد واصل أولها كما لاحَم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغُرّ، البديعة النظم العجيبة الضم...»[1].

وقد وفق في إبراز وحدة السورة ودوران موضوعاتها المختلفة على غرض واحد، وأورد مثالاً تطبيقيًا في المقدمة بين فيه كيف توالت أجزاء سورة البقرة على إقامة الدليل على أن الكتاب هدى مما دل على أنه مقصودها المحوري فقال: «مثاله: مقصود سورة البقرة وصف الكتاب المذكور أولها بصريح اسمه الناظر بأصل مدلوله إلى جمعه لكل خير، المشير بوصفه إلى ما في آخر الفاتحة من سؤال الهداية والإبعاد من طريق الضلال، ثم بوصفه في قوله:﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [الآية:٤] المنوه آخرها بالذين آمنوا به في قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية: ٢٨٥] إلى آخره. وذلك هو عين أولها لكونها تعيينًا لرؤوس من شمله وصف التقوى في فاتحتها... »[2].

ثم راح يستعرض مساقات الآي وأجزاء السورة وينبه كيف أنها تخدم هدف السورة الذي ذكره، وأنها ترجع إلى بيان شأنه مرة بعد أخرى « حتى عُرِف أنه مقصودها وسر معانيها وعمودها »[3].

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١ /١٤٩)، تحقيق عبد السميع محمد أحمد حسنين. مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.

(٢) المصدر السابق (١ /١٥٠).

(٣) المصدر السابق (١ /١٥١).

المبحث الرابع

جهود المعاصرين في الكشف عن مقاصد السور

أما المعاصرون فإنهم قد أفادوا مما وصل إليه المتقدمون في هذا الشأن، وساروا بخطوات ثابتة نحو استجلاء المحور الذي تشد إليه جميع موضوعات السورة، وقد استطاع بعضهم أن ينظر بعين متفحصة إلى أجزاء السورة ويبصر بناءها المتكامل المتسق، ويضع يده على غرضها الرئيس بشكل أدق مما توصل إليه بعض المفسرين من قبل.

وفي طليعة المفسرين الذين أدركوا وحدة السورة وحسن اتساقها رشيد رضا، فقد ألمع في تفسيره إلى كون الجمع بين الموضوعات المتعددة والنسيج الواحد المتماسك أحد دلائل الإعجاز، فقال : « إن التفنن في مسائل مختلفة ... منتظمة في سلك موضوع واحد هو من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المذهبية التي لم تسبق، ولن يَبلغ شأوَه فيها بليغ، والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه وحسن اتساقه »[1].

و يعد أديب العربية مصطفى صادق الرافعي من الذين تبينوا في بناء السورة رابطًا خفيًا يرص لبناتها مع تعدد وجوه الكلام فيها أمرًا ونهيًا وتبشيرًا وتحذيرًا وإخبارًا وتمثيلاً، وقد سمى هذا الرابط بروح التركيب حيث قال: « فهذه الروح التركيبية وهذه الوحدة الموضوعية هي التي تميز القرآن عن غيره رغم تعدد الوجوه التي يتصرف فيها من أغراض الكلام كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الأمثال والجدل والتشريع ... ولولا تلك الروح لخرج أجزاء

---

(١) تفسير المنار (١ / ٢٨٩) .

متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقة ومجازًا،كما تعرفه كلام البلغاء عند تباين الوجوه التي يتصرف فيها » [1].

ومن المفسرين الذين حاولوا التنبيه على مجمل أغراض السورة محمد الطاهر بن عاشور، وقد نص على ذلك في مقدمته حيث قال: « ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرف عن روعة انسجامه وتحجب عن روائع جماله » [2]. ومن ذلك تقسيمه لأغراض سورة البقرة بعد أن قرر تنوع مواضيعها إلى قسمين :

الأول: يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه، وأصول تطهيره للنفوس.

الثاني: يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم ... وكان في خلال ذلك أغراض شتى سيقت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات ...[3].

ولكن أحسن من استشعر وحدة النسق القرآني واستدل لها وأطنب في إثباتها وعمد إلى إبرازها تطبيقيا في إحدى سور القرآن الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم"، حيث توخى بيان حسن التأليف في السورة الواحدة التي تتنوع فيها الموضوعات باعتباره أحد وجوه الإعجاز،فبين أن القرآن كان يتنزل منجمًا حسب الوقائع والدواعي المتجددة، وأن الانفصال

---

(١) إعجاز القرآن (٢٤٥)

(٢) تفسير التحرير والتنوير (١ / ٨).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (١ / ٢٠٣).

الزمني بينها واختلاف دواعيها كانا داعيين إلى ضعف الترابط وعدم الانسجام، ومع ذلك فإن تدبر أي سورة يوقفك على جليل الالتحام وبديع التناسق بصورة لا تعرف منها أأُنزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى، وقد صور تماسك بناء السورة فقال بتعبير بليغ: « إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة، بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة،كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد... »(1).

ثم بين دراز أن الصلة بين أجزاء السورة لا تعني اتحادها أو تماثلها أو ما إلى ذلك، بل إن القرآن سلك في الانتقال من معنى إلى آخر مسالك شتى، فتراه تارة يجاور بين الأضداد فيبرز محاسنها ومساوئها، وتارة يعمد إلى الأمور المختلفة من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها بسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل أو الاحتراس إلى غير ذلك. وأحيانا يقرن بين معنيين في النظم لاقترانهما في الوقوع التاريخي أو الوضع المكاني استجابة لحاجات النفوس التي تتداعى فيها تلك المعاني(2).

(١) النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن (١٥٥)، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٧٠.
(٢) المصدر السابق (١٦١ – ١٦٢).

وقد اختار سورة البقرة نموذجا على وحدة النسق في السورة القرآنيـــة، فهي أطول سور القرآن، وأكثرها نجومًا وأبعدها تراخيًا[1]، وتلك دواع قويـــة لجعل نظم هذه السورة متباين المعاني متناثر الأجزاء، ومع ذلك أثبت أن بـــين أجزائها وشائج قوية، وأوضح أن بنيتها تتألف من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة. فالمقدمة في التعريف بشأن هذا القرآن، وأنه لا يصد عنه إلا من في قلبه مرض.

والمقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.

والمقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب بخاصـــة إلى تـــرك باطلـــهم والدخول في الإسلام.

والمقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

والمقصد الرابع: في ذكر الوازع الديني الذي يبعث على العمل بتلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها.

والخاتمـــة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة للمقاصد المذكورة وبيان ما يرجى لهم في الدنيا والآخرة [2].

وقد حاول أن يعرض الســـورة عرضًا إجـــماليًا يبـــين فيه خط سيرها إلى غايتها، ويبرز نظامها المعنوي في جملتها، ويظهر كيف وقعت كـــل حلقـــة موقعها في السلسلة الكبرى، وكيف أن كل قسم ملتئم في نفسه، ومتسق مـــع سائر الأقسام. ولعل دراز يكون بذلك أول من سن التفسير الإجمالي الذي يلحظ

---

(٢) فقد نزلت في نيف وثمانين نجما، ومن آياتها ما نزل في أوائل السنة الثانية للهجرة، ومنها ما نـــزل في آخر السنة العاشرة (ص ١٥٨).

(٣) المصدر السابق (ص ١٦٣).

وحدة أجزاء السورة. وإن كنا نلاحظ أنه لم يعبر بعبارة جامعة تشمل المقاصد الأربعة وترجعها إلى مقصود واحد على نحو ما يصنع البقاعي.

وإذا كان عمل دراز قد توقف عند سورة البقرة، فإن سيد قطب كان من أوائل المفسرين الذين أبرزوا وحدة النسق في السور القرآنية كلها تطبيقيًا في كتابه " في ظلال القرآن "، فقد استشعر أن السورة وحدة متلاحمة، قد تتعدد مواضيعها وتتنوع مقاصدها ولكنها تشد في النهاية إلى محور واحد هو غايتها ومآلها. وقد أفضت به رحلته في ظلال القرآن وعيشه بين جنباته إلى أن يفصح بذلك قائلاً: « إن لكل سورة من سور القرآن شخصية مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيس أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها. ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو »(١). ويقول في موضع آخر: « إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبرى، إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية »(٢).

ولهذا كان يعمد إلى افتتاح السور التي يفسرها بعرض خطوطها العريضة وموضوعاتها البارزة بحيث يبين انسجامها منبهًا على الغرض المحوري الذي تدور حوله . ثم يسير في ضوء ما قرر ليحلل الآيات ويضع أيدينا بيسر على

(١) (٢٨/١) ط. دار الشروق . القاهرة. ط٩ . ١٩٨٠م.

(٢) المصدر السابق (١٢٤٣/٣)

وجه الانتقال من موضوع إلى موضوع.

ومن أمثلة بيانه لمقاصد السور قوله في سورة النساء : « هذه السورة بما تضمنته من تشريعات وتوجيهات تهدف أساسًا إلى محو ملامح المجتمع الجاهلي وتكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه، وتلفت الأنظار إلى الدفاع عن كيانه المميز، وذلك ببيان طبيعة منهجه، والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله من المشركين واليهود والمنافقين وكف حيلهم ومكائدهم وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم مع وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم المسلم، وتصبه في قالب مضبوط »[1].

ومن ذلك قوله في موضوع سورة الأنعام: « إن موضوعها الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو موضوع العقيدة بكل مقوماتها وبكل مكوناتها، وهى تأخذ بمجامع النفس البشرية، وتطوف بها في الوجود كله ... إنها تطوف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، تلحظ فيها الظلمات والنور، وترقب الشمس والقمر والنجوم، وتسرح في الجنات المعروشات وغير المعروشات...»[2].

ومن أمثلة عنايته بمحور السورة العام وتتابعه وربطه بسياقها قوله في سورة الكهف: « محور السورة هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج الفكر والنظر،وتصحيح القيم بميزان العقيدة، ويسير سياق السورة حول هذه الموضوعات الرئيسية في أشواط متتابعة »[3].

(١) المصدر السابق (٢ /٥٥٥).

(٢) المصدر السابق (٢ / ١٠١٦).

(٣) المصدر السابق (٥ / ٥٢) .

ويقول أيضاً في سورة النحل مبيناً مناسبة التعبير بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢] لنسق السورة: «معظم سياق السورة يدور حول المكذبين والمشركين والجاحدين لنعمة الله ، والمحرمين ما أحله الله، والناقضين لعهد الله، والمرتدين عن الإيمان،ومن ثم يكون إظهار الإنذار أليق في هذا السياق. وتكون الدعوة إلى التقوى والحذر والخوف أولى في هذا المقام» (١).

كما التفت رحمه الله إلى تناسق بعض السور القرآنية المتوالية في ترتيبها والوشائج التي تصل بينها، ومن ذلك قوله في شأن سورة المائدة : « ومن ثم نجد في هذه السورة كما وجدنا في السور الثلاث الطوال قبلها - موضوعات شتى، الرابط بينها جميعًا هو هذا الهدف الذي جاء القرآن كله لتحقيقه : إنشاء أمة وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع، على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد..الأصل فيه إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان، وتلقي منهج الحياة وشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها منه بلا شريك.. » (٢).

وقد كان لسيد قطب أعمق الأثر في باقي المفسرين المعاصرين ، وأول من تأثر به شقيقُه محمد قطب الذي استحضر هذه الخصيصة في دراساته القرآنية ، وتَكشَّف له أن ما يتكرر ذكره في سور متعددة لا يكون تكراراً تاماً ؛ بل إنه يحمل دلالات جديدة حسب السياق الذي ورد فيه ، وقرر« أن كل سورة من سور القرآن على إطلاقها لها شخصيتها المتميزة وجَوُّها الخاص ، وكل نص من نصوص القرآن - وإن بدا متشابهًا - فإنه يأخذ جو السورة التي يرد فيها ، ومن ثم تكون له

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٥٤) .

(٢) يراجع الظلال (٢/ ٨٢٥)بتصرف يسير.

ملامحه الخاصة في كل مرة » [1] .

وفي دراسته لسورة البقرة أكد على وحدة موضاعاتها مع تنوعها بشكل لا تماثله موضوعات سورة أخرى فقال: « ولأول وهلة يبدو هذا الحشد مجرد انتقال من موضوع إلى موضوع بغير نظام! وذلك الذي يقوله الذين لا يعلمون من المستشرقين وتلامذتهم المثقفين! ولكن هذه السورة ورغم طولها ذلك، ورغم هذا الحشد المتنوع من الموضوعات، ذاتُ تنسيق دقيق في بنائها، يربط هذا الحشد المتنوع كله في رباط محكم، بحيث يصبح له على تنوعه أهداف واضحة محددة، وشخصية موحدة » [2].

وفي تدبره لسورة النساء يستوقفه الانتقال الذي قد يبدو مفاجئًا من حديث عن العقيدة إلى الحديث عن شعيرة من الشعائر، إلى حكم من أحكام المعاملات إلى توجيه اجتماعي أو اقتصادي أو عسكري، ومِن تأمُّلِه في ذلك كله يخلص إلى كون المقصود من ذلك هو تذكيرنا بوحدة هذا الدين وتكامل شرائعه وشعائره، وأنه ليس عقيدة فحسب، أو أحكامًا، أو آدابًا فحسب، بل هو كُلٌّ لا يتجزأ، وعلينا أن نتلقاه ونأخذه بكليته؛ قال : « وهذا النسق الخاص من العرض الذي ينتقل فيه السياق من نقطة إلى أخرى بلا انفصال جدير بأن يكشف لنا عن هذه الحقيقة في هذا الدين، وهي اتصال موضوعاته وجزئياته اتصالاً عضويًا غير قابل للانفصال .. بالضبط كما يعرضها السياق القرآني ، متصلة على اختلافها بلا انقطاع ولا انفصال ... والله يريد لنا أن نتعرف على ديننا في صورته الشاملة المتصلة المترابطة ، ولكيلا يتجزأ في حسّنا وفي ممارستنا إلى

(١) دراسات قرآنية (٢٤٨).

(٢) المصدر نفسه (٢٧٧) .

صورته الشاملة المتصلة المترابطة، ولكيلا يتجــزأ في حِــسّنا وفي ممارســتنا إلى موضوعات منفصلة لا يربط بينها رباط » [١].

أما محمد عزة دروزة فقد نص في مقدمة تفسيره على أن مــن معــالم منهجه الاهتمام ببيان ما بين آيات السور وفصولها من ترابط كلما كان ذلــك مفهوم الدلالة لتجلية النظم القرآني والتلاحم الموضوعي فيه [٢]، ولكن لم تتضح له المحاور الموضوعية والمقاصد التي تهدف إليها السورة، ثم إنه تجانف عن ســبيل الصواب حين رتب السور على حسب ترتيب النــزول بدل ترتيبها كما جاءت في المصحف . ويكفي في نقض هذا المنهج أن كثيرًا من الآيات لا يدرى علــى وجه الدقة زمن نزولها، وبعض السور اجتمع فيها ما نزل قبل الهجرة وما نــزل بعدها وما نزل في زمن وما تأخرعنه في الترول بمدة مديدة . ولا توجد أدلة على ترتيب النــزول بشكل يستقصي القرآن كله، وذلك من تدبير الله لكتابه؛ حتى لا تفكر الأمة إلا في ترتيب التلاوة الذي استقر عليه وما يحويه من حِكَم ومــا يترتب عليه من فوائد .

ولكن أهم من سار على نهج سيد قطب وعمق الخط الذي ابتدأه –فيما أرى– هو سعيد حوى في كتابه "الأساس في التفسير"، إذ لم يقتصر فقط علــى وحدة نسق السورة، بل بنى بيانه لهذه الوحدة على نظرية شاملة تنطلــق مــن وحدة نسق القرآن كله. فقد حرص على ربط معاني كل سورة يفسرها بمطلع سورة سبقتها أو موضوعها أو إحدى آياتها، كما اهتم في السورة الواحدة بإبراز الروابط المعنوية بين المقاصد والموضوعات التي تتــضمنها بعــد تقــسيمها إلى

(١) المصدر نفسه (٤٠٥ ــ ٤٠٦) .

(٢) التفسير الحديث (١/ ٦).

مجموعات وفقرات ومقاطع وأقسام حسب طول السورة. ففي سورة البقرة مثلاً يتعرض بعد تفسير كل مقطع إلى ذكر وجه مناسبته لباقي المقاطع، ويبين بعد تمام كل قسم اتصاله بالقسم الآخر. ومن ذلك قوله: «إن القسم الثاني يكمل القسم الأول ويكمل مقدمة السورة في الدلالة على التقوى أركانًا وطريقًا واستقامة. ومن خلال القسم الأول والثاني نعرف محل أركان الإسلام الخمسة في قضية التقوى. فالملاحظ أن مقدمة سورة البقرة ذكرت من أركان الإسلام: الإيمان والصلاة والإنفاق، فذكر القسم الثاني من أركان الإسلام الصوم والحج...وبعد ذلك يأتي القسم الثالث فيتحدث عن أمر الدخول في الإسلام...وفي ذلك كله مظهر من مظاهر وحدة السورة وتكامل معانيها وارتباط بعضها ببعض »[1].

و قد برع في تقسيم مقاطع السورة واستهدى بالمعاني المستقلة مع الاستئناس ببعض الكلمات القرآنية المتكررة في مواضع من السورة، حيث اعتبرها علامة لابتداء مقطع جديد، وقد أفصح بذلك في تفسيره لسورة الأنعام فقال : «جرينا أن نعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعد المعنى في تحديد بداية المقطع ونهايته، ولكن الشيء الأكثر تحديدًا والذي يجعلنا نحدد به المقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعنى»[2]، ومن أمثلة ذلك ما صنعه في سورة (ص)حيث قسم المقطع الأخير منها إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة منها تبدأ بقوله تعالى﴿ قُلْ ﴾:

المجموعة الأولى تبدأ بقوله تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ﴾[الآية:٦٥].

---

(١) (٣٦٥/١) دار السلام. القاهرة. ط ٥. ١٩٩٩.

(٢) المصدر السابق (٣ / ١٥٦٧) .

والمجموعة الثانية تبدأ بقوله تعالى﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴾ [الآية:٦٧].

والمجموعة الثالثة تبدأ بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [الآية ٨٦ إلى آخر السورة] [(١)].

ويعلق على هذا التقسيم بقوله: نلاحظ أن كلمة ﴿ قُلْ ﴾ تكررت في المقطع ثلاث مرات ،ومن ثم فالمقطع يتألف من ثلاث مجموعات، كل مجموعة تسهم في توجيه الإنذار إلى المشركين وإقامة الحجة عليهم ضمن سياق السورة وبما يخدم محورها .

ومن خلال استكشافه لمقاصد السور ومحاورها الموضوعية كان يستجلي تكاملها، فهو يقول مثلا عن سورة المائدة : « إن سورة المائدة تفصل فيما هو نقض للميثاق، وفيما هو قطع لما أمر الله به أن يوصل، وفيما هو إفساد في الأرض، فتدعونا لتركه وتطالبنا بما لو فعلناه لا نكون فاسقين ولا خاسرين ... فهي تكمل سورة النساء، فإذا كانت سورة النساء قد فصلت فيما هو من التقوى، فسورة المائدة تفصل فيما ليس من التقوى لتعمق عندنا قضية التقوى وتحققنا بها بتخليصنا من أضدادها ... » [(٢)].

وقد تميز سعيد حوّى بمحاولة رائدة في كشف النسق القرآني العام ملتمسا لخيوط الوحدة بين طائفة من السور المتوالية في ترتيب المصحف، ويعبر عنها بكلمة زمرة، ويعني بها مجموعة السور التي تتحد في خصيصة معينة ولكنها تنتسب إلى أكثر من مجموعة داخل القسم، وذلك كزمرة الحواميم التي

---

(١) المصدر السابق (٩ / ٤٨٥٤) .

(٢) المصدر السابق (٣ /١٢٩٧ ــ ١٢٩٨) باختصار .

قدم لها في مقدمة سورة غافر تحت عنوان " كلمة في زمرة آل حـــم "[1]. ثم ختم الحديث عنها في سورة الأحقاف تحت عنوان " كلمة أخيرة في ســـورة الأحقاف وزمرة آل حم "، تحدث فيها عن مضمون هذه الـــسور وأوجـــه التناسب بينها[2] .

كما امتد نظره إلى النسق الذي تشكله السور القرآنية واكتـــشف أن سورة البقرة تفصيل لما أجملته سورة الفاتحة من مقاصد ومعان، وأن الـــسور التالية لسورة البقرة لتفصل في معان واردة فيها .. بحيث تتصل كل سورة بآية في سورة البقرة وبارتباطاتها وامتداداتها، فسورة آل عمـــران تلقـــي أضـــواء التفصيل على الآيات الأولى من سورة البقرة .

وسورة النساء تقابل بعد ذلك في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقـــرة:٢١] مستأنسًا في ذلك بمشابهتها لمطلع سورة النساء:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ الآية.

وسورة المائدة تفصل في قولـــه تعـــالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة:٢٧] ، منبها على أن سورة المائدة مبدوءة بــــ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ .

(١) المصدر السابق (٩ / ٤٩٢٥).

(٢) المصدر السابق (٩ / ٢٥٨٨). وانظر كلامه عن زمرة " ألم . العنكبـــوت والـــروم ولقمـــان والسجدة " في سورة العنكبوت(٨/ ٤٢٤٠)، وفي نهاية هذه الزمرة في سورة السجدة تحت عنوان " كلمة أخيرة في سورة السجدة وزمرتها "(٨/ ٤٣٧٥).

وتفصل الأنعام في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة الآيتان ٢٨-٢٩] ، وتفصل سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨] ملاحظاً الصلة بين هذه الآية ومقدمة سورة الأعراف، أما سورتا الأنفال والتوبة فإنهما يفصلان في محور واحد من سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [الآية:٢١٧] وينبه القارئ إلى ملاحظة الصلة بين استفتاح الآية بالسؤال واستهلال سورة الأنفال بالسؤال أيضا(١).

وإنما اعتبر سورة البقرة محوراً لسائر سور القرآن، وما عداها تفصيل لما ورد فيها لأن سورة البقرة جامعة لمقاصد الدين ومجمل أحكامه، مستوعبة لأهداف القرآن ومراميه. وفي ذلك يقول : « وكل قسم من الأقسام يكمل بقيتها، فقسم المفصل يكمل قسم المثاني، وقسما المثاني والمفصل يكملان تفصيل قسم المئين، والأقسام الثلاثة تكمل تفصيل قسم الطوال، ولهذا كله قواعده وأسرار انتظامه، وكل ذلك قد ربط بخيوط إلى سورة البقرة، فكأنها الأصل الذي ينبثق عنه بانتظام فروع أولى، ثم فروع ثانية، ثم فروع ثالثة، ثم فروع رابعة، فكأنها شجرة فيها أربعة وعشرون غصنًا، كل غصن له فروعه وأوراقه وثماره وارتباطاته بسورة البقرة ارتباطًا منتظمًا دقيقًا »(٢).

ويوضح سعيد حوّى الصلة بين بناء القرآن على هذا النحو وبناء النفس البشرية فيؤكد أن «كل مجموعة لاحقة تُبنَى على كل ما سبقها من مجموعات،

---

(١) المصدر السابق (٢ / ٦٨٥ ــ ٦٨٦).

(٢) الأساس في التفسير (١٠ / ٥٧٢٨) بتصرف .

وكل سورة تفصل في محور تبنى على التفصيلات السابقة لهذا المحور، بحيث تعمق المعاني وتؤكدها وتكملها في عمليات متلاحقة، يتكامل بها بناء النفس البشرية لتؤدي دورها مع غيرها في سير منضبط إلى الله عز وجل وفي صف واحد نحو تحقيق الأهداف » [1].

وبين أن كل سورة تعمل عملها في تطهير النفوس وجِلاء القلوب من الصدأ الذي ران عليها، وعبر عن ذلك قائلاً: « لقد جاءت سورة البقرة فربت على التقوى من خلال السياق، وجاءت سورة آل عمران لتفصل أساس التقوى ضمن السياق، وجاءت سورة النساء لتفصل في ماهية التقوى ضمن السياق ثم تأتى سور القرآن، وفي كل سورة يأتي جديد، فما إن يبدأ الإنسان يقرأ القرآن حتى يغسل القرآن قلبه؛ إذا أدركت هذه النقطة تكون قد أدركت حكمة من حكم التكرار والتفصيل في القرآن، وتكون قد عرفت سببًا من أسباب كون القرآن على مثل هذا الترتيب» [2].

وقد ظهر لون من ألوان التفسير عني عناية شديدة بوحدة مواضيع السورة القرآنية، وعمل على إبرازها مقتصرا على الأغراض المتعددة التي تتضمنها وتحديد محورها، دون تفسير السورة آية آية، ومن أفضل النماذج على ذلك كتاب الشيخ الغزالي "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم".

وقد ذكر – رحمه الله – في مقدمة الكتاب أنه تأسى بالشيخ محمد عبد الله دراز معتبرًا إياه أول من فسر سورة كاملة تفسيرًا موضوعيًا. وقد بين مراده بالتفسير الموضوعي فقال: « والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي:

(١) المصدر السابق (١٠ / ٥٧٢٨).

(٢) المصدر السابق (٢ / ١٢٦٧ ــ ١٢٦٨) بتصرف .

الأخير يتناول الآية أو الطائفة فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام. أما الأول فهو يتناول السورة كلها، ويحاول رسم "صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدًا لآخرها وآخرها تصديقًا لأولها »(١).

ويلتحق بهذا النوع كتابات اعتنت ببيان موضوعات كل سورة وأهدافها إجمالاً مع محاولة الربط بينها بإطار كلي(٢)، مثل كتاب "النظم الفني في القرآن" لعبد المتعال الصعيدي، و" إيجاز البيان في سور القرآن " لمحمد علي الصابوني، و"أهداف كل سورة ومقاصدها" لعبد الله شحاته.

أو كتابات اكتفت بدراسة الأغراض المحورية لبعض السور ككتاب "الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية " لرفعت فوزي عبد المطلب، حيث درس فيه سورة مريم، وطه، والأنبياء، والحج، والنور، والشعراء، والقصص، والأحزاب، ويس، والصافات، وص، والزمر، وغافر .

كما ظهرت مجموعة من الدراسات القرآنية التي تفسر سورًا قرآنية معينة وتستحضر وحدة نسقها وتعانق قضاياها الكبرى، ومن أبرزها كتب الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسير سورة الرعد وسورة فاطر، وكتب د. حسن محمد باجودة مثل "تأملات في سورة المائدة" "تأملات في سورة آل عمران " تأملات في سورة الإسراء" وغيرها... حيث نص على أن هدفها هو

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأولى (ص ٥) دار الشروق ط ١٩٩٢، وعلى هذا النحو سار محمد قطب في بعض السور بشكل أوسع في كتابه دراسات قرآنية .

(٢) ومن أوائل الكتب التي سارت على هذا النهج " نظرة العجلان في أغراض القرآن " للشيخ محمد ابن كمال الخطيب، طبع بالمطبعة العصرية دمشق سنة ١٣٦٥هـ ، ولكني لم أقف عليه.

" تبيين مظاهر إعجاز السورة الكريمة، وتبيين الروابط الظاهرة والخفية بين موضوعاتها وآياتها وأجزاء الآية الكريمة الواحدة " [1]، وهذا النمط هو من التفسير التحليلي لا من التفسير الموضوعي.

ويبقى أن أشير إلى أن التفسير الموضوعي ينصرف إذا أطلق إلى «دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم وذلك بجمع الآيات المتعلقة به لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية » [2]، ويدرج فيه طائفة من الكاتبين النمط التفسيري المتقدم الذكر، والذي يقوم على تفسير السورة إجمالاً ويكتفي بعرض مضامينها بشكل يبين التحامها ويلحظ الهدف الذي تلتقي عليه آياتها، ولكنني أوثر– للتمييز – أن أطلق على هذا اللون " التفسير الشمولي للسورة ".

(١) تأملات في سورة المائدة (٧).

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (١٦ و٢٧) وينظر : مقدمات في التفسير الموضوعي لمحمد باقر الصدر (١٧) دار التوجيه الإسلامي، ١٩٨٠م.

المبحث الخامس

فوائد وحدة النسق في تفسير السورة القرآنية

إن إدراك وحدة نسق السورة القرآنية والكشف عن المحور الذي تدور عليه جميع مواضيعها وإبراز الروابط التي تربط بين أجزائها من أهم العوامل المساعدة على **تفهم معاني آياتها واستجلاء الدلالات المكنونة في طواياها.**

وقد تنبه الإمام الشاطبي إلى ذلك حيث قرر أنه لا محيص للمتفهم عن استيفاء جميع أجزاء السورة بالنظر باعتبارها كلامًا واحدًا من جهة النظم[1].

كما استشعر البقاعي فائدة النظر الشمولي إلى السورة ومعرفة مقصودها وقرر في كتابه "مصاعد النظر" ثمرة علم مقاصد السور وغايته فقال: «وغايته معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة. ومنفعته التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير. ونوعه التفسير. ورتبته أوله فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له من حيث أنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً»[2].

ومن يتأمل التفاسير التي سارت على منهج لا يلحظ وحدة السورة ويقارن بينها وبين التفاسير التي لاحظتها يرى أثر ذلك بينًا، فتفسير الآيات بناء على معرفة موقعها من مقصود السورة العام يكون أدق وأعمق، فلا تبدو موضوعات السورة أشتاتًا مفرقة وأجزاء مبددة، وإنما تبدو متسقة المعاني ملتحمة المقاصد، كفروع وأغصان متشابكة تتفرع عن جذع واحد. ومن هنا

---

(١) الموافقات (٣ /٣١١).

(٢) مصاعد النظر (١ /١٥٥).

يكون بيان المفسر للموضوعات الجزئية في ضوء الغرض الأساس للسورة، ويوجه تفسيرها بما يجلي الهدف المحوري الذي تعالجه.

أما أخذ السورة آية آية وتفسيرها على أنها منفصلة دون النظر إلى السلك الجامع الذي تنتظم فيه حبات عقدها فإنه يفوت على المفسر إدراك جملة من هدايات القرآن ولطائفه ومظاهر إعجازه، ومن هنا التفت بعض المشتغلين بالتفسير والدراسات القرآنية من المعاصرين إلى ملاحظة هدف السورة واستلهام روحها الخاصة في تفسير أجزائها.

ولعل برهان الدين البقاعي من أوائل من نبه على فائدة ملاحظة ذلك في التفسير حين تحدث عن فوائد علم المناسبات المرتبط بنسق السورة في مقدمة "نظم الدرر" وقال: «وبذلك يوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب، منها قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [الآيتين:١٣٣-١٤٤]. ومنها قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [الآية: ٩٥]، مع قوله عقيبه: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الآيتان:٩٥-٩٦] وقوله تعالى في آخر هود: ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [الآية:١٠٩]، إلى غير ذلك وقوله تعالى سبحانه في: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء:٨٥]، وقوله تعالى في السجدة: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الآية:١١] وقوله تعالى في يس: ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الآية:٣١] مما تراه وينكشف لك غامض معناه»(١). ولا غرو، فالمناسبة هي المصححة لنظم

(١) نظم الدرر (١ /١٣ –١٤).

الكلام[١]. ومعرفة وجه الصلة بين الآية وسابقاها، وإدراك موقعها من السياق العام للسورة يهدي إلى الصواب في تفسيرها، ويعين المفسر على ترجيح بعض ما تحتمله الآية من معان إذا كان أليق بالنظم وأنسب للمقصود.

ومن أمثلة ذلك قول محمد عبد الله دراز في دراسته لنسق سورة البقرة : «مضى جمهور المفسرين على أن قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾[٢]مشار به إلى أقرب الطائفتين في الذكر، وهم المنافقون، ولكن المروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم أنه راجع إلى الكفار مطلقًا. وهذا الذي عولنا عليه لأنه أقعد في المعنى وفي النظم... وأما في النظم فلأن تناولها للطائفتين يتم به حسن المقابلة بين الإشارتين في قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى ﴾ وقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾. ثم به يتم جمال الصنعة في تفريق الأقسام ثم جمعها، ثم تفريقها ثم جمعها. فقد رأيته يفرق الطائفتين في أوصافها الخاصة ثم يجمعها في هذا الوصف المشترك. وستراه يعود إلى تفريقهما في ضرب الأمثال ثم يجمعهما مرة أخرى مع سائر العالم في النداء الآتي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة:٢١] »[٣] .

كما أن **مراعاة النسق العام للسورة يعطينا معان أخرى للآيات** بشكل يؤكد أن القرآن لا تنقضي عجائبه مع كثرة الرد، فإن نظرت إلى الآية في بنائها اللفظي بقطع النظر عن سياقها استفدت معنى معينًا، وإن امتد نظرك إلى سوابقها ولواحقها القريبة استفدت معنىً آخر، وإن أشرفت على مقصود السورة ونظرت

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١ /٣٤).

(٢) البقرة ، الآية : ١٦ .

(٣) النبأ العظيم (١٦٨ هامش ١)، وانظر كذلك تفسيره للمثل (١٦٨ ــ ١٦٩).

إلى موقع الآية في بنائها الكلي استفدت معنىً آخر، وهذا دليل من دلائل عظمة القرآن واتساع مدلولاته، ومن أمثلة ذلك ما بينه سعيد حَوّى في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

يقول رحمه الله : «...وأما النهي عن إهلاك النفس : فإذا نظرنا إلى النص مجردا كان له معنى . وإذا نظرنا إليه من خلال الآية التي هو فيها أعطانا معنى آخر، وإذا نظرنا إليه أنه جزء من السياق أعطانا معنى جديدًا . وكل هذه المعاني مرادة، وكلها قد ذكرها أئمة التفسير عند شرح الآية، فإذا نظرنا إلى النص مجردًا فهمنا منه أنه نهى عن قتلنا أنفسنا . أي لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال أهلك فلان نفسه بيده : إذا تسبب في هلاكها ... »[1].

وإذا نظرنا إلى هذا النهي وورده بعد الأمر بالإنفاق فهمنا منه أنه نهى عن ترك الإنفاق في سبيل الله؛ لأنه سبب للإهلاك ، ويؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه في الآية قال : ((نزلت في النفقة))[2] .

وأورد أقوالاً أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وسعيد بن جبير والحسن البصري رحمهم الله تؤيد ذلك، ثم عقبها بقوله: «وإذا نظرنا إلى هذا النهي من خلال وروده بعد آيات القتال فهمنا منه أنه نهى عن ترك الجهاد »، وأورد في ذلك حديثًا لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه يؤيد ذلك.[3] ثم قال: « وقد لاحظنا أن هذه الاتجاهات الثلاثة الرئيسية في

---

(١) الأساس في التفسير (١ / ٤٤٧) بتصرف .

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير،باب تفسير سورة البقرة، رقم٤٤٠٠ [فتح الباري ج٨/ ٣٣].

(٣) الأساس في التفسير (١ / ٤٤٧) بتصرف.

فهم هذا النص، سببها ملاحظة النص مجردًا، أو السياق القريب، أو السياق العام، وهذا قد يكون أبرز مثال من خلال كلام أئمة التفسير لما حاولنا إبرازه سابقًا من أن هذا القرآن لا تتناهى معانيه، فمن خلال المعنى المجرد ومن خلال السابق القريب والسياق العام والوحدة القرآنية، ومن خلال عبارة النص، ومن خلال إشارة النص، تتولد معان لا تتناهى، وكل يأخذ من كتاب الله على قدر ما قسمه الله له، وهذه المعاني كلها حق ... »(١).

وإلى جانب ذلك يهدي استحضار وحدة نسق السورة إلى كثير من الحكم والدقائق المعنوية واللطائف التربوية التي تجلي هدايات القرآن وتبرز إعجازه، وهذا ما أشار إليه الرازي بقوله: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»(٢).

ومن فوائد معرفة مقصود السورة ولمح بنائها المعنوي العام أنها توقف المتدبر على القوي من المناسبات الجزئية بين آحاد الآيات. فكثيرًا ما كان المفسرون الذين عنوا بذلك يحاولون الربط بين بعض الآيات غافلين عن نظام السورة المعنوي فلا تظهر لهم وجوه قريبة للمناسبة، وقد تنبه البقاعي بفضل قاعدة شيخه المشذالي إلى أن معرفة الغرض الذي سيقت السورة لأجله هو السبيل إلى إدراك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية(٣)، وأن «من حقق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها»(٤). بل إنه أكد أن

(١) المصدر السابق (١ / ٤٤٨)، ويراجع (٢ / ١١٣٦ ــ ١١٣٨) و(٣ / ١٣٦٧) .

(٢) المصدر السابق (١ /٣٦).

(٣) انظر نظم الدرر (١ /١٧ –١٨).

(٤) مصاعد النظر (١ /١٤٩).

الإجادة في علم المناسبات متوقفة على معرفة مقصود السورة الذي يفيد معرفة مقاصد جميع جملها وأجزائها، «ولذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبةَ علم البيان من النحو»[1].

وقد تفطن دراز إلى أهمية النظر الشمولي إلى مواضيع السورة ووحداتها الصغرى لاكتشاف الروابط الجزئية فقرر – وهو يمهد لبيان نظام معاني سورة البقرة – «أن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين كل جزء جزء منه – وهي تلك الصلات المبثوتة في مثاني الآيات ومطلعها ومقاطعها- إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل على بينة»[2].

والمتتبع لعرض دراز لمعاني سورة البقرة التي جعلها نموذجًا لهذا المنهج يجد بعض الآراء الطريفة التي خالف فيها جمهور المفسرين بناء على مقتضيات نظم السورة ووحدة بنائها المعنوي، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة:٢٤٠] : « والجندي في الحرب تشغله – على الأقل – مخافتان : مخافة على نفسه وعلى المجاهدين معه من أخطار الموت أو الهزيمة، ومخافة على أهله من الضياع والعَيْلة لو قتل ... لذلك انساق البيان الكريم

(١) نظم الدرر (١ /١٢).

(٢) النبأ العظيم (١٥٦).

يطرد عن قلبه كلتا المخافتين، أما أهله فقد وصى الله للزوجة إذا مات زوجها بأن تمتع حولاً كاملاً في بيته، وكذلك مطلقته سيتقرر لها حق في المتعة لا يُنسى »[١]، فكأنه جعل هذه الآيات موصولة العُرى بشأن الجهاد، وليست انتقالاً كليًا إلى قضايا الأسرة، ومن ثم رأى أن هذه الآية تقرر حقًا غير منسوخ لزوجات المجاهدين، وأن سياق الآيات عند التأمل يوحي بذلك خلافًا لما ذهب إليه معظم العلماء من كونها آية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤] ، بل إنه خالف بذلك من قال بإحكامها[٢] لكونه خص المتاع بزوجات من قتلوا في الجهاد، وقد عبر عن ذلك قائلاً : « ... وواضح أن كلا القولين مبني على أن آية الحول يسري حكمها على الأزواج عامة... ولكن السياق الحكيم أوحى إلينا هذا المعنى الجديد: وهو أن تربص الحول الكامل كان خصوصية فضلت بها زوجات المجاهدين على زوجات القاعدين، والله أعلم»[٣].

ومع أني أميل إلى القول بإحكام هذه الآية، إلا أنني لا أرى أنها خاصة بالمجاهدين، إذ دلالة السياق ليست من القوة لتخصص عموم الآية، لا سيما وأنها استهلت كالآية الأخرى بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ولو كان المراد بها المجاهدين فقط لكان الأوفق أن يكون التعبير: "و الذين قُتِلوا "، والله أعلم.

ومن ثمرات هذا النظر أنه بيّن أنه لا يشترط أن يكون ثمة تناسب بين

---

(١) المصدر السابق (٢٠٦).

(٢) من العلماء القائلين بإحكامها علم الدين السخاوي في جمال القراء (١ / ٢٦٦) والحرالي كما نقل عنه البقاعي (٣ / ٣٧٩ ــ ٣٨٢).

(٣) النبأ العظيم (هامش١ ص ٢٠٦). وقد استفاد من هذا المسلك في مواضع أخرى (١٦٨و١٦٩).

كل آية وقرينتها، بل إن من منهج النظم القرآني أنه قد يتم طائفة من المعاني ثم ينتقل إلى طائفة أخرى تقابلها، فيكون حسن التجاور بين الطائفتين مستدعيًا لحسن المقابلة بين الأوائل من كل منهما أو بين الأواخر كذلك، لا بين الأول من هذه والآخر من تلك [1].

فالسورة القرآنية بمثابة حلقات مترابطة مشمولة بحلقة أكبر منها، وهي داخلة فيها متعلقة بها، ولا يتحتم أن تكون كل حلقة موجودة على مسار خط السورة مرتبطة بالحلقة التي قبلها مباشرة، بل قد تكون متصلة بالحلقة الكبرى التي تمثل مقصود السورة الرئيس، أو متصلة بحلقة دونها قد سبقت وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات[2].

ومن فوائد الاستبصار بمقصود السورة القرآنية استجلاء: أسرار تكرار القصص واختلاف الآيات المتشابهة في التعبير. وقد نبه البقاعي إلى ذلك فقال: «وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت به في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة»[3].

فالقصة في كتاب الله إنما تساق لتفيد عبرة من العبر، ولكل قصة عبر

---

(١) المصدر السابق (١٦٢).

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ص ٢٨). دار القلم. دمشق .ط٢ ١٩٨٩م.

(٣) نظم الدرر (١ / ١٤).

ودروس، ودلالات كثيرة، والقرآن يورد في كل موضع مشاهد من القصة تناسب الموضع الذي جاءت فيه، ويشهد للمقصود الذي تهدف إليه سوابقها ولواحقها من آيات السورة.

فكل سورة لها هدف خاص وشخصية متميزة، وجميع ما تشمله من معان جزئية ومحاور صغرى تتجه لخدمة هدف السورة وتتأثر في صياغتها التعبيرية بروحها،ومن ثم فإن أي نص من نصوص القرآن – ولو بدا متشابهًا- يصطبغ بجو السورة التي يرد فيها وتكون له حينها ملامح خاصة تميزه عن نظائره.

وقد ضرب البقاعي مثالاً لذلك فقال: « ولأجل اختلاف مقاصد السور تتغير نظوم القصص وألفاظها بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد. مثاله : مقصود سورة آل عمران التوحيد، ومقصود سورة مريم عليها السلام شمول الرحمة. فبدئت آل عمران بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من الصبر وما معه مما أعظمه التقوى. وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات الجامع لجميع الصفات فيها تكريرًا لم يكرر في مريم، فقال في قصة زكريا عليه السلام: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٤٠]. وقال في مريم :﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم:٩]. وقال في آل عمران في قصة مريم عليها السلام :﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ﴾ [آل عمران:٤٥] إلى أن قال:﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٤٧] . وفي مريم : ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ

قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[مريم:١٨-٢١]. وغير ذلك بعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبد من خُلَّصِ عباده، وختمها بأن كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له ودًا، وأنه سبحانه يسر هذا الذكر بلسان أحسن الناس خُلُقًا وخلْقًا، وأجملهم كلامًا وأحلاهم نطقًا. وكرر الوصف بالرحمن وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى في أثناء السورة تكريرًا يلائم مقصودها ويثبت قاعدتها وعمودها »[١].

ولكون القصص المكررة في القرآن مدخلاً يلجه الطاعنون في إعجازه فإن المفسرين المعاصرين التفتوا إلى هذا الملحظ، واستثمروا وحدة نسق السورة في توجيه تلك القصص ومنهم: سيد قطب، ومحمد عزة دروزة، وسعيد حوى وغيرهم، ويبدو نضج الفكرة عند هذا الأخير بشكل كبير؛ إذ لا ينفك في كل موضع وردت فيه قصة مكررة عن بيان كونها جاءت على ذلك النحو لتنسجم مع روح السورة ومقصودها، فيقول مثلاً: « إن قصة آدم وردت في سورة البقرة وترد هنا (أي في الأعراف) مرة ثانية، وقصة بني إسرائيل وردت في سورة البقرة وترد هنا مرة ثانية، ولكنهما تردان ضمن السياق الخاص لسورة الأعراف، وبما يخدم هذا السياق. وهناك وردتا ضمن السياق الخاص لسورة البقرة بما يخدم ذلك ...فمثلاً قصة آدم في سورة البقرة تخدم سياقها الخاص وهو الأمر ﴿**اعبدوا**﴾، فهي نموذج الانحراف عن الأمر وما يترتب عليه، وكيف ينبغي أن يفعل الإنسان ليتخلص من مخالفته. أما قصة آدم في سورة الأعراف فهي تخدم موضوع الاتباع وما يترتب عليه، والكفر وما يترتب عليه»[٢].

---

(١) مصاعد النظر (١ /١٥٢ – ١٥٣).

(٢) الأساس في التفسير (٤ /١٨٨١).

ومن فوائد مراعاة نسق السورة وطابعها الخاص الوقوف على الأسرار البيانية المنطوية تحت الفروق التعبيرية في السور القرآنية؛ ذلك أن الكلمات ومفردات التركيب تتجه برمتها لخدمة مقصود السورة وتتأثر في صياغتها وسبكها بروحها، ومن ثم تجد المعنى الواحد يرد في أكثر من سورة ولكن يعبر عنه في كل واحدة منها بما يلائم سياقها ويناسب مقصودها وجوَّها الخاص ، ومن هنا كان سر اختلاف الآيات المتشابهة في ألفاظها واختصاص كل واحدة بموضعها[1] .

ومن أمثلة ذلك توجيه أبي جعفر بن الزبير للفرق التعبيري بين قوله تعالى :﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩] وقوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٤] حيث يعزو التعبير بإبداء الخير في آية سورة النساء إلى مناسبة الطابع العام الذي يغلب عليها، فقال: « والجواب عن الأول أن قوله مقصود به خصوص طُرق الخير وعمل البر، جريًا على ما دارت عليه سورة النساء وتردد فيها من إصلاح ذات البين والندب إلى العفو والتجاوز عن السيئات... ومن هنا لم يتعرض فيها لأحكام الطلاق، وإن كانت السورة مبنية على أحكام النساء، لكن خص من ذلك ما فيه التألُّف والإصلاح وما يرجع إلى ذلك، ولم يرد فيها من أحكام الطلاق إلا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا

(١) ينظر كتاب المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي للباحث (١٠٢ ــ ١١٠).

مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ فذكر هذا القدر عند استدعاء معنى الكلام وتمام المقصود به إليه بأوجز لفظ، وبما يؤنس الفريقين، ولم يذكر فيها اللعان ولا الظهار ولا الخلع ولا طلاق الثلاث، بل ذكر فيها ما استصحب العشرة إلى التوارث، فلما كان مبنى السورة على هذا ناسب طرف الخير غير مشار إلى ضده إلا بالعفو كما وقع بالمكلف فيه فقال تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٍ ﴾ فنوسب بهذا الخصوص أي خصوص ما تكرر في السورة بما ذكر من العفو وما يحرزه..»[1].

وثمة فوائد أخرى عامة لدراسة نسق السورة القرآنية كتأكيد إعجاز القرآن في نظم آيه وكلمه، ودحض شبهة افتراق القرآن المكي والمدني، إذ نجد - كما تقدم لنا - آيات مدنية في سور مكية والعكس دون أن يظهر في نسيج معانيها أي تنافر أو اختلال[2]. غير أن أبرز ثمراتها هو التأسيس لنمط تفسيري يقرب للناس مقاصد القرآن وهداياته.

---

(١) ملاك التأويل (١/ ٣٦١ ــ ٣٦٣) .

(٢) انظر الأساس في التفسير (١ /٢٦ –٢٧).

المبحث السادس

مسالك الكشف عن وحدة نسق السورة القرآنية

إن تجلية بناء السورة القرآنية وإبراز اتساق عناصرها وتلاحم أجزائها ينطلق من الكشف عن مقصود السورة أو المحور الفكري الذي تدور عليه سائر تفاريع معانيها، ولا مرية في أنه أمر دقيق يحتاج إلى إجالة النظر في أجزاء السورة وإمعان الفكر في تدبر معانيها المتشعبة مع القدرة الفائقة على النظر الشمولي إلى هيكلها العام والتمييز بين الأغراض الرئيسة والمعاني الواردة على سبيل الاستطراد والتتميم.

ومن المسالك التي تعين على إبراز الغرض المحوري في السورة :

١- تدبر فواتح السور وخواتيمها: ففاتحة السورة تشير إلى أهم القضايا التي ستعالجها الآيات بعد ذلك، وتأتي خاتمة السورة لتعود للتذكير بإحدى تلك القضايا وتأكيدها وترسيخها، ولذلك اهتم العلماء بتناسب فواتح السور وخواتمها، حتى إن السيوطي ألف في ذلك كتابا سماه"مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"[(١)]. كما اعتنوا ببيان مناسبة مطلع السورة للموضوع الذي يغلب على آياها تحت مسمى براعة الاستهلال[(٢)]، ولا ينبغي في الحقيقة أن نقف عند هذا الحد، بل لا بد من استثمارها في كشف الغرض المحوري الذي تلتقي فيه جميع مواضيع السورة. وقد تنبه دراز إلى موقع مطلع

(١) صدر بتحقيق د. محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة المكية ط ١، مكة المكرمة، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م.

(٢) انظر كتاب "براعة الاستهلال في القصائد والسور " لمحمد بدري عبد الجليل.

السورة وخواتمها من بناء السورة فقال: « ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطًا حقيقيًا واضحًا محددًا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتدخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة»[1].

ومن أمثلة دلالة فواتح السورة وخواتمها على غرضها المحوري ما بينه عبد الرحمن الميداني في حديثه عن سورة الرعد حيث قال: « وموضوع سورة الرعد تجده في الآية الأولى منها: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وتتضمن هذه الآية الإشعار بالكلام على عناصر ثلاثة، وهي: (١)رسالة الحق(٢)رسول الصدق(٣)مُرسَل إليهم أكثرهم لا يؤمنون.

أما الكلام على الرسالة فيستدعي إقامة الدليل على أسسها، ومن أجل ذلك جاءت مجموعة من الآيات في السورة لإقامة الأدلة على وجود الله عز وجل وعظيم صفاته. وأما الكلام على الرسول والمرسل إليهم فيستدعي بيان حال الصراع الذي تم بينه وبينهم، ويتضمن ذلك عرض أقوالهم وحججهم في تكذيبهم بالرسول، وكيف عالج الرسول صلى الله عليه وسلم إصلاحهم ضمن التعليمات والبيانات الربانية التي أنزلت عليه،كما يتضمن عرض تربية الله لرسوله أمام ما لاقى من المكذبين»[2].

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم (١١٩)، دار القلم، الكويت.

(٢) قواعد التدبر الأمثل (٣٢).

ويوضح سعيد حوى في تفسيره لسورة يونس المناسبة بين مقدمة السورة ومضمونها فيقول : «تبدأ السورة بآية تدل على مضمون السورة وهي ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فالآية الأولى في السورة تذكر حكمة الكتاب، وذلك يؤكد أنه لا ريب فيه، وأنه هدى يجب أن يهتدي به الناس، فهذه الآية التي هي مقدمة السورة تشير إلى مضمونها، كما أنها في محلها تحقق ما يسمى في علم البلاغة (ببراعة الاستهلال) على أعظمه وأروعه،ولله ولكتابه المثل الأعلى، وتنزه كتابه وكلامه أن يشبه كلام البشر» (١) .

ويبين سيد قطب في الظلال الصلة بين مطلع سورة يونس وخاتمتها فيقول: « والترابط في سياق السورة يوحد بين مطلعها وختامها، فيجيء في المطلع قوله تعالى:﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾[يونس:١-٢].ويجئ في الختام ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩]... فالحديث عن قضية الوحي هو المطلع وهو الختام، كما أنه هو الموضوع المتصل الملتحم بين المطلع والختام» (٢).

وفي تفسير سورة القصص يستكشف سعيد حوى الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها فيقول تحت عنوان (كلمة في السياق): « نلاحظ أنه قد ورد في القسم الأول من السورة على لسان موسى عليه السلام:﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ

---

(١) الأساس في التفسير (٥ / ٢٤١٦) .

(٢) في ظلال القرآن (٣ / ١٧٤٥) وما بعدها، وينظر كذلك الأساس في التفسير (١٠ / ٦٠٠٩ ـــ ٦٠١٠).

عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص:١٧] وها هنا يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول :﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [القصص:٨٦] وهذا يشير إلى أن مقاصد السورة الرئيسية التربية على هذا المعنى»[١] .

ومن هذه الأمثلة يتبين أن مطلع السورة يأتي ليعين على معرفة هدف السورة والقضايا التي ستعالجها، وتتوزع مقاطع السورة وفق الخطوط التي رسمتها بدايتها، ثم تأتي الخاتمة لتساعد على توضيح تلك المقاصد في نفس القارئ المتدبر وتذكيره بها بعد أن جال في رحاب السورة ومعانيها المتنوعة.

٢- تقسيم السورة إلى أقسام حسب مضمونها: فالسورة تتكون من جملة من الآيات، وهي سوى المفصل متعددة الموضوعات، ويتحتم على المتدبر ألا يشتت نظره مع تفاريعها وتشعباتها، بل عليه أن يقسم السورة إلى مقاطع بحيث يكون كل مقطع متكونًا من مجموعة من الآيات التي تدور حول موضوع واحد، ثم يحاول البحث عن المواضيع التي تشمل جملة من تلك المقاطع مميزًا بين ما هو محوري فيها وما هو وارد على سبيل التكميل والتفريع، لتتحصل لديه أقسام السورة التي تمثل القضايا الكبرى التي تعالجها، ثم يحاول اقتناص الرابط المعنوي الدقيق الذي يجمع بينها ويكون بمثابة الجذع الذي تتفرع عنه سائر معاني آيات السورة. وقد يكتفي ببيان تلك القضايا والربط بينها في شكل يبين التحام أجزاء السورة.

ومن أحسن من سار على هذه الطريقة سعيد حوى في تفسيره لسورة البقرة حيث قال : «رأينا أن سورة البقرة تتألف من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة.

---

(١) الأساس في التفسير (٧ / ٤١٢٠).

أما المقدمة فهي الآيات العشرون الأولى. وفيها أقسام الناس حسب التقسيم الرباني الإسلامي: متقين وكافرين ومنافقين، وصفة كل منهم. وأما القسم الأول فمن الآية (٢١) إلى نهاية الآية (١٦٧)، وفيها دعوة عامة إلى الناس جميعًا كي يسلكوا الطريق الموصل إلى تقوى الله، ويتركوا كل ما ينافي ذلك.

وأما القسم الثاني فمن الآية (١٦٨) إلى نهاية الآية (٢٠٧)،وهو استمرار للقسم الأول في كونه دلالة على التقوى وتفصيلاً في شأنها وتبيانًا لأركانها وشروطها وما يدخل فيها، وموقف الناس منها، وغير ذلك من معان.

وأما القسم الثالث فمن الآية (٢٠٨) إلى نهاية الآية (٢٨٤) وفيه دعوة إلى الدخول في الإسلام كله،وتبيان لكثير من شرائع الإسلام وتبيان ما يلزم لإقامة الإسلام كله.وفيه التوجيهات الرئيسية في قضايا المال،وفيه الملامح الرئيسية لنظام الاقتصاد في الإسلام النظام القائم على الصدقات والنظام غير الربوي، والنظام القائم على التعامل المنضبط مع تقديم المالكية لله.

ثم تأتي الخاتمة التي يدخل فيها هذا كله؛ إذ مرجع هذا كله إلى الإيمان والسمع والطاعة والتوبة من التقصير، وهذا الذي عرضته الآية الأولى في الخاتمة، ومرجع ما مر كله يعود إلى التكليف المستطاع للإنسان،وأن هذا التكليف بسببه يكون الجزاء والعقاب، وهذا الذي ذكرته الآية الثانية من الخاتمة. وهذا والذي قبله لا يتأتى إلا بعبودية كاملة وتوفيق من الله ، وهذا الذي علمتنا إياه الدعوات» [1].

ويمكن الاستئناس في الوقوف على أجزاء السورة ومقاطعها بما تنبه إليه سعيد حوى في بعض السور القرآنية من تكرر كلمة معينة في مستهل جملة من

---

(١) الأساس في التفسير (١/ ٦٧٣ – ٦٧٤).

الآيات في مواضع متفرقة من السورة، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير سورة الأنعام: «من الملاحظ أن الآية الأولى في سورة الأنعام مبدوءة بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثم تأتي الآية الثانية مبدوءة بقوله تعالى﴿هُوَ﴾، الآية الثالثة المبدوءة بقوله تعالى ﴿وَهُوَ﴾ ثم تتكرر كلمة ﴿وَهُوَ﴾ في السورة كثيراً كما رأينا، فكأنها معطوفة على ﴿هُوَ﴾ الأولى في السورة، وإن من العلامات التي تحدد بدايات ونهايات بعض المقاطع في السورة أن نرى ﴿وَهُوَ﴾، فقد اعتدنا في السياق القرآني أن نرى مقطعاً تشبه بدايته نهايته ، ولذلك نرى أن آخر مقطع في السورة بدايته ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾[الأنعام:١٤١]، فأول آية فيه مبدوءة بقوله تعالى:﴿وَهُوَ﴾ وآخر آية فيه مبدوءة بقوله تعالى﴿وَهُوَ﴾،﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥][1]. وقد بيّن سعيد حوى نفسه أن هذا الأمر ليس مطردًا، وأن العمدة في استكشاف مقاطع السورة هو معاني آياتها فقال : " وقد نرى مقاطع ليست مبدوءة بمثل هذا ولا مختومة بمثله، وقد نرى مقاطع مبدوءة بذلك وليست مختومة به، ولقد جرينا على أن نعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعد المعنى في تحديد بداية المقطع أو نهايته، ولكن الشيء الأكثر تحديدًا والذي يجعلنا نحدد به المقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعنى، وسنرى ذلك واضحًا في السورة »[2].

٣- معرفة الفترة الزمنية التي نزلت فيها معظم آيات السورة: ومن خلال ذلك يمكن التعرف على هدف السورة العام أو أغراضها الكبرى التي

---

(١) الأساس في التفسير (٣ / ١٥٦٧).

(٢) الأساس في التفسير (٣ / ١٥٦٧).

تدور عليها.

فمن المعلوم أن السور المكية عرضت أسس العقيدة الإسلامية،وقد توخت تقرير أربع قضايا كبرى : ١- الإيمان بالله وحده. ٢- الإيمان بالبعث بعد الموت. ٣- الإيمان بالرسالات السماوية. ٤- الدعوة إلى أمهات الأخلاق. فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها هذه القضايا الأربعة مجتمعة أو منفردة.

أما السور المدنية فهي تتوخى بناء المجتمع الإسلامي على أسس الإيمان والطاعة، وتفصيل التشريع في شؤون الحياة كافة،وحماية الأمة من الأخطار الداخلية والخارجية بفضح اليهود والمنافقين ومحاورة أهل الكتاب المجادلين، ولا تخلو سورة مدنية من هذين المقصدين [١]. ومن هنا يمكن للباحث أن يستدل على مقصود السورة من خلال معرفة زمن نزولها وملاحظة أهداف القسم الذي تنتمي إليه من السور في مجمل آياتها.

وقد مر معنا كيف أن الشاطبي اعتبر بكون سورة "المؤمنين" مكية، وتوصل بعد استعراض جملة من آياتها إلى أن القضية الغالبة على نسقها هي ذكر إنكار الكفار للنبوة.كما ذكر أن سورة الأنعام نزلت في الفترة المكية مبيّنة لقواعد العقائد وأصول الدين[٢]، وأنها جاءت مقررة للحق ومنكرة على من كفر بالله واخترع من تلقاء نفسه ما لا سلطان له عليه وصد عن سبيله[٣].

---

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (٤٢ – ٤٣) دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م.

(٢) الموافقات (ج ٣ / ٣٠٤) .

(٣) المصدر السابق (ج ٣ / ٢٦٩).

غير أنه لا يلزم أن يكون الغرض المحوري لكل سورة موافقًا لمواضيع القسم الذي يندرج فيه من مكي أو مدني، فقد يكون مقصود السورة عامًا بحيث يشمل هذه الأغراض التي تغلب على أقسامها. فسورة آل عمران مدنية، ومع ذلك فإن مقصدها العام هو ترسيخ فكرة التوحيد(1)، أو معركة لا إله إلا الله، كما عبر عنه محمد قطب(2).

٤- الاستئناس باسم السورة أو أسمائها التي جاءت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: وأول من جعل أسماء السور معلمًا يهتدى به إلى معرفة مقصود السورة هو الإمام البقاعي، فقد قال في مطلع تفسيره للفاتحة بعد ما ذكر قاعدة شيخه المشَذَّالي: «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل الكتاب أن اسم كل سورة مترجمٌ عن مقصودها؛ لأن اسمَ كل شيء تُظهِر المناسبةُ بينه وبين مسماه عنوانَهُ الدالَّ إجمالاً على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام. ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، فأذكر المقصود من كل سورة، وأُطَبّق بينه وبين اسمها...»(3).

ومن أمثلة تطبيقه بين مقصود السورة واسمها قوله في سورة آل عمران: « والدليل على أن مقصودها التوحيد تسميتها بآل عمران؛ فإنه لم يعرب عن هذا المقصد في السورة ما أعرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من أخبارهم بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد الذي ليس في درج الإيمان أعلى

(١) وهذا ما أشار إليه البقاعي في مصاعد النظر (٢/٦٧-٦٨)، وسيد قطب في الظلال (١/ ٣٥٧).

(٢) دراسات قرآنية (ص: ٢٥١ —٢٥٣).

(٣) نظم الدرر (١ - ١٨ /١٩).

منه...»[١]،ومن ذلك أيضا قوله في سورة النساء :«ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء، فسميت سورة النساء لذلك؛ ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد»[٢].

وهذا المسلك طريق بديع في استكشاف مقصود السورة ، غير أن تطبيق البقاعي له على جميع السور لا يخلو في بعضها من شيء من التكلف، فهو في كثير من الأحيان لا يستهدي باسم السورة لمعرفة مقصودها، وإنما يلتمس وجه المناسبة بينهما بعد أن يتوصل إليه.

ومن جهة أخرى فإن كثيرًا من السور لها عدة أسماء، جملة منها من تسمية الصحابة والتابعين. وهذه الأسماء ليست كالعناوين التي تدل على مضمن مسماها بشكل إجمالي، وإنما جرت على عادة العرب في أخذ الأسماء.

وقد بين ذلك أبو جعفر بن الزبير حين قال:« والعرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في المسمى من خلق أو صفة تخصه أو تكون فيه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة من الشعر بما هو أشهر فيها أو بمطلعها إلى أشباه هذا،وعلى هذا جرت أسماءُ سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لغريب قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة في أمرها، وتسمية سورة الأعراف بالأعراف لما لم يرد ذكر الأعراف في غيرها، وتسمية

(١) مصاعد النظر (٢/ ٦٧ – ٦٨) .

(٢) مصاعد النظر (٢ / ٨٨ – ٨٩).

سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها وكثر من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها»[1].

ولذلك أرى أن يكون الاعتماد على الأسماء المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الأسماء التوقيفية لا بد أن تكون منطوية على معان ترمي إليها، غير أن الاسم قد لا تظهر دلالته على مقصود السورة العام بجلاء،إلا إذا أجال المتدبره نظره في السورة وضم إلى دلالة الاسم ما توصل إليه عن طريق المسالك الآنفة الذكر.

ومن الأمثلة الجيدة على هذا المسلك ما قام به الدكتور مصطفى مسلم في دراسته لسورة الكهف كنموذج على التفسير الإجمالي الذي يلحظ الغرض المحوري للسورة [2]، فقد لاحظ أن هذه السورة انفردت بأربع قصص لم تتكرر في سور أخرى، وهي قصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى عليه السلام مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وقد جاءت تسمية هذه السورة بالكهف في أحاديث مرفوعة، منها قوله عليه الصلاة والسلام : ((**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**)) [3]. وحين تأمل في القصص الأربعة وجدها تشترك في بيان أسباب الفتن الكبرى في الحياة الدنيا، وهي: فتنة السلطان، والمال، والعلم، والأسباب المادية . ومن ثم استخلص أن السورة جاءت لتلقي أضواء كاشفة على هذه الفتن، وتكشف حقيقتها وتظهر

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (١/ ١٧٤ـ ١٧٥) تحقيق : سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي. ط ١. ١٩٨٣م.

(٢) وهو يعتبره أحد أنواع التفسير الموضوعي، ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٣) صحيح مسلم (٦ / ٧٧ رقم ١٨٣٣).

حقارة شأنها، وتعطي المؤمن الموازين التي يميز بها بـين الحـق والأباطيـل ، وبذلك تكون قراءة هذه السورة عصمةً من جميع الفتن، وفي مقدمتها فتنـة المسيح الدجال .

ثم تأمل في علة تسمية السورة باسم الكهف واستنبط وجهَ المناسبةِ بين اسم السورة وموضوعاتِها، فرأى أن اسم الكهف قد اختيرنظرًا إلى المكـان الذي لجأ إليه الفتية لحمايتهم من الفتنـة: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهـف:١٦] ومن تدبر موضوعات السورة واعتبر بقصصها كانت له كالكهف الحـصين الذي يؤوي من جميع الفتن، وإذا كان الكهف الذي لجأ إليه الفتية قد اكتنفته رعاية الله، فحفظهم الله به من بطش المشركين ، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عنايةِ الله -سبحانه- وحفظِه وسترِه، فلا تؤثر فيه الفتنُ المعروضةُ على قلبه ولو كانت مِثل قِطَعِ الليل المظلم(١) .

و يبقى - في خاتمة المطاف - ما توصل إليه المتأمل بعد طول تدبر في السورة، واستيفاءٍ لطرق كشف غرضها المحوري أمرًا اجتهاديًا لا يمكن القطع به، ولكل باحث أن يتدبر السور القرآنية ويتفكر في تناسق آياتها وترابطها، ويستخرج مقاصدها الكلية ما دام قد استفرغ وسعه واستدل لما أفضاه إليه تأمله، ولا ضير في الاختلاف في هذا، فذلك في نفسه مظهر من مظاهر ثراء القرآن وكرم عطائه .

(١) مباحث في التفسير الموضوعي (١٧٤).

الخاتمــة

لقد صار الاستبصار بنسق الســورة القرآنيــة وملاحظــة وحــدة موضوعاتها في التفسير أمرًا ضروريًا لاستجلاء هــدايات القــرآن وتفجــير مكنوناته. وفي سبيل ذلك حاولت أن أبين ما يلي:

١- ظاهرة التناسق الموضوعي خصيصة من خصائص السور القرآنية، وما من سورة إلا ولها هدف محوري تتجه إليه جميع موضوعاتها، وهو منــها بمنــزلة الروح من الجسد، ولو تأمل الإنسان لوجد أن بين القــرآن الكــريم والكون العظيم توافقًا بديعًا، فكما أنك لا ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فلن تجد في كلامه أي اختلاف أو تهافت، وكما أن عناصر الكون متكاملة في تحقيق أداء ما خلقت من أجله، فكذلك آيات القرآن وسوره متكاملة في إبانة الرسالات التي تتضمنها، وكما أن الجسد الواحد تتكامل أعضاؤه وتتــساند للقيام بوظائفها، فآيات السورة الواحدة تتضافر في مسار واحــد لتحقيــق مقاصدها. وكما أن في كل جسد حي روحًا تسري فيه لا تدرك إلا بآثارها، ففي كل سورة روح - خفية - تسري في أجزائها ولا تعرف إلا بتدبرها.

٢- إن علمي "المناسبات" و"مقاصد السور" اللذان أبدعهما أئمة التفسير هما الأساس الذي ينبغي أن يرجع إليه الكاتبون الذين يعتمدون النمط التفسيري الذي يستلهم الغرض المحوري للسورة، غير أنه لا ينبغي الوقوف عند جهود العلماء المتقدمين في هذا المجال، بل يجب السير به قدما نحو تفهيم القرآن للناس وتبليغهم مقاصدَه على نحو مقبول قريب من أفهامهم.

ومن ثم لا بد من تخليص المناسبات بين الآي من الاصطلاحات البلاغية التي تخص طرائق الانتقال وأساليب الربط بين الموضوعات المختلفة، كما يجب استجلاؤها في ضوء مقصود السورة العام لا بمعزل عنه.

ومن جهة أخرى ينبغي تصحيح تصور الروابط القائمة بين آيات السورة، فلا يتوهم أنه يجب أن تكون لكل آية علاقة معنوية واضحة بسابقتها، وأن كل معنى يلزم أن يفضي إلى ما بعده،كالحلقات المتسلسلة المستقيمة. وإنما تكون السورة كحلقة كبيرة ترتبط بها بعض الحلقات، وتكون مناسبة كل مجموعة منها للأخرى من جهة ارتباطها بالأصل لا من جهة تتاليها في الترتيب.

٣- البحث عن الغرض المحوري التي تدور في فلكه موضوعات السورة يسير على الخطوات التالية:

- تحديد الفترة الزمنية التي نزلت فيها السورة والطابع الذي يغلب عليها : المكي أو المدني، وتتبع أسباب نزول جملة من آياتها.

- تدبر فواتح السورة وخواتيمها،والتماس ما تضمنته من معان في سائر أجزاء السورة وذلك بتتبع جميع آياتها.

- استعراض أجزاء السورة وتقسيم آياتها إلى مقاطع وأقسام حسب المعاني الجزئية والمحاور الصغرى التي تناولتها.

- التمييز بين الموضوعات الرئيسة والمعاني التي انجر إليها السياق لداع من الدواعي كالتي وردت على سبيل التتميم أو التفريع أو التنظير أو غيرها.

- الاستئناس بما ورد في بعض التفاسير من مناسبات تربط بين بعض مقاطع السورة.

- محاولة اقتناص الروابط المعنوية التي تصل بين المعاني الجزئية للخلوص إلى أهم القضايا التي تعالجها السورة. ومن ثم اكتشاف الجذع المشترك التي تتفرع عنه. ويبقى أن التعبير عنه قد يكون عامًا بحيث يستطيع شمول سائر تلك الموضوعات، وقد يكتفي بعرض تلك القضايا وبيان التحامها.

٤- إن ملاحظة وحدة بناء موضوعات السور القرآنية هو المصباح الذي يستضيء به المفسر المعاصر للإفادة مما تتضمنه تفاسير الأئمة المتقدمين من الروايات المأثورة والأقوال المختلفة، والتفصيلات الإعرابية والدقائق البلاغية والأحكام الفقهية والمسائل العقدية لينتقي منها ما يوافق مقصود السورة ويأخذ بيد المسلم نحو فهم مراد الله تعالى وملامسة هداياته في كلامه. وهذا لا يعني بحال إهمال كتب التفسير المتقدمة ومناهجها المتعددة أو إغفال ما تضمنته من ثروة قرآنية عظيمة، فهي بأجمعها مناهل عذبة للشاربين على اختلاف أصنافهم ومطالبهم .

٥- يمكن الإفادة من الوقوف على الغرض المحوري للسورة في شكلين من أشكال التفسير:

أ- التفسير الشمولي للسورة بعرض قضاياها الكبرى وبيان المعاني الإجمالية لمقاطعها والربط بينها وتجلية تعانقها، لتحقيق مقصود السورة العام.

ب- التفسير التحليلي لسورة أو عدة سور من القرآن الكريم بحيث يلحظ فيه غرضها المحوري ويستصحب من مطلعها إلى خاتمتها آية آية، مع

بيان المعاني التي تدور عليها مقاطعها والربط بينها واستكناه المناسبات الموضعية بين الآيات في ضوء بناء السورة الموضوعي. مع تجنب طمس معالم السورة بحشر التفصيلات القصصية والتاريخية والبلاغية التي تبعد القارئ عن جو السورة الخاص، والاقتصار في تحليل المعاني على ما يخدم مقصودها العام.

هذا وإذا كان مفهوم وحدة النسق في السورة القرآنية متقبلاً عند أكثر الباحثين وحاضرًا في كثير من الدراسات القرآنية، فإن الاستبصار بالنسق القرآني العام الذي يشمل مجموع سور القرآن الكريم ما زال غامضًا يحتاج إلى مزيد من الدرس والبحث، ونرجو من الله تعالى التوفيق لخوض غماره في مستقبل الأيام.

لائحة المصادر والمراجع

١-**ابن برجان والتفسير الصوفي**، محمادي بن عبد السلام الخياطي، أطروحة دكتوراه بدار الحديث الحسنية.

٢-**أبو الحسن الحرالي المراكشي، أثره ومنهجه في التفسير**،محمادي الخياطي، رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية.

٣-**الإتقان في علوم القرآن**،جلال الدين السيوطي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان د.ت.

٤-**آراء المستشرقين حول القرآن الكريم**، عمر إبراهيم رضوان دار طيبة،ط ١، ١٩٩٣م.

٥-**الأساس في التفسير**، سعيد حوى،دار السلام،القاهرة، ط٥، ١٩٩٩م.

٦-**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، د.ت.

٧-**بدائع التفسير لابن القيم**، جمع يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي.ط١، ١٩٩٢م.

٨-**البرهان في ترتيب سور القرآن** لأبي جعفر بن الزبير،تحقيق محمد شعباني، منشورات وزارة الأوقاف ،المغرب، ١٩٩٣م.

٩-**البرهان في علوم القرآن** لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة، بيروت، د ت.

١٠- **تفسير التحرير والتنوير**، محمد طاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١- **التفسير الحديث**، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، مصر،ط١ ،١٩٦٢م.

١٢- **تفسير القرطبي:الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

١٣- **التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب**،للفخر الرازي، دار الكتب العلمية،طهران،ط٢.

١٤- **تفسير المنار**، رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط٤، ١٣٧٣هـ.

١٥- **تناسق الدرر في تناسب السور**،للسيوطي،تحقيق عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية ١٩٨٦م.

١٦- **دراسات قرآنية**، محمد قطب، دار الشروق، مصر. ط ١٤١٤ ــ ١٩٩٣م.

١٧- **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج بن الجوزي، دار الفكر، د.ت.

١٨- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية، ط ١٩٩٢.

١٩- **صحيح مسلم**، الإمام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٢م.

٢٠- **طبقات المفسرين**،لشمس الدين الداودي،تحقيق محمد علي عمر نشرمكتبة وهبة ط١.

٢١- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،نشر دار الريان للتراث.

٢٢- **فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير**،للشوكاني،دار ابن كثير بدمشق.

٢٣- **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد الخياطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط ١٤١٥ - ١٩٩٥م.

٢٤- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق . ط٩، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٥- **القرآن: نزوله،وتدوينه وترجمته وتأثيره** لـبلاشير،ترجمة رضا سعادة،ط دار الكتاب اللبناني، بيروت ط١، ١٩٧٤م.

٢٦- **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،دار القلم، دمشق، ط٢،١٩٨٩م.

٢٧- **لطائف الإشارات** للقشيري،تحقيق د. إبراهيم بسيوني،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨- **مباحث في التفسير الموضوعي**،د.مصطفى مسلم، دار القلم،دمشق،ط ١، ١٩٨٩م.

٢٩- **مدخل إلى القرآن الكريم**، لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، د. ت .

٣٠- **مجموع الفتاوى** لابن تيمية . دار عالم الكتب، د .ت.

٣١- **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**،للبقاعي،تحقيق عبد السميع محمد أحمد حسنين. مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.

٣٢- **مصنف ابن أبي شيبة**، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٣- **مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني**، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ط٢ ، ١٩٨٣م.

٣٤- **معجم الأدباء**،ياقوت الحموي، مؤسسة المعارف،بيروت، ط ١،١٩٩٩م.

٣٥- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنـزيل**،لأبي جعفر بن الزبير،تحقيق:سعد الفلاح،دار الغرب الإسلامي.ط ١، ١٩٨٣م.

٣٦- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني،دار الكتب العلميةط ١، ١٩٨٨م.

٣٧- **الموافقات في أصول الشريعة**، للشاطبي، دار الكتب العلمية د. ت.

٣٨- **المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند ابن الزبير الغرناطي**، رشيد الحمداوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٣م.

٣٩- **المسند**، الإمام أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت .

٤٠- **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**،لأبي بكر بن العربي،تحقيق: د.عبد الكبير العلوي المدغري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٨٨م.

٤١- **النبأ العظيم**: نظرات جديدة في القرآن،لمحمد عبد الله دراز،دار القلم،الكويت،ط٢، ١٩٧٠م.

٤٢- **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، لمحمد الغزالي، دار الشروق ط ١٩٩٢م.

٤٣- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي،توزيع مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٦٩م.

٤٤- **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية**، د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

الملخص ١٣٧

مقدمة.. ١٣٨

المبحث الأول:دلائل وحدة النسق القرآني..١٤٠

المبحث الثاني : عناية العلماء بعلم المناسبات ١٥٣

المبحث الثالث : عناية العلماء المتقدمين بمقاصد السور...........................١٦٠

المبحث الرابع : جهود المعاصرين في الكشف عن مقاصد السور.......... ١٦٦

المبحث الخامس : فوائد وحدة النسق في تفسير السورة القرآنية........... ١٨٢

المبحث السادس : مسالك الكشف عن وحدة نسق السورة القرآنية... ١٩٤

الخاتمة.. ٢٠٥

لائحة المصادر والمراجع ٢٠٩

الترجيح والتعليل لرسم وضبط بعض كلمات التنزيل

أ.د. أحمد خالد شكري
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة
بجامعة الإمارات العربية المتحدة

* من مواليد مدينة عمان بالأردن عام ١٩٦٠م.
* نال شهادة الماجستير من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) بأطروحته " القراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، من أوله إلى آخر سورة الأنفال" ، ثم نال منها شهادة الدكتوراه بأطروحته:" إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة للقباقبي".
* له العديد من الكتب والبحوث والمشاركات العلمية، منها: "قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية"، و"القراءات القرآنية في مؤلفات السيوطي عرض ومناقشة"، و "مقولة الإعجاز العددي: دراسة نقدية".

الملخص

تضمن هذا البحث دراسة عدد من ألفاظ القرآن الكريم التي ورد في كيفية كتابتها أكثر من وجه؛ بهدف ترجيح أحد هذه الأوجه مع تعليل هــذا الترجيح ببيان سبب اختياره دون غيره.

كما تضمن دراسة عدد من علامات الضبط المستخدمة في المصاحف أو المذكورة في الكتب المتخصصة، والتي ورد في كيفية ضبطها أكثر من وجه لترجيح أحدها وتبيين علة هذا الاختيار والترجيح.

وسبق ذلك تعريف بعض المصطلحات الواردة في البحث، وتحديــد أسس الترجيح بين الأقوال والمذاهب المتعددة في البحث.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أولي العزائم والهمم، ومن سار على دربهم بإحسان وشمم، وبعد.

فإن من مظاهر الصحوة الإسلامية الإقبال الكبير على تعلم القرآن وتعليمه وحفظه ومدارسته وتدبره والبحث في دقائقه ولطائف أوجه بلاغته، وأوجه قراءاته المتعددة، ولذا فقد أُلفت حديثا عدة كتب في هذه الموضوعات، وظهرت وسائل إيضاح وإعلام عديدة تقرب هذه العلوم للراغبين فيها، وانتشرت المصاحف برواية حفص وبالروايات المتعددة المقروء بها حاليًا في العالم الإسلامي، ولما كان في رسم بعض الألفاظ في المصاحف المنشورة بغير رواية حفص، وفي كيفية ضبط ألفاظ منها اختلاف عما في المصحف المنشور برواية حفص، لفت ذلك الأمر انتباه القارئين فيها وأثار في أنفسهم التساؤل عن مشروعية ذلك ومدى جوازه، لظن كثير منهم أن رسم المصحف موضوع لا يحتمل الاختلاف، ولما كنت – بحمد الله تعالى – من طلبة العلم المشتغلين بهذا العلم الجليل والباحثين فيه، رغبت في إعداد هذا البحث لأبين من خلاله جواز تعدد الآراء في رسم بعض ألفاظ القرآن الكريم وحصوله فعلاً، وجواز الترجيح بين هذه الأقوال المتعددة، على أن يكون ذلك وفق أسس مقبولة، واختيار عدة ألفاظ مما ورد الاختلاف في كيفية كتابته، وذكر ما ترجح لي فيها مع تعليل ذلك الترجيح وتبيين سببه، مع تأكيد أن هذه الترجيحات اجتهادات شخصية قابلة للحوار والنقاش، وأن أي تعديل أو تغيير في كيفية كتابة لفظ أو أكثر في المصحف يحتاج إلى قرار لجنة من كبار العلماء المتخصصين في هذا العلم الجليل، ومن أعضاء لجان مراجعة المصاحف، وحسب هذا البحث أن يكون واحدًا من الجهود الكثيرة المبذولة في خدمة هذا الكتاب العزيز.

التمــهيد

يتضمن التمهيد التعريف برسم المصحف وضبطه وتبيين حكم الالتزام به، والأسس المعتمدة في البحث للترجيح بين الأقوال المتعددة في الرسم أو الضبط.

*** رسم المصحف: هو ما كتب به الصحابة المصاحف زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولذا ينسب إليه فيقال: الرسم العثماني، ويقال له الاصطلاحي، وأكثر رسم المصحف موافق لقواعد الرسم القياسي، ومنه ما يخالفه[(١)].**

*** ضبط المصحف: هو العلامات المخصوصة التي توضع على الحرف للدلالة على حركته أو حالته وحكمه، كعلامة السكون أو المد أو التنوين أو الشد ونحو ذلك[(٢)].**

*** حكم الالتزام برسم المصحف:** يرى جمهور العلماء وجوب الالتزام بقواعد رسم المصحف وعدم جواز مخالفتها، وهذا القول هو الذي تعضده الأدلة وتؤكده، ولا تقوى أدلة القائلين بجواز مخالفة الرسم على ردها[(٣)] ، ولا يلزم من القول بوجوب اتباع الرسم أنه معجز أو توقيفي، فهذان القولان - وإن قال بهما عدد من العلماء - لا يقويان على معارضة القول بأن الرسم اصطلاحي، وهو ما ذهب إليه كثير من العلماء[(٤)].

---

(١) دليل الحيران، ٣٨.

(٢) سمير الطالبين، ٢٠.

(٣) إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن، ١٠-٦٢.

(٤) وهو ما ترجح لي في بحث: "حكم الالتزام بقواعد رسم المصحف وضبطه" المقبول للنشر في مجلة الشريعة والقانون التي تصدرها جامعة الإمارات العربية المتحدة.

* الأسس المعتمدة في البحث للترجيح بين الأقوال:

بما أن هذا البحث يتضمن عددًا من الترجيحات في مسائل الرسم والضبط، فقد حرصت على أن أبين فيه الأسس المعتمدة في الترجيح، مع التنبيه قبل ذلك على أن الترجيح فيه لن يتجاوز ما ورد في كتب الرسم والضبط، فلن يتم ترجيح شيء أو وجه لم يسبق ذكره عند السادة علماء الرسم والضبط، فهو ترجيح ضمن أطر ووجوه محددة، كما أن مبدأ الترجيح بين الأوجه في الرسم أمر حاصل عند علماء الرسم، ونجد العبارات الدالة عليه متوافرة في كتبهم، ولن تخرج الأسس المعتمدة للترجيح في هذا البحث عما قرروه وسبقوا إليه، وقد تحصل المخالفة لبعضهم في ترجيح ما يراه آخرون مرجوحًا، وهذا باب واسع ولا حرج فيه على من اختار شيئًا ما دام ضمن الأصول والضوابط، وفيما يلي ذكر للأسس المعتمدة في هذا البحث، ولا يعني تقديم بعضها على غيرها مزية للمقدم أو انتقاصًا من المتأخر:

الأساس الأول: اختيار الرسم الأقرب إلى النطق، فإذا اختلف العلماء في رسمين أحدهما أقرب إلى النطق من الآخر فإنه أولى بالترجيح من الآخر، لأن الأصل في الكتابة أن تدل على كيفية القراءة، وبما أن الوجهين صحيحان عند علماء الرسم، فالأقرب إلى العمل به منهما ما كان أقرب إلى اللفظ.

ومن ذلك اختيار بعض علماء الرسم الألف في ﴿لَدَا﴾ لمراعاة لفظها، ومن اختار فيها الياء لانقلاب الألف ياءً مع الإضافة إلى الضمير[1].

الأساس الثاني: اختيار ما كان دليله أقوى من الآخر، وذلك في حال تفاوت الدليلين أو الأدلة، وفي اعتماد هذا الأساس خروج من الخلاف بطريق لا

(١) دليل الحيران، ٢٩٠.

يكاد ينازع فيه أحد.

الأساس الثالث: اختيار ما عليه أكثر المصاحف، وهو وجه معتـــد بـــه للترجيح حال حصول الخلاف، ومعتمد عند علماء الرســـم، قـــال المـــارغني: "والعمل عندنا على رسم ﴿لَدَى﴾ في غافر بالياء على ما في أكثر المصاحف"[١].

الأساس الرابع: حمل اللفظ على نظائره في الألفاظ التي تعدد ورودها في القرآن وورد عن علماء الرسم استثناء أحدها أو بعضها، فإذا ورد خـــلاف في هذه الألفاظ المستثناة بين حملها على نظيرها أو استثنائها، فالأَولى حملها علـــى النظير لئلا يختلف الرسم بين موضع وآخر في الكلمة الواحدة.

وقد أشار إلى هذا الأساس واعتمده عدد من علماء الرسم، ومن ذلك قول المارغني:"والعمل عندنا على حذفه [أي ألف لفظ ﴿ سُبۡحَانَ ﴾ في الإسراء:٩٣] حملاً على نظائره"[٢]، وقول أبي داود في ألفات بعض الأسماء الأعجمية: "حملاً على سائرها، مع مجيء ذلك كذلك في بعض المصاحف"[٣].

وقد يترك حمل اللفظ على نظائره لِعلّة، ومن ذلك اختيارهم في ﴿لَدَا﴾ في يوسف:٢٥ أن تكتب بالألف لأن معناها: عند، و﴿لَدَى﴾ في غافر: ١٨ أن تكتب بالياء لأن معناها: في، فكان التفريق بينهما في الكتابة للإشارة إلى اختلاف معناهما في الموضعين[٤]، وعلّل أبو داود اختياره حذف الألف في لفظ ﴿الرياح﴾ من قوله تعالى:﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ ﴾ في [الروم:٤٦] بأمرين أولهما: " على

(١) دليل الحيران، ٢٨٢.

(٢) دليل الحيران، ١١٢

(٣) مختصر التبيين، ٢/١١٥.

(٤) دليل الحيران، ٢٨٢.

الاختصار لحذف الألف من الأسماء والأفعال كثيرًا مع بقاء الفتحة الدالة، وثانيهما ليكون رسمه بالحذف موافقًا للمواضع الأحد عشر التي وقع فيها الاختلاف[١] بين القراء ليأتي الباب واحدًا"[٢].

الأساس الخامس: اختيار الوجه الأيسر على عامة الناس وتقديمه على الوجه الأصعب أو الأبعد، وكم من قارئ مبتدئ حصل منه الخطأ أثناء القراءة بسبب عدم معرفته قواعد الرسم والضبط، فاختيار الرسم والضبط الأيسر أَولى من غيره.

الأساس السادس: اختيار اللفظ الدال على أصل اللفظ، أو الأقرب إليه، فمراعاة الأصل لها أهميتها ودلالتها، ومن ذلك اختيار وجه الفصل في كلمات على الوصل لأنه الأصل، وأشار إليه الخراز بقوله[٣]:

باب حروف وردت بالفصل   في رسمها على وفاق الأصل

الأساس السابع: اختيار الرسم الذي يحتمل أوجه القراءة الأخرى على الرسم الذي لا يحتملها، لأن الإشارة إلى أوجه القراءة الأخرى واحتمالها مقصد أساس من مقاصد رسم المصحف حتى جعلت موافقته أحد شروط القراءة الصحيحة.

---

(١) وقع الخلاف في لفظ ﴿الريح﴾ إفرادًا وجمعًا بين القراء السبعة في أحد عشر موضعًا، وإذا أضيف إليه الخلاف بين القراء الثلاثة المتممين لهم يصبح عددها خمسة عشر موضعًا (التيسير، ٧٨، والنشر ٢/٢٢٣ و٢٢٤).

(٢) مختصر التبيين، ٢/٢٣٧.

(٣) مورد الظمآن، ٣٧.

الفصل الأول

الترجيح والتعليل لرسم بعض كلمات التنـــزيل

المبحث الأول:

ألفاظ مختلف فيها بين حذف الألف وإثباتها وإبدالها

لم يكن حذف الألف من وسط الكلمة خاصا برسم المصحف بل كان موجودًا في الكتابات القديمة عند العرب[1]، وظاهر أن حذف الألـــف - وكذلك الواو - يؤدي إلى قلة عدد وحدات الرسم[2] في الكلمة الواحدة حيث إنهما من الحروف التي تفصل عما بعدها، وكانت الكتابة العربية القديمة تميل إلى استعمال الحد الأدنى من عدد وحدات الحروف، ولذلك كثر حذف الألف أو إبدالها ياء - حيث توصل الياء بما بعدها بخلاف الألف — وقلّ إبدالها واوًا لشبهها بالألف في عدم وصلها بما بعدها[3].

ويندرج هذا التعليل لحذف الألف في علة الحذف للاختصار، وقـــد يجتمع معه في بعض الكلمات الإشارة إلى قراءة أخرى أو الاقتـــصار علـــى موضع واحد، كما أن إبدال الألف ياءً أو واوًا قد يكون للإشارة إلى أصـــل اللفظ أو لاحتماله الإمالة أو لأسباب أخرى.

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ٧٢٩-٧٣٨.

(٢) وحدة الرسم: مجموعة الحروف الموصولة في الكتابة، وأدناها حرف واحد (من قـــضايا الرســـم العثماني، مقال لعمر يوسف حمدان في مجلة الفرقان، العدد ٤١، ٢٠٠٥م، ص ١٧).

(٣) من قضايا الرسم العثماني، ص ١٦ و١٧.

المطلب الأول: ألفاظ فيها أوجه قراءات متعددة

الأَولى في مثل هذه الألفاظ أن تكتب بكيفية تحتمل معها أن تقرأ على الأوجه الواردة فيها، وهو المعمول به في معظم هذه الألفاظ و لم يخالَف ذلك إلا في كلمات قليلة وفي بعض المصاحف، ومن هذه الألفاظ:

١- ﴿سِقايَة﴾ و﴿عِمارَة﴾ من قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:١٩] اختلف القراء فيهما فقرأهما ابن وردان عن أبي جعفر في أحد الوجهين عنه: ﴿سُقاة﴾ بضم السين وفتح القاف وألف بعدها، و﴿عَمَرَة﴾ بفتحات وبلا ألف، وقرأهما الباقون ﴿سِقايَة﴾ بكسر السين وياء بعد الألف، و﴿عِمارَة﴾ بكسر العين وألف بعد الميم[١]، ومقتضى هذا الخلاف رسمهما بلا ألف ليحتملا القراءتين، إلا أن كثيرًا من علماء الرسم لم يذكرهما ضمن الألفاظ التي تحذف ألفها كأبي داود والخراز[٢]، في حين نص بعضهم على أنهما بالإثبات فقط[٣]، وهما مرسومان في المصاحف الحالية بالإثبات.

ونص عدد من علماء الرسم والقراءات على حذف ألفهما، فقال ابن الجزري: " وقد رأيتهما في المصاحف القديمة محذوفتي الألف كـ ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [نحو:القيامة:١]،و﴿جِمَٰلَتٌ﴾ [المرسلات:٣٣] ، ثم رأيتهما كذلك في مصحف المدينة

(١) إرشاد المبتدي، ٣٥١، وشرح الدرة المضية، ١٤٩/٢ و١٥٠، ووجَّه قراءة ابن وردان بأنها على الجمع نحو غاز وغزاة وماهر ومهرة، ووجّه قراءة الباقين بأنها على المصدر من سقى وعمر.

(٢) انظر: مختصر التبيين ٦١٧/٣، الحاشية ١٠.

(٣) الجوهر اللطيف في معرفة المحذوف من الأليف، ص ٩٠ و٩٤.

الشريفة، و لم أعلم أحدًا نص على إثبات الألف فيهما ولا في إحداهما"[1]، وذكر محمد العاقب أن الألف تحذف في لفظ ﴿سقاية﴾ المنكَّر- و لم يرد في غير هــذا الموضع دون المعرف نحو:﴿ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ ﴾[يوسف:٧٠]، وأن ألف﴿عمرة﴾ محذوفة كذلك[2].

والذي أرجحه في هذين اللفظين أن يرسما بالحذف ليحتملا القراءتين، فــإن رسمهما بالإثبات لا يحتمل القراءة الأخرى، ولأنهما رسما بالحذف في عدد مــن المصاحف كما نص عليه الإمام ابن الجزري، ولأن عددًا من علماء الرسم سكتوا عنهما و لم ينصوا على كيفية رسمهما فترجح الرسم المحتمل لأكثر من قراءة على غيره، وهذا ما رجحه أيضا أحد الإخوة المتخصصين[3]، وفي هذا الحال يرســم لفظ ﴿سِقَيةَ﴾ بالياء أي بسن بعد القاف ليحتمل القراءتين، وتكون الألف مبدلة على قراءة ابن وردان، ومحذوفة على قراءة الباقين، أما ﴿عمرة﴾ فرسمه بحــذف الألف يحتمل القراءتين.

٢- قوله تعالى:﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾[المؤمنون:٧٢] حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خراجًا﴾ بألف بعد الراء، والباقون بلا ألف، وقرأ ابن عامر: ﴿فخرج﴾ بسكون الراء وبلا ألف بعدها، وقرأه الباقون بألف بعد

---

(١) النشر، ٢/٢٧٨، والمثال في الأصل (قيامة) بلا ألف، و لم يرد هذا اللفظ منكــرًا بــلا ألــف في المصحف.

(٢) رشف اللمى شرح كشف العمى، ص ٢٤٠، وأعلمني أحد علماء الرسم الفضلاء "أن ممن نــص على حذف ألفهما: الفيلالي، ومؤلف نثر المرجان ٢/٥٣٩ وحكاه عن صاحب الخزانة والخلاصــة"، و لم يتيسر لي الوقوف على هذه الكتب، فنقلت عبارته كما هي.

(٣) التوجيه السديد في رسم القرآن المجيد وضبط بلاغته، ٧٥-٧٧.

الراء[1]، ويتحصل من جمع اللفظين معا وجود ثلاث قراءات فيهما هي:

١- ﴿خرجًا فخرج﴾ بلا ألف فيهما: ابن عامر

٢- ﴿خرجًا فخراجﮊ بألف في الثاني دون الأول: المدنيان والبصريان وابن كثير وعاصم.

٣- ﴿خراجًا فخراج﴾ بألف فيهما: حمزة والكسائي وخلف.

وقد اختلف في رسم اللفظين بالألف وبدونها، ونص الداني على الخلاف في ﴿خرجًا﴾ ورجح رسمه بلا ألف ليحتمل القراءتين، واختار أبو داود الحذف و لم يذكر سواه[2].

أما ﴿فخراج﴾ فنقل الشيخان — الداني وأبو داود - إجماع المصاحف على كتبه بالألف، وقال أبو داود: "ولا أعلم حرفًا اختلف القراء في حذف الألف فيه وإثباتها، واجتمعت المصاحف على إثباته غير هذا"[3]، إلا أن السخاوي شارح العقيلة نص على رسم هذا اللفظ بلا ألف في المصحف الشامي فقال: " وقد رأيت أنا في المصحف العتيق الشامي: ﴿فخرج﴾ بغير ألف وقد كنت قبل ذلك أعجب من ابن عامر كيف تكون الألف ثابتة في مصحفهم ويسقطها في قراءته حتى رأيتها في هذا المصحف فعلمت أن إطلاق القول بأنها في جميع المصاحف ليس بجيد ولا ينبغي لمن لم يطلع على جميعها دعوى ذلك"[4]، ونقل ابن وثيق هذه النسبة للمصحف الشامي - دون أن يحدد الشخص المتحدث

---

(١) الغاية، ٣١٢، والتيسير، ١٥٩، وإيضاح الرموز، ٥٠٨.

(٢) المقنع، ٩٦، ومختصر التبيين، ٨٩٣/٤، وانظر: الجامع، ١١١.

(٣) مختصر التبيين ٨٩٤/٤، وانظر: المقنع، ٩٦.

(٤) الوسيلة، ١٧٧ و١٧٨.

عنه وقد يكون السخاوي نفسه – فقال: "وقال بعض المتأخرين رأيت في مصحف الشاميين الذي يقال إن عثمان رضي الله عنه بعث به إلى الشام ﴿فخرج ربـــك﴾ بغير ألف"[١].

والذي يترجح عندي القول بحذف الألف في اللفظين ليحتملا القراءتين، ولموافقته رسم أحد المصاحف، وهو أولى من توزيع الخلاف بين المصاحف فيكتب في عامتها بالألف وفي المصحف المخصص لقراءة ابن عامر بالحذف.

٣- قوله تعالى ﴿قل﴾ في مواضع اختلف القراء فيها بين الأمر والخبـــر وهي المواضع التالية:

- ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء:٩٣] قرأه بالإخبار ابن كثير وابن عامر.

- ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأنبياء:٤] قرأه بالإخبار الكوفيون سوى شعبة.

- ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[الأنبياء:١١٢] قرأه بالإخبار حفص وحده.

- ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون:١١٢] قرأه بالأمر ابن كثير وحمزة والكسائي.

- ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:١١٤] قرأه بالأمر حمزة والكسائي.

- ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف:٢٤] قرأه بالخبر ابن عامر وحفص.

---

(١) الجامع، ١١١.

- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن:٢٠] قرأه بالأمر عاصم وحمزة وأبو جعفر[١].

واختلفت المصاحف في رسم هذه المواضع السبعة، ففي بعضها بالألف وفي بعضها بالحذف[٢]، والأَولى في جميعها أن تكتب بلا ألف لتحتمل القراءتين، وفي معظم المصاحف المطبوعة رُسم خمسة منها بالحذف ورسم موضعان بالألف، وهما موضع الإسراء والأول من الأنبياء، وقد نص الداني وأبو داود على أن موضع الإسراء بلا ألف في المصاحف العراقية، كما نصا على الخلاف في موضع الأنبياء الأول وأنه في المصاحف الكوفية[٣] بالألف على الإخبار[٤].

والذي يترجح عندي رسم المواضع السبعة بلا ألف لتحتمل القراءتين، ولموافقته بعض المصاحف وإن خالف المصحف الكوفي في موضع الأنبياء الأول، وقد وجدت من سبقني إلى ترجيح الحذف في موضع الأنبياء الأول معللا ذلك بأنه أكثر وأشمل[٥].

---

(١) إيضاح الرموز، ٤٩٦ و٥٣١ و٥٣٥ و٥٤٩ و٦٤٦ و٧١٢ على التوالي.

(٢) انظر: ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية، بحث لمحمد خازر المجالي منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٥٦ تاريخ ٣/٢٠٠٤، ص ١٥١ و١٥٢ ففيه تتبع للأقوال فيها.

(٣) لعل هذا النص ما جعل لجان تدقيق المصاحف تبقي موضع الأنبياء الأول بالألف لتتوافق رواية حفص الكوفي مع رسم المصحف الكوفي، ولكن الأفضل في مثل هذا توحيد الرسم واختيار ما يحتمل القراءة الأخرى.

(٤) المقنع، ٩٥ و١٠٤ و١١٠ و١١٢، ومختصر التبيين، ٧٩٥/٣ و٨٥٧/٤ و٨٥٨.

(٥) نقله محقق مختصر التبيين عن صاحب نشر المرجان ٣٦٤/٤، وعلّق عليه بقوله: "وهو الأولى والأحرى" (مختصر التبيين ٨٥٨/٤ حاشية ٣) ودعا د. محمد المجالي في بحثه المشار إليه قبل قليل إلى رسم هذا اللفظ في جميع مواضعه بالحذف ليحتمل القراءة الأخرى.

المطلب الثاني: ألفاظ لا خلاف فيها بين القراء

سأذكر في هذا المطلب عددًا[1] من الألفاظ التي وقع الخلاف في رسمها بين حذف الألف وإثباتها و لم يقع خلاف بين القراء فيها، مع الترجيح والتعليل.

١- جمع المؤنث السالم ذي الألفين: اتفق الشيوخ على حذف ألفيه، وبعض كُتَّاب المصاحف أثبتوا الألف الأولى، ومنهم من أثبتها في ألفاظ معينة، وفي ما كان منها مضعفًا أو مهموزًا أقوال الأرجح منها حذف ألفيه، ونُقل عن أبي داود إثبات الألف الأولى - جزمًا أو ترجيحًا - في ألفاظ هي: ﴿يَابِسَـٰتٍ﴾ [يوسف:٤٣و٤٦] و﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧] على قراءة الجمع ، و ﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]،﴿بَاسِقَـٰتٍ﴾[ق:١٠] ورجحه المارغني وجرى عليه العمل في عدد من المصاحف[2]، ونص الداني على حذف الألفين في ﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾و ﴿بَاسِقَـٰتٍ﴾ وعلى إثبات الألف الأولى في ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ في [المائدة:٦٧] و[الأنعام:١٢٤][3]، وقد اختلف القراء فيهما، فقرأ موضع المائدة بالجمع: المدنيان وابن عامر وشعبة ويعقوب، والباقون بالإفراد، وقرأ موضع الأنعام بالإفراد: المكيان وحفص، والباقون بالجمع[4]، فمن قرأه بالإفراد لا يندرج اللفظ ضمن جمع المؤنث السالم ذي الألفين، ولذا فألفه التي بعد السين ثابتة، ولا ألف ثانية فيه، أما ﴿يَابِسَـٰتٍ﴾ فلم يتعرض له الداني مما يقتضي دخوله في القاعدة وهي حذف ألفيه، واستثناه أبو داود وأثبت ألفه الأولى، وأطلق محمد العاقب حذف

---

(١) يلاحظ أن الدراسة - بسبب الحاجة إلى الاختصار- اقتصرت على بعض هذه الألفاظ لا كلها.

(٢) دليل الحيران، ٥٠.

(٢) المقنع، ٢٣ و١١.

(٤) إرشاد المبتدي، ٢٩٩ و٣١٨، وإيضاح الرموز، ٣٦٣و٣٨٤.

ألف جمع المؤنث السالم ذي الألفين[١].

والذي يترجح لدي إلحاق الألفاظ المختلف فيها بأخواتها وكتابتها بحذف الألفين، وقد جرى عليه العمل في بعض المصاحف، ويؤكده نص عدد من علماء الرسم على إطلاق الحذف.

٢- ورد لفظ بنات في عشرة مواضع، ونص أبو داود على حذف الألف في ثلاثة منها هي: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾[النحل:٥٧]، ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٠]، ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[الطور:٣٩]، وعلى إثباتها في سائر المواضع وهي: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾[النساء:٢٣]، ﴿بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[هود:٧٨]، ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾[هود:٧٩]، ﴿بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[الحجر:٧١]، ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾[الصافات:١٤٩]، ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ [الصافات:١٥٣] ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾[الزخرف:١٦]، ونص المارغني على العمل باختيار أبي داود، وعلّله محمد العاقب بوقوع حرفين فقط قبل الألف[٢]، أما أبو عمرو الداني فلم يستثن أي لفظ منها فتندرج ضمن عموم حذف ألف الجمع[٣].

والذي يترجح عندي العمل بما ذهب إليه الداني من تعميم الحذف في جميع المواضع حملاً للّفظ على نظيره، وتسهيلاً للقارئين وتيسيرًا عليهم.

٣- ورد لفظ ﴿داخرين﴾ في أربعة مواضع، وهي محذوفة الألف عند أبي داود سوى موضع واحد هو: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]،

---

(١) رشف اللمى، ٢٣٢.

(٢) دليل الحيران، ٥١، ورشف اللمى، ٢٣٢.

(٣) المقنع، ٢٢، والتسهيل، ٢٣.

والمواضع الأخـــرى هي: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النحل:٤٨]،﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧]، ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [الصافات:١٨]، ومصاحف المشارقة على العمل بهذا، أما الداني فإنه يحذف الألف في جميع المواضع دون استثناء لاندراجها في قاعدة حذف ألف جمع المذكر السالم(١)، والذي يترجح عندي العمل بما ذهب إليه الداني من تعميم الحذف حملاً للفظ على نظائره، وتيسيرًا على العامة.

٤- الألف المعانقة للام: حذفها الداني في ثلاثة وعشرين موضعًا وسكت عما عداها، وحذفها أبو داود إلا ثلاثة عشر لفظًا لم يتعرض لها فتبقى على الأصل بالإثبات أو يخير فيها الكاتب، وأطلق البلنسي الحذف في جميع المواضع، ونسبه إلى المصحف الإمام، ونقل اللبيب الإجماع على الحذف، وعليه إشكال النص على الإثبات في كلمات، واعتمد المارغني إطلاق الحذف تبعًا للبلنسي سواء اتفق الشيخان على حذفه أو انفرد به أحدهما إلا ﴿ٱلْـَٔانَ﴾ [الجن:٩] فإنه متفق على إثبات ألفه، و﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾[الإسراء:٢٣]تبعًا لترجيح أبي داود فيه(٢).

والذي يترجح عندي إطلاق الحذف فيه إلا ما اتفق على إثباته وهو موضع الجن فقط، تيسيرًا على العامة وحملا للنظائر على بعضها، وإعمالاً لقاعدة الحذف.

٥- لفظ ﴿كَاتِب﴾ ورد أربع مرات كلها في سورة البقرة في آية الدين والتي بعدها، ذكر أبو عمرو الداني فيها جواز الحذف والإثبات، ونقل عن الغازي أنه بالألف ورجحه وعلل ذلك الترجيح بأنه لقلة دوره، ولئلا يشتبه بـِ ﴿كِتَٰبٌ﴾ [المطففين:٩]، و﴿كِتَٰبًا﴾ [النساء:١٠٣](٣)، وورد عن أبي داود قولان؛

---

(١) المقنع، ٢٢، ومختصر التبيين ١٠٧٨/٤ حاشية ٤، ودليل الحيران، ٥٤.

(٢) المقنع، ٢٢، ومختصر التبيين، ١٩٠/٢و١٩١، وحاشية رقم ٨، ودليل الحيران، ١٠٨.

(٣) المقنع، ٢٣ و٢٤.

الأول: الخلاف في الموضع الأخير، والثاني: الخلاف فيها كلها، إلا أن الموضعين الأولين مسكوت عنهما، والموضع الثالث ألفه ثابتة، والرابع مختلف فيه(١)، ونقل المارغني أن العمل على الإثبات فيها كلها(٢)،وهو الذي أرجحه لدفع الاشتباه مع الكلمات المتشابهة، ولدفع الإشكال عن العامة، ولأنه الرسم الأقرب إلى النطق.

٦- ورد لفظ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ المسبوق بالباء في ثلاثة مواضع هي: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[يس:٨١]، و﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف:٣٣، والقيامة:٤٠]، وقرأه رويس عن يعقوب في يس ، ويعقوب بتمامه في الأحقاف ﴿يَقْدِرُ﴾ بياء مفتوحة وقاف ساكنة وراء مرفوعة من غير ألف ولا تنوين على أنه فعل مضارع ، والباقون بباء مكسورة وألف بعد القاف والراء منونة مكسورة على أنه اسم فاعل(٣)، واتفق الشيخان على رسم هذين الموضعين بحذف الألف، أما الموضع الثالث في القيامة، فسكت عنه الداني، وحذف أبو داود ألفه، ونقل ابن الجزري ثبوت ألفه في كثير من المصاحف، ورجح عدد من علماء الرسم الحذف فيه كالموضعين السابقين وإن لم يقرأ كما قُرئا(٤)، وهو الذي يترجح عندي حملاً للفظ على نظيره، وإعمالاً لقاعدة الحذف.

٧- ورد لفظ﴿كاذبة﴾في موضعين هما:﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[الواقعة:٢]و﴿نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ﴾[العلق:١٦] نص البلنسي على حذف الألف فيهما،ونص أبو داود على حذف موضع العلق ، والعمل في بعض المصاحف بالحذف

(١) مختصر التبيين، ٣٢١/٢.

(٢) دليل الحيران، ١١٣.

(٣) المستنير، ٣٩٥ و٤٤٧، وإيضاح الرموز، ٦١٥.

(٤) مختصر التبيين، ١٠٣٠/٤، والنشر، ٣٥٥/٢، ودليل الحيران، ١٦٩و ١٧٠و١٧١.

فيهما[1]،وفي بعضها باختيار أبي داود. والذي يترجح عندي الحذف فيهما من باب حمل اللفظ على نظيره، ولوروده نصًا عند البلنسي مع سكوت أبي داود عن الموضع الآخر، وللعمل بالحذف فيهما في بعض المصاحف.

٨- لفظ ﴿دِيار﴾ ورد حذف ألفه حيث ورد وكيف كان، واستثنى أبو داود ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾[الإسراء:٥] فأجاز فيه الإثبات والحذف ، واستحب الإثبات اختيارًا منه وليس عنده فيه عن المصاحف شيء، حيث قال: "و﴿الديار﴾ بألف ثابتة، ولا أمنع من كتبه بغير ألف، والذي أستحب بالألف"[2]، ونص المارغني أن العمل على الحذف فيما عدا هذا الموضع[3]، إلا أن ترجيح الحذف في جميع المواضع أَولى لعدم وجود نقل فيه، وحملاً له على سائر المواضع.

٩- لفظ ﴿صِراط﴾ ورد في مواضع كثيرة واختلف في ألفه عن أبي داود، واختياره الحذف، حيث قال: "وكلاهما حسن والأول أختار"[4]، والذي ذكره أولاً هو الحذف، وأطلق الخراز عن أبي داود الوجهين دون ترجيح وتعقبه عدد من الشراح، فقال ابن القاضي: "جرى العمل بالحذف وهو مختار التنـــزيل"[5] ولم ينص الداني على هذا اللفظ ففُهم من عدم ذكره له أنه يرى فيه الإثبات أخذًا من قوله: "إثبات الألف في كل ما كان على وزن فِعال"[6] ، ولذا نسب المخللاتي وغيره إلى الداني إثبات

---

(١) مختصر التبيين، ١٣٠٩/٥ وحاشية رقم١١، ودليل الحيران، ١٨٢، وسمير الطالبين، ٤٢.

(٢) مختصر التبيين٧٨٥/٣.

(٣) دليل الحيران ٦٨.

(٤) مختصر التبيين، ٥٥/٢.

(٥) نقله عنه محقق مختصر التبيين، ٥٦/٢، الحاشية ٧.

(٦) المقنع، ٢٠.

ألفـــه[(١)]، وتعقبه غيره بأن إثبات ألف ما كان على فِعال ليس بمطرد، ومثّـــل بلفظ ﴿كِتَبٌ﴾ محذوف الألف مع أنه على وزن فعال، ورُدّ على التعقب بـــأن لفظ ﴿كِتَبٌ﴾ نص عليه الداني أنه بالحذف[(٢)]، أما لفظ ﴿صراط﴾ فعدم نـــص الداني عليه أدخله في عموم عبارته السابقة.

والذي يترجح لي رسم هذا اللفظ بالألف، لأن الألفاظ التي بهذا الوزن معظمها ثابت الألف، ولأنه أيسر على العامة، ولأنه أحد الوجهين الجائزين فيه.

١٠- وقع لفظ ﴿ساحر﴾ مفردًا منكّرًا ومعرَّفًا، ومجموعًا معرفًا.

أما المفرد المنكر فمنه ما اتفق على قراءته ﴿ساحر﴾ بالألف وهو ثمانية مواضع[(٣)]، ومنه ما اتفق على قراءته ﴿سِحر﴾ وهو أربعة مواضع[(٤)]، ومنه ما اتفقوا على قراءته ﴿سَحَّار﴾ وهو موضع واحد [الشعراء:٣٧] ومنه ما اختلفوا فيه بين ﴿ساحر﴾ و﴿سحّار﴾وهما موضعان[(٥)]، ومنه ما اختلفوا فيه بين ﴿ساحر﴾ و﴿سِحر﴾ وهو أربعة مواضع[(٦)]، وهذه المواضع الست المختلف فيها رسمت

---

(١) إرشاد القراء والكاتبين، ٦٥ (٣٢/ب) وانظر: التسهيل، ١٦.

(٢) المقنع، ٢٠، ومختصر التبيين، ٥٦/٢ الحاشية ٦.

(٣) مواضعها: الأعراف:١٠٩، ويونس:٧٦، وطـه:٦٩، والـشعراء:٣٤، وص:٤، وغـافر:٢٤، والذاريات:٣٩و٥٢.

(٤) هي: النمل:١٣، وسبأ:٤٣، والصافات:١٥، والأحقاف: ٧.

(٥) هما: الأعراف:١١٢، ويونس:٧٩ قرأهما حمزة والكسائي وخلف (سَحّار) بوزن فعال، والباقون (ساحر) بوزن فاعل (الغاية، ٢٥٨، والسبعة، ٢٨٩، والتيسير، ١١٢).

(٦) هي: المائدة:١١٠، ويونس:٢ وهود:٧، والصف:٦ قرأها بوزن فاعل الكوفيون سوى عاصم في المائدة وهود والصف، وقرأها كذلك في يونس الكوفيون وابن كثير، وقرأ الباقون بوزن فعل (السبعة، ٢٤٩، وإيضاح الرموز، ٣٦٦).

بلا ألف لتحتمل القراءتين، وأما المواضع التي لم يختلف فيها وقرئت بالألف فقط أو بدونها فقط فهي مرسومة بالحذف كذلك معاملة لها معاملة الألفاظ المختلف فيها، وورد عن الشيخين إثبات الألف حيث ورد، وهو مـــروي عن نافع ومصاحف المدينة، أما موضع ﴿ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات:٥٢]، فاتفق الشيخان على إثبات ألفه.

وأما المفرد المعرف ﴿السَّاحر﴾ [طه:٦٩، والزخرف:٤٩] فألفه ثابتـــة عنـــد الشيخين وذلك لأنه لا يحتمل أن يقرأ بحذف الألف.

أما المجموع المعرف فورد في موضع واحد فقط:﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ [يونس:٧٧] وألفه محذوفة عند الشيخين[1].

والذي يترجح عندي رسم لفظ ﴿سَٰحِرٌ﴾ المنكَّر المختلف في رسمه بالحذف ليحتمل القراءتين، وحملاً للّفظ على مواضعه الأخرى التي لم يختلف فيها، أما الموضع المجمع عليه بالإثبات آخر الذاريات فيرسم به، ويرسم المعرف بالإثبات، والمجموع بالحذف.

١١- لفظ ﴿تبارك﴾ ورد في تسعة مواضع[2]، نص أبـــو داود علـــى حذف الألف في الرحمن والملك، وسكت عن البواقي، والمنقول عن الداني حذف ألفه في جميع المواضع نقلا عن كُتَّاب المصاحف[3]، والذي يترجح عندي حذف الألف في الجميع حملاً للفظ على نظائره، ولنقل الداني الحـــذف عـــن كُتـــاب المصاحف مع سكوت أبي داود عنه.

---

(١) مختصر التبيين، ٤٦٤/٣ و٤٦٥، ودليل الحيران، ١٥٤، وسمير الطالبين، ٣٧.

(٢) هي:الأعراف:٥٤،المؤمنون:١٤،الفرقان:١و١٠و٦١،غافر:٦٤،الزخرف:٨٥،الرحمن:٧٨،الملك:١.

(٣) المقنع، ١٨، ومختصر التبيين١١٧٤/٤ وحاشية ٥، ودليل الحيران، ١١٩، وسمير الطالبين، ٣١.

١٢- اتفق الشيخان على حذف ألف ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ حيث ورد، ونقلا الخلاف في موضع الإسراء قبل الأخير [٩٣] ونقل الداني عن مصاحف أهل العراق أن هذا الموضع فيها بالألف، والمعمول به في مصاحف أهل المشرق إثبات الألف اتباعاً لمصاحفهم وهي المصاحف العراقية، وفي مصاحف أهل المغرب الحذف حملاً على نظائره، وفي بعضها بالإثبات كما في مصحف الجماهيرية(١)، والذي يترجح عندي الحذف حملاً على نظائره.

١٣- ورد لفظ ﴿شاهد﴾ مرفوعا ومنصوبا في سبعة مواضع(٢)، واختلف فيه عن الشيخين، فنُسب إلى الداني إثبات ألفه مطلقا، وقيد بعضهم عنه الحذف بالمنصوب دون المرفوع، أما أبو داود فإنه يحذف ألف المنصوب دون المرفوع(٣).

والذي يترجح عندي إثبات الألف في المواضع السبعة ما كان منها مرفوعًا أو منصوبًا،حملاً للّفظ على نظائره، ولأنه الأقرب إلى النطق، والأيسر على العامة.

١٤- ورد لفظ ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾ خمس مرات، حذفت ألفه في أربع(٤) منها باتفاق الشيخين، ووقع الخلاف في الموضع الخامس وهو﴿مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٩] فنقل الخلاف فيه عن الداني ، فمن نقل عنه الحذف لاحتمال

(١) المقنع، ٩٥، ومختصر التبيين، ٣/٧٩٦ وحاشية ٢، ودليل الحيران، ١١٢، ورسم المصحف، ١١.

(٢) المواضع المرفوعة هي: هود:١٧، ويوسف:٢٦، والأحقاف:١٠، والبروج:٣، والمنصوبة هي: الأحزاب:٤٥، والفتح:٨، والمزمل:١٥.

(٣) مختصر التبيين٤/١٠٠٤،وحاشية ٢/٢١٣،وسمير الطالبين٣٨،والتسهيل٣٣، والجوهر اللطيف٩٥،ورسم المصحف ٥٦.

(٤) هي: يوسف:٩١و٩٧ والقصص:٨، والحاقة:٣٧.

دخوله في القاعدة، ومن نقل عنه الإثبات لسكوته عنه، أما أبو داود فسكت عنه ، والمعمول بـــه عنه الإثبات كما نقله الخراز وغيره(١).

والذي يترجح عندي رسم جميع المواضع بالحذف على ما عليه العمـــل عن الداني حملاً للّفظ على نظائره، ولأن أبا داود لم ينص على إثبات ألفه بـــل سكت عنه.

١٥- ورد خلاف في رسم لفـــظ ﴿أحيا﴾ في أربعـــة مواضع هي: ﴿فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] ، ﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣] ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩]، ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية:٢١]، نص أبو داود على ﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ ونَقل أنه في بعض المصاحف بألف وفي بعضها بلا ألف، وعلق المحقق بأن الاختيار عن أبي داود الحذف وعليه رسم أهل المشرق هنا وفي ﴿فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ ، ولم يمنع من الإثبات وعليه مصاحف أهل المغرب مطلقاً(٢).

والذي يترجح عندي إثبات ألفه لأنه الأقرب إلى النطق، والأيسر على العامة، وعليـــه العمل عند المغـــاربة ، وفيـــه حمـــل اللفظ على نظائره فإن لفظ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة:٣٢] ألفه ثابتة باتفاق.

المطلب الثالث: ألفاظ أبدلت فيها الألف ياءً

اخترت في هذا المطلب عدة ألفاظ مما أبدلت فيه الألف ياء ورجحت ما ظهر لي فيها بعد النظر في أقوال علماء الرسم، وهذه الألفاظ هي:

١- ورد لفظ ﴿لَدَى﴾ في موضعين هما: ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف :٢٥]،

(١) دليل الحيران،٥٦،ورشف اللمى،٢٣٠، والجوهر اللطيف، ٨٥، والتسهيل، ١٣، وسمير الطالبين، ٢٦.

(٢) مختصر التبيين، ٢٩٢/٢، والحاشية رقم ١٢، وانظر: دليل الحيران، ٢٧٧.

و﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر:١٨] واتفقت المصاحف على رسم موضع يوسف بالألف، واختلفت في موضع غافر، فقال أبو عمرو الداني: "واختلفت - أي المصاحف- في غافر وأكثرها على الياء"[١] واقتصر أبو داود في موضعين من التنزيل على الياء في غافر، وحكى الخلاف في موضع آخر منه، وقيل في تعليل الفرق في رسم اللفظ بين الموضعين: معنى الذي في يوسف: عند، والذي في غافر: في، ولذا فُرّق بينهما في الكتابة، وقال النحويون: "المرسوم بالألف على اللفظ، والمرسوم بالياء لانقلاب الألف ياء مع الإضافة إلى الضمير"[٢]. والراجح عندي رسم موضع غافر بالياء لأن عليه أكثر المصاحف، ولأنه يشير إلى الفرق في المعنى بين هذا الموضع وموضع يوسف المتفق على رسمه بالألف، ولأنه الأقرب إلى الرسم الإملائي.

٢- ورد لفظ ﴿اجتبى﴾ في أربعة مواضع هي: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾ [النحل:١٢١] ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَىٰهُ﴾ [طه:١٢٢]،﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[الحج:٧٨]،﴿فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم:٥٠]، روى أبو داود في موضعي النحل والحج ثلاثة أوجه هي: بالألف، وبالياء، وبدونهما، وحسّن الأوجه الثلاثة، ويؤخذ من كلامه أن رسمه بالياء من مجرد اختياره لا أنه كَتب بعض المصاحف، ويؤخذ من عبارته أنه تأمل في المصاحف القديمة فوجدها بغير ألف، وفي أكثرها بالألف ، وسكت أبو عمرو عنه ، ومقتضى سكوته رسمه بالياء حسب القاعدة ، ورجح المارغني وغيره رسمه بالياء اتباعًا للأصل في ذوات الياء ، وحملاً له على نظائره، ولسكوت أبي

(١) المقنع، ٦٥.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٧٦، ٣/٧١٣، والحاشية رقم ٥، ودليل الحيران، ٢٨٢.

عمرو عن عده من المستثنيات[1].

أما موضعًا طه والقلم، فنص أبو داود على أنهما بالحذف بـــلا يـــاء، وعليه العمل خلافًا لما نقله المخللاتي أنهما بالياء[2].

والذي يترجح عندي رسم المواضع الأربعة بالحذف، حملاً للمختلف فيه على المتفق عليه، وتيسيرًا على العامة بسبب اجتماع الأمثال حال الكتابة بالإبدال، ولصحة النقل بالحذف.

٣- ورد لفظ ﴿سيماهم﴾ في ستة مواضع هي:﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٣، والأعراف:٤٦و٤٨، ومحمد:٣٠، والرحمن:٤١]، و﴿سِيمَاهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] وفي رسمه ثلاثة أوجه هي: بالألف، وبالحذف، وبالياء، والذي نص عليه أبو داود رسمه بالحذف في البقرة والقتال والرحمن، وبالياء في موضعي الأعراف، وبالألف في الفتح، وعلل الرسم بالحذف أنه اختصارًا واكتفاءً بفتحة الميم عنها لدلالتها عليها، وبالياء أنه على الأصل وللإشارة إلى الإمالة، وبالألف أنه على اللفظ والتفخيم[3]، ولم يذكر الداني إلا استثناء موضع الفتح من الرسم بالياء، ونقل عن معلى عن عاصم أنه قال: "تكتب ﴿سيماهم﴾ في القرآن بالألف"[4]، ولعل هذا ما جعل الخوارزمي ينقل رسم هذا اللفظ بالألف مطلقًا[5]، ومع رواية

---

(١) مختصر التبيين، ٧٨٢/٣، وحاشية ١٣، ودليل الحيران، ٢٧٨ و٢٧٩.

(٢) دليل الحيران، ٢٧٨، وإرشاد القراء والكاتبين، ١٦٣ و٢١٣، وسمير الطالبين، ٣١.

(٣) مختصر التبيين، ٣١٢/٢، وانظر: رشف اللمى، ٢٤٠ و٢٦١، وسمـــير الطـــالبين، ٦٢، ودليـــل الحيران، ٢٧٨.

(٤) المقنع، ٨٩.

(٥) موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني، نص مؤلفه على المواضع الخمسة أنها بـــالألف ولم يذكر شيئًا بالنسبة إلى موضع البقرة، ص ٣٥ و٨٢ و٨٥.

الداني هذا القول إلا أن المنقول عنه رسم باقي المواضع بالياء[1]، بل رسم موضع الفتح بالياء في مصحف من القرن التاسع الميلادي[2]، وضبط بعضهم موضع الفتح المرسوم بالألف أنه غير المسبوق بباء الجر كباقي المواضع.

والذي يترجح عندي حمل المختلف فيه على المجمع عليه وهو موضع الفتح المجمع على رسمه بالألف،فيكتب به في جميع المواضع،وهو أقرب إلى النطق،وأيسر على العامة،ولا يتعارض مع قراءة اللفظ بالإمالة،ويتفق مع القول برسم جميع المواضع بالألف.

٤- لفظ ﴿وسُقْيَاها﴾ [الشمس:١٣] في رسمه ثلاثة مذاهب: بالألف، وبحذفها، وبالياء، ورجح بعضهم رسمها بالألف إعمالاً لقاعدة: "ما أدى رسمه بالياء إلى اجتماع ياءين يترك رسم الألف ياء وترسم ألفًا على اللفظ كراهة اجتماع متماثلين في الصورة"، ومن رجح رسمه بالياء فاتباعًا لقول اللبيب: "اتفقت المصاحف على رسمها بياءين من غير اختلاف"، واختار أبو داود رسمه بالحذف[3].

والذي يترجح عندي رسمه بالألف إجراءً للقاعدة عليه ، وموافقة لمن رسمه كذلك، ولأنه أيسر وأقرب إلى النطق.

٥- لفظ ﴿عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس:١٥] ورد في رسمه وجهان: بحذف الألف، وبالياء، وهو القياس[4]، إلا أن الأَولى رسمه بالوجه الأول بحذف الألف وبلا ياء كراهة اجتماع صورتين متشابهتين، ولأن العمل عليه في عدد من المصاحف.

---

(١) التسهيل، ٢٢، وعليه العمل في مصحف الجماهيرية.

(٢) رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، ٢٨، فيه صورة لصفحة من مصحف كتب في القرن التاسع أو العاشر الميلادي.

(٣) مختصر التبيين ١٣٠٠/٥ وحاشية ١، ودليل الحيران، ٢٧٧.

(٤) مختصر التبيين ١٣٠٠/٥ وحاشية ٢، ودليل الحيران، ٢٧٧، ورشف اللمى، ٢٦١.

٦- لفظ﴿بأَيَّام﴾ [إبراهيم:٥] اختلف الشيخان فيه على وجهين:

الأول:رسمه بياء واحدة بعدها ألف ثابتة.

الثاني:رسمه بياءين مع حذف الألف،وهو اختيار أبي داود في التنـــزيل[1]،وذكروا في تعليل زيادة الياء وجهين هما:التنبيه على جواز الإمالة، والتنبيه علـــى جـــواز كتابته على الأصل،كما كتب:﴿ٱللَّهْوِ﴾[الجمعة:١١]،و﴿ٱللَّـٰعِبِينَ﴾[الأنبياء:٥٥] بلامين على الأصل.

واخـــتلفت المصـــاحف في رســـمـــه، ففـــي بعضـــها بيـــاءين [2]، وفي بعضها بالألف[3]، والذي أُرجحه رسمه بالألف لأنه أقرب إلى اللفظ، وأبعد عن الإشكال، ولأنه كتب كذلك في بعض المصاحف، ولأن التنبيه على جـــواز الإمالة لا وجه له في هذا اللفظ لعدم القراءة بها في المتواتر.

المبحث الثاني

ألفاظ زيدت فيها الألف

توجد ألفاظ عديدة زيدت فيها الألف، منها ما زيدت فيه في وســـط الكلمة، ومنها ما زيدت فيه في آخرها، وسأذكر في هذا المبحث عددًا منـــها مع ترجيح أحد الأوجه فيها، ومن هذه الألفاظ:

١- الألف بعد الواو المتطرفة: اتفق شيوخ النقل على زيادة الألف بعد

(١) المقنع، ٩٤، ومختصر التبيين، ٧٤٦/٣.

(٢) نص محقق مختصر التبيين على أنه في مصاحف المغاربة بياءين، وأن مصاحف المشارقة اختلفت في رسمه بين إثبات الألف وحذفها (مختصر التبيين ٧٤٦/٣ حاشية ٤) والمعمول به في معظم المـــصاحف المـــشرقية حاليا بياءين.

(٣) التسهيل٣٧،ومصحف الجماهيرية،وهو مرسوم بالألف في مصحف كتب سنة١٢٨٦(رحلة المصحف ٣٨).

واو الجمع، وعلى زيادة الألف بعد واو اسم الفاعل المضاف نحو: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ [الدخان:١٥] ، و﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾[السجدة:١٢]، واتفقوا على إسقاط الألف من: ﴿وَبَآءُو﴾ [البقرة:٦١]،و﴿وَجَآءُوٓ﴾ حيث وقعا،و﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ [الحشر:٩] ، و﴿سَعَوْ﴾[سبأ :٥]دون موضع الحج[٥١]، و﴿فَآءُو﴾[البقرة:٢٢٦] ، و﴿وَعَتَوْ﴾ [الفرقان:٢١] دون ما عداه، وزادوها باتفاق بعد واو الفرد المتطرفة نحو:﴿أَشْكُواْ﴾ [يوسف:٨٦]، واستثنوا:﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [النساء:٩٩] ، أما ما يشبهه مثل: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة : ٢٣٧] فبعده ألف ، وكذلك لا ألف بعد واو﴿ذو﴾[1]. ووجه زيادة الألف: الدلالة على فصل الكلمة عما بعدها وصحة الوقف عليها، ولا يصلح التوجيه بالتفريق بين واو الجمع والفرد لعدم اختصاصها بأحدهما[2].

واختلفوا في: ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٣٩] ، و﴿ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب:٦٩] ، فالداني رجح الإثبات ونقله عن بعض الرواة، وأبو داود لم يرجح وسكت عنهما الخراز، والمعمول به في المصاحف إثبات ألفيهما[3]، وهو الذي أرجحه حملاً لهما على سائر المواضع.

٢- ورد لفظ ﴿لؤلؤ﴾ في ستة مواضع، اتفق شيوخ النقل على إثبات

---

(١) ورد في بعض كتب الرسم النص على زيادة ألف بعد واو ﴿ ذو ﴾ في مواضع منها: ﴿ذُو رَحْمَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧]، و﴿ذُو ٱلْفَضْلِ﴾ [البقرة:١٠٥]، وهو مخالف لنقل الداني اتفاق المصاحف على حذف الألف بعد الواو من ﴿ذو﴾ (انظر: المقنع، ٢٨، وموجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني، ٢٤ و٣٤ و٣٨ و٨٨ وغيرها).

(٢) دليل الحيران، ٢٥٤.

(٣) المقنع، ٢٧، ودليل الحيران، ٢٥٢ و٢٥٣، وجامع البيان، ٢٧٠ و٢٧١.

الألف بعد واو ﴿لؤلؤا﴾ المتفـــق على قـــراءته بالنصب، وذلك في موضع واحد ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩] ، واختلف القـــراء في موضعـــين آخـــرين هما: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[الحج:٢٣، وفاطر:٣٣] فقرأه نافع وعاصم وأبو جعفر بالنصب، وافقهم يعقوب في موضع الحج، وقرأ الباقون بالجر[١]، واتفق علماء الرسم على الأول أنه بالألف، واختلف في الثاني عن أبي عمرو الداني، والعمل على رسمه كموضع الحج.

أما المواضع الثلاثة الباقية فمنها ما هو مرفوع وهو:﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤]، و﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]، ومنها ما هو مخفوض وهو:﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٣]، واختلف في رسم هذه الثلاثة، واختيار أبي داود عدم إثبات الألف في الطور والواقعة والتخيير في الرحمن، وقيل في وجه زيادها إنها لتقوية الهمزة وبيانها ولشبهها بواو الجمع[٢]، وجرى العمل في مصاحف أهل المغرب على إثبات الألف في موضع الرحمن ، وفي مصاحف أهل المشرق على عدم إثباتها في المواضع الثلاثة، وهو الأولى والأرجح، لأنه أقرب إلى النطق، وأيسر على العامة.

٣- لفظ ﴿جِاْيٓءَ﴾ اختلفت المصاحف فيه في موضعيه [الزمر:٦٩، الفجر:٢٣] حيث ذكر الداني وأبو داود والشاطبي أنهما في بعضها بألف وفي بعضها بلا ألف، وجرى عمل مصاحف أهل المشرق على إثبات الألف[٣]،

(١) المبسوط، ٣٠٦، والنشر، ٣٢٦/٢.

(٢) دليل الحيران، ٢٥٥ و٢٥٦، وجامع البيان، ٢٧٣ و٢٧٤.

(٣) دليل الحيران، ٢٤٨.

والذي يترجح عندي رسمهما بلا ألف لأنه الأقرب إلى اللفظ، والأيسر على العامة، وفيه حمل اللفظ على نظائره.

٤- اتفقت المصاحف على زيادة الألف في ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ﴾[النمل:٢١]، واختلفت في زيادة الألف وعدمها في ألفاظ هي : ﴿وَلَأَاْوْضَعُواْ﴾[التوبة:٤٧]، ﴿لَأَاْنتُمْ﴾ [الحشر:١٣]،و﴿لَأَاْتَوْهَا﴾[الأحزاب:١٤]،و﴿لَإِاْلَى﴾ [آل عمران:١٥٨، والصافات: ٦٨]، وقيل في توجيه هذه الزيادة:

- الدلالة على إشباع حركة الهمزة وهي الفتحة وإتمام الصوت بها.
- تقوية الهمزة وبيانها لأنها حرف خفي فقويت بالألف في الكتابة كما قويت بالمد في النطق.
- هي الفتحة وكتبت ألفًا لأنهم لم يكونوا يثبتون الحركات.
- هي صورة الفتحة.(١)

ورجح أبو داود فيها الحذف وعلل اختياره بقوله: "لمجيء ذلك كذلك في أكثر المصاحف وموافقة لسائر ما جاء في القرآن من ذلك على اللفظ والأصل خارجًا عن الخمسة المواضع المذكورة الشاذة المختلف فيها"(٢).

والذي يترجح عندي رسم الألفاظ الخمسة المختلف فيها بلا ألف، وهو الراجح عند كثير من علماء الرسم فيها ، ورسم اللفظ السادس المتفق عليه وهو﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ﴾ بالألف، ولولا الإجماع عليه لرجّحتُ الحذف فيه، حملاً لِلَّفظ على نظائره، ولأن هذه الألف الزائدة تسبب إشكالاً عند كثير من

(١) دليل الحيران، ٢٤٤، وجامع البيان، ٢٦٤.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٣٧٩-٣٨١.

العامة، وكما أن الألفاظ الخمسة الأخرى روي فيها الوجهان عن المصاحف القديمة، فلعل في بعض المصاحف القديمة رُسِم ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بلا ألف ولم يصلنا، وهذا يحتاج إلى مواصلة البحث في المصاحف القديمة.

المبحث الثالث

ألفاظ مختلف في حذف أو زيادة حروف فيها سوى الألف

تقدم أن الألف أكثر الحروف حذفًا كما أنه أكثرها زيادة، أما باقي الحروف ومنها الواو والياء فحذفها أو زيادتها أقل من الألف ولذا جمعتها في مبحث واحد،اقتصرت فيه على ألفاظ حذفت منها الياء،وألفاظ زيدت فيها الواو.

المطلب الأول: ألفاظ حذفت منها الياء

قد يكون الحذف للياء بسبب اجتماع مثلين، وقد يكون بدون هذا السبب، وسأذكر ألفاظًا من كلا هذين النوعين على النحو الآتي:

١- حذف إحدى الياءين،وقد تكونان متوسطتين أو متطرفتين، أما المتوسطتان فحذفت إحدى الياءين من ألفاظ:﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:٦١]،و﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [الجمعة:٢]، و﴿ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾[المائدة:١١١]، و﴿رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]،حيث وردت باتفاق شيوخ الرسم،وأُثبتت الياءان في ﴿عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨]، وفي﴿يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] ، و﴿أَفَعَيِينَا﴾[ق:١٥]، و﴿حُيِّيتُم﴾ [النساء:٨٦]، و﴿يُحْيِينِ﴾[الشعراء:٨١] ونحوها وعلة الحذف هنا ظاهرة وهي كراهة توالي المثلين.

وأما المتطرفتان فلهما صورتان؛ الأولى: إذا سكنت الياء الثانية نحو:﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾[نحو:البقرة:٢٥٨]،و﴿يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الحج:٦]، اتفق شيوخ الرسم على حذف

إحدى الياءين، والأرجح حذف الثانية، وثانيهما: إذا تحركت الثانية، وذلك في أربع كلمات هي: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٩٦]، و﴿حَيَّ﴾ [الأنفال:٤٢] على قراءة الإظهار، وهي قراءة المدنيين ويعقوب وخلف والبزي وشعبة وقنبل في أحد وجهيه[١]، و﴿يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠]، و﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ﴾ [الفرقان:٤٩].

أما﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الأحقاف:٣٣] فإن الشيخين سكتا عنه وأطلق الشاطبي في العقيلة وأبو العباس بن حرب في كتابه في الرسم الحذف فشمل موضع الأحقاف أيضًا، والعمل على حذف الياء في المواضع الخمسة[٢]، وهو الأَولى حملاً للَّفظ على نظائره.

٢- لفظ ﴿عباد﴾ المنادى حذفت الياء من آخره إلا في ثلاثة مواضع هي: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٥٦] وهو الموضع الأخير فيها،و ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣] وهو الموضع الأخير فيها، و﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [الزخرف:٦٨]، فالأولان ياؤهما ثابتة بالاتفاق، والأخير فيه الوجهان وفيه أكثر من قراءة، حيث قرأ شعبة ورويس بإثبات الياء مفتوحة وصلاً ساكنة وقفًا، وقرأ المدنيان وأبو عمرو وابن عامر بإثبات الياء ساكنة في الحالين، وقرأ الباقون بحذف الياء في الحالين[٣]، وهو مرسوم بالياء في مصاحف المدينة والشام، وفي سائر المصاحف بلا ياء، وذكر المارغني أن العمل على إثباتها[٤]، والأَولى في نحو هذا أن يرسم بحذف الياء

---

(١) النشر، ٢/٢٧٦.

(٢) دليل الحيران، ٢٠٠-٢٠٢.

(٣) المستنير، ٤٣٨، وإيضاح الرموز، ٦٥٠.

(٤) دليل الحيران، ١٩٧.

ليحتمل القراءتين، وعلى قراءة الإثبات تلحق الياء.

٣- ورد لفظ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ في تسعة وستين موضعًا، منها ثلاث وثلاثون تقرأ بالألف بعد الهاء، منها خمسة عشر في سورة البقرة، وثمانية عشر في سور متعددة، وباقي المواضع وهي ستة وثلاثون موضعا تقرأ بالياء بلا خلاف، والقراءة بالألف في المواضع المذكورة لابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان، فتكون قراءة هشام عنه بالألف وجهًا واحدًا، وقراءة ابن ذكوان عنه بالوجهين(١)، والمختلف في رسمه منها مواضع سورة البقرة فقط، حيث نقل الداني حذفها عن مصاحف أهل العراق والبصرة خاصة وأهل لشام، وعلق عليه أبو داود بقوله: "لقراءتهم ذلك بالألف"(٢).

والذي يترجح عندي رسم لفظ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ بالياء حيث ورد، وذلك لما يسببه رسمه بالحذف من إشكال على العامة، وحملاً للفظ على نظائره، فإن الخلاف بين القراء حاصل في اللفظ في ثمانية عشر موضعًا خارج سورة البقرة لم ترسم إلا بالياء، فيُحمل القليل على الكثير، ويمكن قصر كتابتها بالحذف في المصاحف المكتوبة بقراءة ابن عامر.

المطلب الثاني: ألفاظ زيدت فيها الواو

زيدت الواو في ألفاظ باختلاف،وهي﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾[الأعراف:١٤٥،والأنبيـــاء:٣٧] و﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾في موضعين [طه:٧١،والـــشعراء:٤٩]، أمـــا الموضـــع الثالـــث مـــن ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٤] فلم تنقل فيه زيادة الواو، ومما عللت به هذه الزيادة

---

(١) سراج القارئ المبتدي، ١٥٦، وإيضاح الرموز، ٢٨٤ و٢٨٥.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٢٠٦، وسمير الطالبين، ٤٩.

أنها لتقوية الهمزة وبيانها، أو للدلالة على إشباع حركتها من غير تولد واو لتتميز عن المختلسة، أو أنها صورة لحركة الهمزة، أو أنها حركة الهمزة، أو أنها صورة الهمزة فتكون الألف قبلها زائدة، أو تكون الألف علامة لإشباع الفتحة التي قبل الهمزة، وقيل إن زيادة الواو في ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ لتحتمل قراءة أخرى وهي: (سأُورّثكم)، وهي قراءة شاذة لا يعول عليها، وقيل زيدت الواو للمبالغة في الوعيد والإغلاظ، ويمكّن الصوت بها ويزاد في إشباعه واعتماده(١).

وهذه الزيادة مروية عن الداني وأبي داود وغيرهما من شيوخ الرسم، ونسبت إلى المصاحف العراقية والمدنية، ونُسب إلى المصحف الشامي الوجهان، والمعمول به في المصاحف الآن زيادة الواو في ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ في الموضعين وعدم زيادتها في ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ في الموضعين(٢).

والراجح عندي رسم جميع المواضع بلا واو، موافقة للمصاحف التي حذفت فيها، وتيسيرًا على العامة، ولأنه الأقرب إلى النطق.

المبحث الرابع
ألفاظ مختلف في كتابة الهمزة فيها

تعد مسألة كتابة الهمزة من مشكلات علم الإملاء، ولعلها كذلك في رسم المصحف، ومن الألفاظ التي اختلف في كتابة الهمزة فيها في المصحف:

١- ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ﴾ [الأحزاب:٢٠] هذا الموضع خاصة دون سائر المواضع اختُلف في رسمه فرسم بالألف صورة للهمزة وبدونها، وفيه قراءتان:

---

(١) مختصر التبيين، ٣/٥٧٢-٥٧٤، ودليل الحيران، ٢٦٣.

(٢) دليل الحيران، ٥٦٣، وسمير الطالبين، ٥٦، وجامع البيان، ٢٧٩.

الأولى بتشديد السين بعدها ألف وبعدها همزة مفتوحة لرويس، والثانية بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة للباقين[١]، ونص علماء الرسم على الاختلاف في رسمه فقال الداني: " في بعض المصاحف ﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ بغير ألف وفي بعضها بالألف، ولم يقرأ بذلك أحد من أئمة القراء إلا ما رويناه من طريق رويس .."[٢]، ورجح عدد من علماء الرسم كتابته بالألف، ومنهم المخللاتي حيث قال:"و ﴿ يَسۡـَٔلُونَ ﴾ بحذف الألف وإثباته وهو المشهور لاحتمال قراءة يعقوب من رواية رويس عنه بتشديد السين ومدها وفتح الهمزة"[٣]، وقال ابن عاشر:

ورسم يسألون بالأحزاب بألف حقًا بلا ارتياب[٤]

ونص عدد من علماء القراءات على أنه يوقف لحمزة في هذا الموضع بوجهين هما: النقل، والإبدال ألفًا اتباعًا لرسمه بالألف[٥]، ورجح آخرون رسمه بالحذف[٦].

والذي يترجح عندي رسمه بالألف صورة للهمزة ليحتمل القراءتين، ولأنه الأقرب إلى النطق، والأيسر على العامة.

٢- لفظ ﴿جزاء﴾ اختلف في رسمه بزيادة الواو على أنها صورة للهمزة أو

(١) المستنير، ٢/٣٧٣.

(٢) المقنع، ٤٣.

(٣) إرشاد القراء والكاتبين، ١٨٣، وانظر: ٢٠١، وموجز كتاب التقريب، ٧٢، وسمير الطالبين، ٨٢.

(٤) الإعلان بتكميل مورد الظمآن، ٤٠، وسمير الطالبين، ٨٢.

(٥) إتحاف فضلاء البشر، ٢/٣٧٣، والبدور الزاهرة، ٢٥٥.

(٦) دليل الحيران، ٢١٨.

عدم زيادتها، فاتفق على رسمه بالواو في ثلاثة مواضع هي: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٢٩]،و﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ ﴾ [المائدة:٣٣]،﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠] وموضع اختلف فيه عن أبي عمرو دون أبي داود الذي جـــزم برسمه بالواو وهو :﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الحشر:١٧] ، ومواضع اختلف فيها الشيخان هي:﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الكهف:٨٨] على قراءة ﴿جَزَآءُ﴾ بالرفع وهي قراءة المدنيين وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة(١)،﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه:٧٦]،و﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الزمر:٣٤]، ونص الداني على أن موضعي الكهف وطه بالواو في المصاحف العراقية ورجح رسمهما بالواو، ونقل الخلاف في موضع الزمر، ونص غيره على رسم المواضع المتفق عليها، وهما موضعا المائدة والشورى بالواو، وموضع الحشر والزمر كذلك، دون سائر المواضع(٢)، وهما موضعا الكهف وطه.

والمعمول به في المصاحف في الألفاظ المختلف فيها كتابتها بالألف ســوى موضع الحشر، وهو الذي يترجح لدي نظرًا للاختلاف فيها، بخلاف المواضـــع الأربعة الأخرى فهي مرسومة بالواو بالإجماع أو عند الأكثرين.

وتوجد ألفـــاظ أخرى مشابهة لهذا اللفـــظ اختلف فيها علماء الرسم مثل : ﴿ أَبۡنَٰٓؤُاْ ﴾ [المائدة:١٨]، و﴿ يُنَشَّؤُاْ ﴾[الزخرف:١٨]، وغيرهما والعمل فيها بحذف الألف وبإثبات الواو وألف بعدها.

٣- لفظ ﴿أولياء﴾ المصحوب بضمير حال كونه مرفوعًا أو مجرورًا، حذف

---

(١) الغاية، ٣١١ و٣١٢، والنشر، ٢/٣١٥.

(٢) المقنع، ٥٧، وجامع البيان، ٢٤٥.

بعض كُتَّاب المصاحف صورة الهمزة منه والألف التي بعد الياء، وذلك في ستة مواضع هي: ﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾ [البقرة:٢٥٧،والأنعام:١٢٨] ، و﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] و﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ [فصلت:٣١] ، و﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١] ، و﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٦] ، وأثبت آخرون صورة الهمزة والألف، وهو اختيار أبي داود وعليه العمل(١)، وهو الراجح لأنه الأقرب إلى النطق، ولأن الرسم الآخر يلبس على العامة بسبب تشابه صورة الهمزة في حالتي الرفع والجر.

المبحث الخامس

ألفاظ مختلف فيها بين القطع والوصل وبين الهاء المربوطة والتاء المفتوحة

توجد ألفاظ عديدة اختلف فيها علماء الرسم بين القطع والوصل، وألفاظ اختلفوا فيها بين كتابتها بالهاء المربوطة أو بالتاء المفتوحة، وقد اقتصرت على ذكر مواضع قليلة منها مما ظهر لي وجه الترجيح فيه، وتركت ألفاظا عديدة شعرت بأن الترجيح فيها يحتاج إلى مزيد بحث وتأمل، ولعله يتيسر لاحقًا بحثها بإذن الله، وفيما يلي ذكر هذه المواضع:

١- الحروف المقطعة في فواتح بعض السور رسمت موصولة إلا﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى] فرسمت بالقطع بين الميم والعين، والقول بوصلها لم يصح فلا يعمل به ولا يلتفت إليه، وقيل في تعليل فصل﴿حمٓ﴾ عما بعدها: لتبقى في الرسم كسائر أخواتها، ولأنها معدودة آية في العدد الكوفي فينبغي قطعها عما بعدها، وهذا يقتضي جواز الوقف عليها والبدء بما بعدها بخلاف

---

(١) دليل الحيران، ٢١٠.

سائر الحروف المقطعة فلا يجوز فصل بعضها عن بعض ولا الوقوف على ما قبل آخرها اتباعًا للرسم(١).

٢- ﴿وَّلَاتَ حِينَ﴾ [ص:٣] اقتصر فيه أبو داود على القطع، ونقل الداني بسنده عن أبي عبيد أنها في مصحف عثمان موصولة، وتعقبه بأنه ليس كذلك في شيء من مصاحف أهل الأمصار، وأنها في جميع المصاحف القديمة والجديدة بالقطع(٢)، ويرى آخرون أن الإنكار على أبي عبيد غير متجه لأنه حكى ما رأى، وثبت عن العرب زيادة التاء في أول أسماء الزمان ومنها حين، ولذا لم ينكر الخراز و لم ينقل الإنكار على أبي عبيد(٣)، بل إن ابن الجزري أيد ما قاله أبو عبيد فقال: "إني رأيتها في المصحف الذي يقال له الإمام مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿لا﴾ مقطوعة، والتاء موصولة، ورأيت به أثر الدم وتتبعت فيه ما ذكره أبو عبيد فوجدته كذلك، وهذا المصحف هو اليوم بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة المحروسة"(٤) إلا أن أكثر علماء الرسم على عدم الاعتداد بما نقله أبو عبيد وحملوه على مخالفة الجمهور وسائر المصاحف(٥)، والمعمول به هو القطع وهو الحري بالاتباع، ويؤيده أن القراء جميعا يقفون على ﴿ولات﴾ عند الضرورة سواء من وقف منهم بالهاء وهو الكسائي أم بالتاء وهم الباقون(٦)

(١) هداية القاري، ٤٥٧.

(٢) المقنع، ٧٦، وكلام أبي عبيد في كتابه اختلاف الحديث ٤/٢٥٠.

(٣) دليل الحيران، ٢٩٨.

(٤) النشر، ٢/١٥٠ و١٥١.

(٥) مختصر التبيين، ٤/١٠٤٧ حاشية ٥، والمنح الفكرية، ٣١٣ و٣١٤، ودليل الحيران، ٢٩٨.

(٦) المستنير، ٤٠٣، وإيضاح الرموز، ٢٤٣.

و لم ينقل عن أي منهم أنه وقف على ﴿ولا﴾ بدون التاء[1].

٣- ﴿أن لو﴾ وردت في أربعة مواضع، رسمت مقطوعة في ثلاثة منها[2]، واختلف في ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الجن:١٦] فنص أبو داود على وصله وسكت عنه الخراز لما قاله بعضهم أن أبا عمرو لم يتعرض لما قاله أبو داود، وأنه لم يكتب في هذا الموضع إلا مقطوعًا، وكأنه يرى عدم وجود خلاف فيه، وأن جميع المواضع مقطوعة باتفاق[3]، وعلى القطع في موضع الجن كالثلاثة السابقة العمل في مصاحف أهل المغرب، أما في مصاحف أهل المشرق فالعمل على الوصل في موضع الجن.

والذي يترجح لي كتابته بالقطع حملاً للَّفظ على نظائره، ولأن كتابة الوصل تشكل على العامة، ولأن القطع في مثل هذا هو الأصل.

٤- ﴿فِي مَا﴾ اختلف في كتابتها بين القطع والوصل في أحد عشر موضعا[4]، وباقي مواضعها موصولة، ونص أبو عمرو على الخلاف في المواضع الأحد عشر وأن الأكثر على القطع فيها، ونص أبو داود على القطع في موضعي الشعراء والأنبياء واستثنائهما من الخلاف ، وأن العمل على القطع فيها كلها، وقال الصنهاجي: "بذلك جرى العمل عند جميع الناس في الحاضرة والبادية"[5]،

---

(١) هداية القاري، ٤٤٧.

(٢) هي: الأعراف:١٠٠، والرعد:٣١، وسبأ:١٤.

(٣) دليل الحيران، ٣٠٣.

(٤) هي: البقرة:٢٤٠ والمائدة:٤٨ والأنعام:١٤٥ و١٦٥ والأنبياء:١٠٢ والنور:١٤ والشعراء:١٤٦ والروم:٢٨ والزمر:٣ و٤٦ والواقعة:٦١.

(٥) المقنع، ٧١ و٧٢، ومختصر التبيين، ١٩٧/٢ ونقل محققه عبارة الصنهاجي في الحاشية، والمنح الفكرية، ٣٠٤-٣٠٧، ودليل الحيران، ٣٠٢.

وهو الذي يترجح لي لأن القطع في نحو هذا هو الأصل.

٥- لفظ ﴿كلمت﴾ اختلف في كتابته بين فتح التاء وربطها في ثلاثة مواضع هي: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٣٧] رجح أبو داود رسمها بالهاء، وحكى أبو عمرو فيها الوجهين مستويين، وهي بالتاء في مصاحف أهل العراق، واقتصر الشاطبي على ذكر رسمها بالتاء، وعليه العمل في مصاحف أهل المشرق، وعلى رسمها بالهاء في مصاحف أهل المغرب(١)، وهو الأَولى لإجماع القراء العشرة على قراءته بالإفراد.

والموضعان الآخران هما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٩٦]، و﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٦] والمنقول عن المصاحف كتابتهما بالتاء وبالهاء، وعلى كتابتهما بالتاء العمل لأن ما اختلف فيه بين الإفراد والجمع لا يكتب إلا بالتاء(٢)، ليحتمل وجهي القراءة.

أما موضعا: [الأنعام:١١٥]، و[يونس:٣٣]، فاختلف في قراءتهما بين الإفراد والجمع ولم يختلف في رسمهما فهما بالتاء، وقرأ المواضع الأربعة بالإفراد الكوفيون ويعقوب، وافقهم في سوى الأنعام ابن كثير وأبو عمرو، وقرأها الباقون بالجمع، ومن قرأ بالجمع وقف بالتاء، ومن قرأ بالإفراد فهم على أصولهم في الوقف عليها بالهاء أو بالتاء(٣).

---

(١) دليل الحيران، ٣١٧، وأحكام قراءة القرآن، ٣٠٦.

(٢) مختصر التبيين، ٢/٢٧٤-٢٧٧ وفي حاشيته نقول عن ثاني موضعي يونس وكيفية رسمه في المصاحف، وهداية القاري، ٤٧٣ و٤٧٤، والمنير في أحكام التجويد، ٢٣٤.

(٣) إيضاح الرموز، ٣٨٣.

٦- اختلف في كتابة لفظ ﴿رحمة﴾ من قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، فروي عن أبي داود كتابته بالتاء نقلا عن الغازي وحكم وعطاء الخراساني، ورجّح كتابتها بالهاء وهو المشهور، ولم ينص على رسمه ابن الأنباري ولا الداني ولا المهدوي ولا ابن وثيق الأندلسي ولا ابن معاذ الجهني[(١)] مما يدل على أن الخلاف فيه عندهم غير معتد به أو أنه لم يصلهم، ولذا فالراجح رسمه بالهاء.

٧- اختلف في لفظ ﴿نعمة﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات:٥٧]، نقل أبو داود عن الغازي بن قيس وعطاء الخراساني وحكم بن عمران الناقط الأندلسي رسمه بالتاء، ورواه عن غيرهم بالهاء[(٢)]، وهو المشهور وعليه العمل.

(١) مختصر التبيين، ٢/٢٦٩ والحاشية، ودليل الحيران،٣١٣.

(٢) مختصر التبيين، ٤/١٠٣٦ وحاشية ١١، ودليل الحيران، ٣١٤.

الفصل الثاني

الترجيح والتعليل لضبط بعض كلمات التنــزيل

المبحث الأول

ترجيحات واختيارات لباحثين سابقين وكُتّاب المصاحف ومراجعيه

قبل أن أبدأ بذكر ترجيحات تتعلق بعلم الضبط، سأذكر بعض الترجيحات التي وقفت عليها في عدد من المصاحف والبحوث والكتب المؤلفة في الضبط، والتي تحتوي على اختيارات أو ترجيحات بين علامات الضبط أو إضافات إليها، مما يدل على وجود الاجتهاد في هذا العلم وحرص المشتغلين فيه على التيسير على عامة الناس فيه.

قال د. غانم الحمد: "ولم يقف علماء الضبط عند ما اخترعه الدؤلي والخليل من العلامات، فاستحدثوا علامة للسكون، وعلامة للمد، وهمزة الوصل، وكان لبعض تلك العلامات أكثر من صورة، مثل الشدة والسكون، ولا يزال بعض المصاحف يستخدم للسكون علامة الصفر، وهي الدائرة الصغيرة المفرغة، وبعضها يستخدم رأس حرف الخاء دلالة على كلمة (خفيف) .

ولا يتسع المقام لعرض مذاهب علماء الضبط في استخدام تلك العلامات، لكن يمكن ملاحظة وجود قدر من الحرية في اختراع علامات جديدة وتغيير علامات قديمة، وهو ما لا يمكن حدوثه في رسم المصحف، فالرسوم ثابتة، والعلامات فيها متسع للإضافة والتغيير، ومن ثم يمكن القول إن اختراع علامة جديدة لتمثيل صورة نطقية في قراءة القرآن أمر ممكن، ولكن ذلك يجب أن يكون في أضيق الحدود، حتى لا يتعرض ضبط المصحف لتغيير كبير، وألاّ يأخذ ذلك الطابع الشخصي أو الفردي، وإنما يجب أن يكون ذلك في إطار

المؤسسات العلمية والمجامع واللجان المتخصصة"[1].

ويمكن التمثيل لاختراع علامات جديدة في الـضبط بما نـراه في المصاحف وتقارير لجان تدقيق المصاحف المطبوعة قبل نحو قرن من اعتماد الألف الملحقة القصيرة، وتسمى: "الألف الخنجرية"، بدل الألف الطويلة الحمراء لتعذر تلوين الحروف في المطابع في ذلك الوقت[2]، واعتماد الـدائرة المطموسة السوداء بدل الحمراء للسبب السابق نفسه، وما يزال عدد من لجان تدقيق المصاحف يعيد الكلام القديم نفسه عن تعذر تلوين الحروف وعلامات الضبط في المصحف[3]، مع أننا نرى في المصاحف الحديثة اسـتخدام الألـوان بشكل كبير، لتلوين لفظ الجلالة، أو الكلمات المختلف فيها بين القراء وبألوان متعددة، ولعل هذا التطور في المطابع يقتضي من لجان مراجعة المصحف وتدقيقه إعادة النظر في التقارير القديمة، وفي علامات الضبط البديلة المؤقتة، فـالعود إلى الأصل أَولى عند إمكان فعله.

ومن البحوث القيمة في موضوع الرسم والضبط والترجيح فيهما بحث للأخ الفاضل الدكتور أحمد شرشال عنوانه: "التوجيه السديد في رسم القـرآن المجيد وضبط بلاغته"[4] بحث فيه عددًا من المسائل والكلمات في رسم المصحف

---

(١) الرسم العثماني أصوله وخصائصه، ٩٢.

(٢) انظر تقرير المصحف المطبوع في مصر سنة ١٣٣٧هـ، وفي مصاحف أخرى ذكرت هذا الأمر.

(٣) انظر على سبيل المثال تقرير اللجنة العلمية لمصحف المدينة النبوية، سنة ١٤١٣هـ، وتقرير لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر لمصحف الشمرلي، سنة ١٤٠٠هـ، والتعريف بالمصحف في مصاحف عديدة.

(٤) منشور في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ٤٧، السنة ١٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٣٨-٩٥.

وضبطه ورجَّح بينها، ولن أعرض في هذا البحث لما سبق له بحثه تجنبًا للتكرار ، وأكتفي بإيراد ما دعا إليه في آخر بحثه وهو بذل الجهود في التقريب بين وجهات نظر المشارقة والمغاربة ومحاولة إيجاد صلة تجمع بينهما، خاصة أن اختيار كل منهما مذهبًا معينًا في الرسم والضبط ليس مبنيًا على قواعد علمية، وأن ما ذهب إليه بعض نساخ المصاحف كان من قبيل السهو والنسيان، كما دعا إلى تقليص مسائل الخلاف الذي لا قيمة له، وإلغاء بعض المسائل التي اختلفوا فيها والاكتفاء من الضبط بما يؤدي غرض التلاوة[1].

وبالانتقال في البحث إلى المصاحف يلحظ القارئ في المصاحف القديمة والمطبوعة المتداولة بين أيدي الناس حاليًا أن معظمها مضبوط بما يوافق رواية حفص عن عاصم، ومنها ما ضبط بما يوافق رواية ورش عن نافع، وقالون عن نافع، والدوري عن أبي عمرو وبروايات أخرى، وتختلف هذه المصاحف فيما بينها في عدد من علامات الضبط وتتفق على بعضها، وأصبح من المتعارف عليه والمشهور التزام طريقة المشارقة في الضبط على رواية حفص، وطريقة المغاربة في روايتي قالون وورش، وإن خالفت مصاحف عديدة في ذلك فضبطت مصاحف رواية ورش ورواية الدوري بطريقة المشارقة أو بطريقة تجمع بينهما، ويدل هذا التداخل على عدة أمور منها: سعة الأمر، وجواز عدم الالتزام بمذهب معين في الضبط، واختيار الأرجح والأقرب والأيسر ولو كان ذلك بالخلط بين المذاهب وتداخل الأقوال، وفيما يلي عرض لبعض أوجه في ضبط مصاحف متعددة:

(١) التوجيه السديد، ٩١.

١- من علامات الضبط المستخدمة في مصاحف قديمة ينسب بعضها إلى القرن الأول الهجري، ويعود بعضها إلى القرن الرابع الهجري وما بعده:

- علامة الهمزة دارة مطموسة ترسم قبل أو بعد الألف ملاصقة لها، وتكون حال الفتح أعلى الحرف، وحال الضم وسطه، وحال الكسر تحته، وفي مصحف آخر إثبات الحركة مع الهمزة التي هي دارة مطموسة.
- إلحاق الألف المحذوفة بالحجم المعتاد بلون مختلف.
- نقط القاف نقطة واحدة فوق الحرف، وعدم نقط الفاء.
- إثبات كلمة (مد) بحرف صغير فوق حرف المد أو موضع المد في اللفظ.
- إثبات علامة الهمزة وهي رأس العين فوق الحرف في جميع الحركات حتى لو كانت مكسورة، وإثبات الكسرة تحت الحرف وحدها.
- كتابة كلمة (صل) كاملة فوق الألف التي هي صورة همزة الوصل.
- إثبات ألف صغيرة بدل الفتحة في الحرف المفتوح المتبوع بألف، وبدل الكسرة في الحرف المكسور المتبوع بياء مدية، وفي مصاحف تكون الألف الصغيرة القائمة بدل الكسرة مطلقًا.
- إثبات ثلاث نقاط على شكل مثلث قائم فوق الحرف الممال، وفي مصحف آخر يثبت حرف (ن) أو (ت) فوق الحرف إشارة إلى الإمالة[١].

٢- في مصحف مخطوط، كتب في حوالي القرن العاشر الميلادي عندي صورة لعدة أوراق منه، وهو مضبوط برواية الدوري عن أبي عمرو، ومما يلحظ فيه:

---

(١) رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، صفحات متعددة فيها صور لهذه المصاحف.

- عدم التفريق في التنوين بين التتابع والتركيب.
- في حالة الإدغام بغنة يوضع حرف (غ) صغير فوق النون أو التنوين، كما يوضع حرف (ك) صغير فوق النون أو التنوين في حالة الإدغام الكامل، ويوضع حرف (خ) صغير فوقهما في حالة الإخفاء، و(م) صغيرة في حالة القلب، و(ن) صغيرة في حالة الإظهار،و(غ) صغيرة وأحيانًا غير منقوطة وبطريقة مختلفة عنها في حالة الإدغام بغنة حالة إدغام حروف أخرى ببعضها كالميم في الميم، والباء في الباء، والذال في الدال أو الجيم وأحيانًا تهمل هذه الإشارات.
- إذا كانت الكلمة الأولى في الآية تبدأ بهمزة وصل فيتم إثباتها على صورة همزة القطع مع حركتها، والهمزة تكون دائمًا فوق الألف وإن كانت مكسورة.
- إثبات علامة المد على الحرف السابق لحرف المد لا فوقه ، كما تثبت علامة المد على حروف المد في مد البدل، وكذلك إثبات علامة المد بدل علامة صلة الهاء في حالتي الصلة الكبرى والصغرى.
- عدم إثبات علامة تدل على الزيادة فوق الحروف الزائدة رسمًا.

٣- في المصحف المطبوع في العراق والمأخوذ من نسخة خطية أهدتها والدة السلطان عبد العزيز بن محمود العثماني إلى مرقد الجنيد سنة ١٢٧٨هـ، وراجعته لجنة مكونة من ستة أشخاص يلاحظ أيضًا:

- عدم التفريق في التنوين بين التتابع والتركيب.
- عدم الالتزام بالإشارة إلى أحكام الإدغام والإخفاء والإظهار.

• عدم إثبات رأس العين على أنها صورة للـــهمزة والاكتفـــاء بالحركـــة أو السكون على الألف، أما الواو والياء فتثبت عليهما صورة الهمزة.

• عدم الإشارة إلى الحروف الزائدة رسمًا.

• كتابة كلمة (قصر) بخط صغير على بعض الحروف الزائدة للإشارة إلى عدم نطقها، وكتابة كلمة (تسهيل) بخط صغير تحت الهمزة المسهلة.

٤- في معظم المصاحف المطبوعة في الباكستان ملحوظات عديدة منها:

• لا تراعى مسألة التركيب والتتابع في التنوين.

• عدم الالتزام بجميع علامات الضبط الدالة على الأحكام.

• توضع علامة الصلة في حالة الضم: ضمة مقلوبة رأسها إلى أســـفل، وفي حالة الكسر ألف صغيرة قائمة.

• لا علامة تدل على همزة الوصل إلا إذا كانت أول آية فتوضع الحركة على الألف.

• تضبط الحروف المحذوفة رسمًا إذا كان المحذوف ألفًا بإلحاق ألف صـــغيرة فوق الحرف لا بعده، وإذا كان ياءً بإلحاق ألف صغيرة تحت الحرف لا بعده، وإذا كان واوًا بإلحاق واو صغيرة مقلوبة فوقه، ولا توضع الحركات في هـــذه الحالات اكتفاءً بالحروف الصغيرة عنها، ولا علامة تدل على الحروف المزيدة رسمًا.

٥- ورد في تقرير اللجنة العلمية التي راجعت المصحف المطبوع بروايـــة قالون عن نافع عام ١٣٩٨هـــ، ١٩٧٨م وصادقت عليه لجنة أخرى تـــضم نخبة من علماء القراءات في كل من ليبيا وتونس والمغرب أن الياء المتطرفة يجوز

أن تنقط أو لا تنقط، وكذلك بقية الحروف الأربعة المجموعة في كلمة (ينفق) وأن الإمام الداني اقتصر على عدم نقطها، ووجهه في ذلك أنها إذا تطرفت لا تلتبس صورتها بصورة غيرها، وفي هذا المصحف اختارت اللجنة بين علامات الضبط المروية عن الداني وعن أبي داود ما رأته أبعد عن الإشكال واحتمال الوقوع في التحريف، واعتمدت اللجنة الجمع بين طريقة المشارقة والمغاربة والدمج بينهما تسهيلاً على القارئين، وبناء على أساس علمي لا عشوائي، ووصفت اللجنة هذا العمل بأنه محاولة طيبة ومفيدة.

المبحث الثاني

ترجيحات في ضبط بعض الكلمات

من خلال المطالعة في كتب الضبط والقراءة في المصاحف المضبوطة بمذاهب واختيارات متعددة، والنظر في الأقوال المختلفة والاختيارات السابقة، وبعد إعمال الفكر والتأمل في علامات الضبط والبحث عن أيسر هذه العلامات وأقربها دلالة على المقصود وأبعدها عن الإشكال والتداخل، فإني سأقترح مجموعة من الترجيحات بين هذه العلامات، وإن كان تطبيق هذا الاقتراح أمرًا صعب الحصول، لاعتياد الناس على طريقة معينة في الضبط، وظن كثير منهم أن هذا الضبط هو المذهب الوحيد، ولذا فإن مخالفته تعد خطيئة كبرى عندهم وانحرافًا عن الصواب، بل قد تصل عند بعضهم إلى أن تكون تحريفًا في الكتاب العزيز، وكذلك الحال بالنسبة إلى ما استقر عليه العمل في مصاحف المغاربة، وقد سبق لي مرارًا أن تباحثت في موضوع الترجيح بين علامات الضبط مع عدد من الإخوة الفضلاء المتخصصين في علوم القرآن الكريم وعرضت بعض اقتراحاتي بالتعديل والترجيح، وكانت إجابة معظم هؤلاء الإخوة تتخوف من عدم تقبل مثل هذا التعديل من عامة الناس وإنكاره ورفضه، وهذا التخوف في محله إلا أنه لا ينبغي له أن يثنينا عن عرض أفكار ومقترحات هدفها خدمة كتاب الله وتيسير علامات ضبطه وتوحيدها، ولعل العمل بمثل هذه الاقتراحات والترجيحات يحتاج إلى تمهيد وتوطئة وتبيين وجهة النظر المؤيدة لها.

والترجيحات التي سأعرضها في هذا المبحث قابلة للنقاش والحوار العلمي،

وسأقتصر على بعض علامات الضبط للترجيح بينها آملاً أن يتيسر لي الرجوع إلى ما بقي منها لاحقًا والله الموفق لكل خير وهو المستعان.

١- الحروف الملحقة: جرى عمل المغاربة على إلحاق الياء والنون المحذوفة في موضعها ملتصقة بالحروف المرسومة، وجرى العمل عند المشارقة على إلحاقها منفصلة عن السطر، أما الألف والواو فالمعمول به حاليا في المصاحف إلحاقهما بحجم أصغر من المعتاد في أماكنهما، وتنص كتب الضبط على أن الحروف الملحقة كالحركات تلون بلون مغاير لمداد المصحف، واختار القدماء لها اللون الأحمر، وتلحق بالحجم المعتاد فلونها يظهر أنها من الضبط لا من الرسم، وهذا الأمر ليس مقتصرًا على حروف المد المحذوفة رسمًا بل يشمل الحركات والنقط.

وكان هذا الأمر مستخدمًا في المصاحف القديمة والحديثة متداولاً بين كُتاب المصحف وقرائه، وتوقف مع ظهور الطباعة حيث كان من المتعذر على المطابع أول ظهورها تلوين الحروف فأصبحت كلها بلون واحد موافق للون مداد المصحف مع تصغير الحروف الملحقة، وبما أن المطابع الآن أصبحت تملك القدرة على تلوين الحروف والحركات، وأصبح القائمون على طباعة المصاحف يتفننون في تلوين بعض الحروف من باب الزخرفة وجذب الانتباه أو من باب التنبيه على بعض أوجه القراءة، فأولى من هذا أن يعاد بالضبط إلى الأصل، ويعود تلوين الحروف الملحقة والحركات والنقاط والهمزات باللون الأحمر كما كان عليه الأمر سابقًا، وقد يجد الناس في هذا الأمر غرابة في أوله ولكنهم مع الوقت سيعتادون عليه ويتعارفونه، وقد أحسن الإخوة الكرام في مجمع الملك فهد طباعة المصحف الشريف حين استخدموا الألوان في الآيات

الكريمة المثبتة في كتاب مختصر التبيين، بتحقيق الأخ الفاضل د. أحمد شرشال، وهي خطوة طيبة في الاتجاه الصحيح[1].

وعليه فإني أرجح استخدام اللون الأحمر للحروف الملحقة، واللون الأحمر والأخضر والأصفر للهمزات حسبما تعارف عليه علماء الضبط قـــديمًا، وفي هذا الحال فلا بأس بوصل الياء الملحقة والألف الملحقة في مواضعها بـــالحجم المعتاد ملتصقة بالسطر إذ تلوينها يمنع من التباسها بالحروف المرسومة أصلاً.

٢- علامة همزة الوصل: تمتاز علامة همزة الوصل المستخدمة عند المغاربة بدلالتها على كيفية البدء بالكلمة وهو ما تفتقده العلامة المستخدمة عند المشارقة، وإن كانت هذه الأخيرة تمتاز عن تلك بكونها علامة واحدة بينما هي عند المغاربة جَرَّة ونقطة، وإن كان داعي استخدام الجرة مع إثبات الحركة على الحرف السابق لهمزة الوصل ليس لازمًا في غالب الألفاظ، وتكون الحاجة إليها قائمة في نحـــو: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١و٢] لتبيـــين أن الميـــم مفتـــوحة وصلاً ، وفي نحو : ﴿فَتِيلًا ۝٤٩ ٱنظُرْ﴾ [النساء:٤٩و٥٠] لتبيين حركة التنوين ولكنها مواضع محدودة لا ينبغي من أجلها على قلتها إثقال آلاف المواضع بإثبات جرة تعد فيها من باب تحصيل الحاصل ، ولا ينبغي الاقتصار على النقطة وحدها للدلالة على حركة همزة الوصل لأنها في هذا الحال ستشتبه بغيرها ، وقد كثر في المصاحف استخدام النقطة لعدة دلالات.

وعليه فإني أرجح استخدام رأس الصاد للإشارة إلى همزة الوصل، ويمكن من خلالها الإشارة إلى حركة همزة الوصل بتغيير موضعها فتوضع حال الفتح فـــوق

(١) مقدمة مختصر التبيين ١/١٩.

الألف، وحال الكسر تحتها، وحال الضم وسطها، كما يفعل بهمزة القطع في عدد من المصاحف، كما أُرجح أن يقتصر الضبط لهمزة الوصل التي يمكن البدء بها، أما التي تقع بعد الواو والفاء والتاء مما لا يمكن البدء به فلا داعي لضبطها بشيء وتبقى ألفًا مجردة من الضبط كما هو معمول به عند المغاربة.

٣- علامة السكون: تشتبه عند المغاربة بعلامة المزيد رسمًا فهي في الحالتين دارة غير مطموسة، أما عند المشارقة فهي دارة مفتوحة من جهة الحرف التالي، ويعبر عنها بأنها رأس خاء غير منقوطة، وهذه العلامة أولى من تلك لأنها لا تشتبه بغيرها.

٤- همزة القطع المضمومة: تكتب عند المشارقة فوق الألف وفوقها الضمة، وتكتب عند المغاربة وسط الألف قبلها أو بعدها أو خلالها، وفوقها الضمة في الحالات الثلاث، وأرى أن وضع الضمة وسط الألف أولى من وضعها فوق الألف وأبعد عن اشتباهها بالمفتوحة، كما أن موضع الهمزة من الألف يغني عن جمع الحركة معها، فوجود الهمزة فوق الألف يعني أنها مفتوحة، ووجودها عند وسطها يعني أنها مضمومة، ووجودها تحتها يعني أنها مكسورة، فلم يبق هناك داع لإثبات الحركة معها، أما الهمزة الساكنة فتكتب فوق الألف وتجمع معها علامة السكون لئلا تلتبس بالمتحركة، وأما الهمزة على غير الألف كالتي تكتب على الواو أو الياء أو السطر فأرى أن تثبت معها الحركة.

٥- الياء المتطرفة: جرى العمل في جميع المصاحف على عدم نقط الياء المتطرفة والاكتفاء بإثبات الكسرة قبلها دلالة على أنها ياء مَدّية، أو بإثبات السكون عليها دلالة على أنها لينة، أو بإثبات حركتها إن كانت متحركة، وقد أدى هذا الفعل إلى إشكال عند عامة الناس حيث تلتبس عندهم الياء بالألف

المقصورة في كلمات عديدة، وعلماء الضبط ينصون على جواز النقط وعدمه في أربعة حروف إذا تطرفت وهي الياء والنون والفاء والقاف، وجرى العمل بعدم نقطها كلها في بعض المصاحف المغربية، وبنقطها سوى الياء في معظم المصاحف، ولا وجه لاستثناء الياء وحدها دون أخواتها، ولعل سبب هذا التمييز للياء اتباع طريقة من لا ينقط الياء المتطرفة في الإملاء (1).

والأولى والأرجح فيما أرى أن تنقط الياءات المتطرفة في المصاحف كأخواتها من الحروف المختلف فيها دفعًا للإشكال، وإتمامًا للضبط.

٦- علامة الإمالة والتقليل: اختلفت المصاحف في الدلالة عليهما ففي بعضها علامة الإمالة الشكل المعين وعلامة التقليل شكل المثلث، وفي بعضها علامة الإمالة دارة سوداء وعلامة التقليل دارة بيضاء الوسط، ولما كان استخدام الدارة السوداء في الهمزات المسهلة متعينًا لأنها علامته أرى عدم استخدامها في الإمالة لئلا يؤدي ذلك إلى الالتباس عند العامة، وعليه فأرجح استخدام الشكل المعين للإمالة وشكل المثلث للتقليل لخصوصيتهما به أو لقلة استخدامهما في غيره.

٧- علامات الوقف: كثرت علامات الوقف وتعددت في المصاحف، وهي في بعض المصاحف ست علامات وفي بعضها أكثر من ذلك، والمعمول به في مصاحف المغاربة استخدام علامة واحدة هي رأس الصاد مأخوذة من

(١) جرى على عدم نقط الياء المتطرفة كثير من الناشرين والكاتبين في مصر، ولما يؤدي إليه ذلك العمل من لبس، أوصى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وألزمت جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض بالتمييز بين الألف اللينة والياء من خلال نقط الياء (انظر: فن الإملاء في العربية ١/٤٢٣ و٢/٩٣١، ومعجم الإملاء، ١٠١).

كلمة: (صه) وتستخدم في أماكن الوقف بجميع أنواعه: التام، والكافي، والحسن الذي يجوز الابتداء بما بعده، ومع أن هذه الطريقة تجعل الوقوفات المتباينة متقاربة إلا أنها أيسر على العامة، ولذا فهي أولى من استخدام علامات كثيرة للوقف.

٨- موضع الهمزة المكسورة مع غير الألف: جرى العمل على إثباتها تحت صورتها كما هو الحال مع الألف، وعلى إثباتها على السطر إن لم يكن لها صورة مثل﴿قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨]، و﴿ سُوٓءٍ ﴾[نحو:آل عمران:٣٠]، واختلفت المصاحف في الهمزة المكسورة التي لا صورة لها بعد حروف موصولة بما بعدها مثل: ﴿ أَفۡـِٔدَةُ ﴾ [نحو:الأنعام:١١٣] ، و﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [نحو:الحج:١٧] ، و﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾[نحو:الطور:٢٠] و﴿خَٰسِـِٔينَ﴾[نحو: البقرة:٦٥] ففي بعض المصاحف كتبت فوق المطة وفي بعضها تحتها، والذي أراه أولى أن تكون الهمزة تحت المطة في مثل هذه الحالة فهي مكسورة وإن لم يكن لها صورة فوجود المطة يُلزِم برفعها أو بخفضها، وخفضها يجعل صورتها أقرب إلى ما صورت فيه الهمزة المكسورة في غير هذه الحالة، ففيه تجانس أكثر وتقريب للمعمول به في الكلمات الأخرى.

الخاتـــمة

بعد الانتهاء بحمد الله تعالى من هذا البحث، أذكر أهم نتائجه، وهي:

١- تحديد عدد من الأسس للترجيح بين الأقوال المتعـــددة في رســـم المصحف وفي ضبطه.

٢- تطبيق هذه الأسس على عدد من ألفاظ المصحف الـــتي ورد في كيفية كتابتها أو في كيفية ضبطها أكثر من وجه.

٣- اختيار أحد الأوجه في رسم تلـــك الكلمـــات أو في ضـــبطها وترجيحه على غيره، مع تأكيد أن هذه الاختيارات والترجيحات اجتهاد شخصي خاضع للتقويم والمراجعة.

٤- دعوة السادة العلماء المتخصصين في علم رســـم المـــصحف إلى دراسة هذه الترجيحات، والترجيحات المشابهة لباحثين آخـــرين، وبحث مدى إمكان العمل بها واعتمادها في المصاحف.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المـــراجع

١- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، لأحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، وعالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢- **أحكام قراءة القرآن الكريم**، لمحمود خليل الحصري، تعليق: محمد طلحة بلال منيار، جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة، ط الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣- **إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن**، لمحمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد، مطبعة المعاهد بمصر، ط الأولى (بلا تاريخ نشر).

٤- **إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين**، لأبي عيد رضوان بن محمد بن سليمان المخللاتي، مصور عندي عن نسخة مكتبة الشيخ عامر عثمان الخاصة.

٥- **إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر**، لأبي العز محمد بن الحسين القلانسي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٦- **الإعلان بتكميل مورد الظمآن**، لابن عاشر (مطبوع بذيل مورد الظمآن).

٧- **إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة**، لمحمد بن خليل القباقبي، تحقيق أحمد خالد شكري، دار عمار، عمّان، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٨- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٩- **التسهيل في رسم وضبط بعض كلمات التنزيل**، لشكري أحمد حمادي (بلا معلومات نشر).

١٠- **التوجيه السديد في رسم القرآن المجيد وضبط بلاغته**، لأحمد بن أحمد شرشال، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ٤٧، السنة ١٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١١- **التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو الداني، تصحيح: أوتو برتزل، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣٠م.

١٢- **جامع البيان في معرفة رسم القرآن**، لعلي هنداوي، دار الفرقان، الرياض (بلا تاريخ

نشر).
١٣- **الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف،** لإبراهيم بن محمد بن وثيق الأندلسي الإشبيلي، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار الأنبار، بغداد، ١٩٨٨م.
١٤- **الجوهر اللطيف في معرفة المحذوف من الأليف،** لعلي الجكاني، مطبوع بذيل كتاب التسهيل لشكري حمادي (بلا معلومات نشر).
١٥- **دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن،** لإبراهيم بن أحمد المارغني، تحقيق وتعليق عبد الفتاح القاضي، دار القرآن للطباعة والنشر، القاهرة (بلا تاريخ نشر).
١٦- **رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد،** لحسن البياتي، العراق (بلا تاريخ نشر).
١٧- **الرسم العثماني أصوله وخصائصه،** لغانم قدوري الحمد، منشور في موقع ملتقى أهل التفسير (www.tafsir.net).
١٨- **رسم المصحف إحصاء ودراسة،** لصالح محمد صالح عطية (بلا معلومات نشر).
١٩- **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية،** لغانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، العراق، ط الأولى ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٢٠- **رشف اللمى شرح كشف العمى،** لمحمد العاقب الشنقيطي، ضمن رسائل أولاد ما يأبى، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ٢٠٠٣م.
٢١- **السبعة في القراءات،** لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعرف، ط الثانية، (بلا تاريخ نشر).
٢٢- **سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي،** لعلي بن عثمان بن القاصح، المكتبة الثقافية، بيروت، (بلا تاريخ نشر).
٢٣- **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين،** لعلي بن محمد الضباع، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ط الأولى (بلا تاريخ نشر).
٢٤- **شرح الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية،** لمحمد بن محمد النويري، تحقيق وتعليق: عبد الرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٥- **الغاية في القراءات العشر**، لأحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: محمد غياث الجنباز، دار الشواف، الرياض، ط الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٢٦- **فن الإملاء في العربية**، لعبد الفتاح الحموز، دار عمار، عمّان، ط الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٢٧- **ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية**، لمحمد خازر المجالي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٥٦، ٢٠٠٤م.

٢٨- **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، لأبي داود سليمان بن نجاح، تحقيق: د. أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٩- **المستنير في القراءات العشر**، لأبي طاهر أحمد بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي، تحقيق ودراسة: عمار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبيّ، ط الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٠- **المصحف الشريف**، عدة طبعات وبعدة روايات.

٣١- **معجم الإملاء**، لمحمد محي الدين مينو، منطقة دبيّ التعليمية، ط الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٢- **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٩٤٠م.

٣٣- **المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية**، لملا علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: أسامة عطايا، مراجعة: أحمد خالد شكري، دار الغوثاني، ط الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٤- **من قضايا الرسم العثماني**، لعمر يوسف حمدان، مجلة الفرقان التي تصدرها جمعية المحافظة على القرآن الكريم في الأردن، العدد ٤١، ٢٠٠٥م.

٣٥- **المنير في أحكام التجويد**، لأحمد خالد شكري ورفاقه، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط الثامنة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٦- **موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني**، ليوسف بن محمود الخوارزمي (بلا

معلومات نشر).

٣٧- **مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن**، لمحمد بن محمد بن إبراهيم الخراز، مصر (بـــلا معلومات نشر).

٣٨- **النشر في القراءات العشر**، لمحمد بن محمد بن الجزري، مراجعة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت (بلا تاريخ نشر).

٣٩- **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، طبع على نفقة محمد بن عوض بن لادن، السعودية، ط الأولى، ١٤٠٢هـــ، ١٩٨٢م.

٤٠- **الوسيلة إلى كشف العقيلة**، لعلي بن محمد السخاوي، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـــ، ٢٠٠٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص	٢١٥
المقدمة	٢١٦
التمهيد	٢١٧
الفصل الأول: الترجيح والتعليل لرسم بعض كلمات التنـــزيل	
المبحث الأول: ألفاظ مختلف فيها بين حذف الألف وإثباتها وإبدالها	٢٢١
المطلب الأول: ألفاظ فيها أوجه قراءات متعددة	٢٢١
المطلب الثاني: ألفاظ لا خلاف فيها بين القراء	٢٢٦
المطلب الثالث: ألفاظ أبدلت فيها الألف ياءً	٢٣٥
المبحث الثاني: ألفاظ زيدت فيها الألف	٢٠
المبحث الثالث: ألفاظ مختلف في حذف أو زيادة حروف فيها سوى الألف	٢٣٩
المطلب الأول: ألفاظ حذفت منها الياء	٢٤٣
المطلب الثاني: ألفاظ زيدت فيها الواو	٢٤٥
المبحث الرابع: ألفاظ مختلف في كتابة الهمزة فيها	٢٤٦
المبحث الخامس: ألفاظ مختلف فيها بين القطع والوصل وبين الهاء المربوطة والتاء المفتوحة	٢٤٩
الفصل الثاني: الترجيح والتعليل لضبط بعض كلمات التنـــزيل	
المبحث الأول: ترجيحات واختيارات لباحثين سابقين وكتاب المصاحف ومراجعيه	٢٥٤
المبحث الثاني: ترجيحات في ضبط بعض الكلمات	٢٦١
الخاتـــمة	٢٦٧
فهرس المراجع	٢٦٨
فهرس الموضوعات	٢٧٢

الفروق اللغوية
بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله
في القرآن الكريم

د. محمود أحمد الأطرش
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والقانون بجامعة الحديدة باليمن

* وُلد في سوريا، عام ١٩٦٠م.
* نال شهادة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، بأطروحته: "المحبة والبغضاء في القرآن الكريم"، كما نال شهادة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان في تحقيق "تيسير المنان لتفسير القرآن لأحمد بن عبد القادر الكوكباني (ت ١٢٢٢هـ)".
* له اثنا عشر بحثاً علمياً واثنا عشر مؤلفاً في مجال الاختصاص، منها: تحقيق تفسير البيضاوي(بالاشتراك وهو مطبوع)، اليسر والعسر في القرآن الكريم(مطبوع).

الملخص

تعتبر ظاهرة الترادف اللغوي من أهم أسباب غنى اللغة العربية بالمفردات، ويقصد بالترادف تعدد الألفاظ بمعنى واحد.

وقد تناول هذا البحث الفروق اللغوية بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله في القرآن الكريم، مبيناً الفروق اللغوية بين هذه الألفاظ والمعنى الدقيق لها، وأن القرآن الكريم قد اختار كل لفظة في مكانها بحيث لو استبدلت بكلمة أخرى لتغير المعنى المقصود من الآية، وأن من أهم قضايا الإعجاز البياني معرفة الحكمة من استخدام تلك الألفاظ في مواضعها.

كما بين البحث أن بعض المعاجم اللغوية وبعض كتب التفسير لم تكن دقيقة في بيان المعنى الدقيق لهذه الألفاظ وغيرها، وأنه لابد من التحديد الدقيق للكلمة المفردة في القرآن الكريم، حتى يتبين لنا إعجاز القرآن الكريم في استخدام كل لفظة في مكانها اللائق بها، وأنه لا يمكن التحديد الدقيق للكلمة المفردة إلا ببيان الفروق اللغوية بين الكلمات المترادفة.

مقدمة

من القضايا التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً قضية الترادف ، التي تعني تعدد الألفاظ بمعنى واحد.

ويؤكد الكثير من الدارسين للقرآن الكريم خلوه من الترادف ، إذ إن لكل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم معنى دقيقاً يغاير معنى اللفظة الأخرى .

وقد تكلم العلماء قديماً على الفروق اللغوية بين الكلمات المترادفة ، كما فعل أبو هلال العسكري في كتاب (الفروق اللغوية) وابن فارس في (الصاحبي) والسيوطي في (المزهر) وفي (الإتقان) كما ظهرت دراسات حديثة تؤكد نفي الترادف في القرآن الكريم ، وتبحث في الفرق بين المترادفات ، كما فعل محمد نور الدين المنجد الذي ألف كتاباً بعنوان (الترادف في القرآن الكريم).

إن بيان الفرق بين الكلمات التي يظن أنها مترادفة ، يعدّ أحد أسرار فصاحة القرآن وإعجاز بلاغته ودقة معانيه.

وهذا البحث الذي بعنوان: (**الفروق اللغوية بين ألفاظ العلم ومراتبه ووسائله في القرآن الكريم**) إنما هو دراسة من هذا القبيل ، يؤكد نفي الترادف في القرآن الكريم، ويتناول بالبحث التحديد الدقيق لمعاني تلك الألفاظ ويبين الفرق فيما بينها.

فعلى سبيل المثال: العلم غير المعرفة والدراية والإدراك ، إذ العلم إدراك الشيء بحقيقته ، أما المعرفة فهي إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره ، وأما الدراية فهي المعرفة المدركة بشكل خفي غير ظاهر، وأما الإدراك فيعني بلوغ غاية الشيء والإحاطة به أو الوصول إليه وتجاوزه .

والشك غير الريب والامتراء ، إذ الشك هو اعتدال النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر ، أما الريب فهو قلق النفس وانتفاء الطمأنينة ، وأما الامتراء فهو التردد في الشيء رغم ظهور الحق وجلائه .

والقراءة غير التلاوة والدراسة ، فالقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، أما التلاوة فهي أخص من القراءة لأنها تعطي معنى القراءة التي تفيد معنى الاتباع ، والدراسة تعني القراءة المستمرة أو المتكررة .

وقد تم في هذا البحث تناول ألفاظ العلم في القرآن الكريم لكثرة الحاجة إليها وكثرة استخدامها في مجال العلم والمعرفة.

كما تم تقسيم هذا البحث إلى خمسة مباحث، وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول: الألفاظ التي تدل على العلم، وهي: العلم،المعرفة،الدراية،الإدراك.

المبحث الثاني: الألفاظ التي تدل على مراتب العلم ، وهي : الشك ، الريب ، الامتراء ، الظن ، اليقين .

المبحث الثالث: الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق النقل، وهي: الخبر، النبأ، الإلهام، الوحي، القراءة وما في معناها: القراءة، التلاوة، الترتيل، الدراسة.

المبحث الرابع: الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق الحواس، وهي:

١- الحس وما في معناه ، وألفاظه : الحسّ ، الجسّ ، الشعور ، القص .

٢- ألفاظ الرؤية وهي: البصر ، النظر، الرؤية ، الطرف ، اللمح.

٣- ألفاظ السمع ، وهي: الأذن ، السمع ، الإصغاء .

٤- اللمس.

المبحث الخامس: الألفاظ التي تدل على العلم بواسطة المحاكمة العقلية، وهي: العقل ، الفهم ، الفقه ، التفكر ، التدبر ، التذكر ، الاعتبار.

المبحث الأول

ألفــاظ العــلم

استخدم القرآن الكريم ألفاظاً للدلالة على العلم ، وهذه الألفاظ : العلم ، المعرفة ، الدراية، الإدراك . ولكل لفظ من هذه الألفاظ معنى محدد مخالف للآخر، وإليك بيانها.

أولاً : لفظ العلم

ورد شيء من الخلاف في المعاجم اللغوية في تعريف لفظة العلم ، ففي القاموس المحيط عرف العلم بأنه المعرفة، فقال: «علمهُ كسمعه علماً: عرفه»(١) وكذا عرّفه في (مختار الصحاح)(٢) وفي (المصباح المنير) عرفه بأنه اليقين، فقال: «العلم : اليقين ، يقال: علم يعلم إذا تيقن ، وجاء بمعنى المعرفة أيضا ، كما جاءت [المعرفة] بمعناه ، ضمن كل واحد الآخر لا شتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل ،لأن العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل»(٣).

إلا أن لفظة العلم تختلف في حقيقة معناها عن المعرفة وعن اليقين ، وسياتي بيان المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ .

(١) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص ١٤٧١ باب الميم فصل العين ثم اللام.

(٢) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ص ٤٥٢ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

(٣) المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ص ٤٢٧، دار الفكر، بيروت، (بلا تاريخ).

أما المعنى الدقيق للعلم فيمكن تعريفه بأنه : الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو هو إدراكه على ما هو عليه[1]، وهو على أشكال ، قال الراغب الأصفهاني[2]: «العلم إدراك الشيء بحقيقته ، وهو ضربان : أحدهما :حصول صور المعلومات في النفس. والثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء له هو موجود، أو نفي شيء عنه هو غير موجود له، نحو الحكم على زيد بأنه خارج أو ليس طائراً . فالأول هو الذي قد يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد ؛ وفي النحو المعرفة ويتعدى إلى مفعول ، والثاني هو الذي يسمى العلم دون العقل ؛ ويتعدى إلى مفعولين ؛ ولا يجوز الاقتصار على أحدهما من حيث إن القصد إذا قيل: علمت زيداً منطلقاً إثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد»[3] وقال : «فالأول هو المتعدي إلى مفعول واحد، نحو ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والثاني المتعدي إلى مفعولين، نحو قوله : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]...»[4].

وقد أكثر القرآن الكريم من استخدام لفظة العلم ، حتى بلغ استخدامها حوالي (٧٨٠) سبعمائة وثمانين مرة .

---

(١) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ص١٦٠، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٠م، مكتبة لبنان، بيروت.

(٢) الراغب الأصفهاني: هو الحسين بن محمد ، إمام من حكماء العلماء ، اشتهر بالتفسير واللغة، عاش ببغداد ، توفى عام ٥٠٢هـ (معجم المفسرين ١/ ١٥٨).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ، ص ١٧٩ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨م تحقيق أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة بالقاهرة ودار الوفاء بالمنصورة.

(٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص ٣٤٣ ، دار المعرفة ،بيروت (بلا تاريخ).

والعلم وصف يوصف به الله سبحانه وتعالى كما يوصف به الإنسان ، إلا أن علم الله سبحانه وتعالى أزلي قديم غير قابل للتغيير والزوال ، وعلمه سبحانه شامل لجميع المخلوقات محيط بها ، فيعلم سبحانه تفاصيل الأمور ودقائق الأشياء ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

أما علم العبد فهو مكتسب قابل للزوال مسبوق بالجهل .

ثانياً : المعرفة

أصل المعرفة من العرف ، وهو الريح سواء كانت طيبة أو منتنة ، وهي من قولهم : عرفته أي أصبت عرفه أي رائحته[١] ثم صارت تستخدم فيما يدرك بتفكر وتدبر لأثره .

وقد فرق أبو هلال العسكري[٢] بين العلم والمعرفة وعدّ المعرفة أخص من العلم وأدق فهي علم بعين الشيء مفصلاً بخلاف العلم فإنه يكون مفصلاً ومجملاً ، وعليه فكل معرفة عنده علم وليس كل علم معرفة ، فقال : «الفرق بين العلم والمعرفة ، أن المعرفة أخص من العلم ، لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه ، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً»[٣] لكن الراغب الأصفهاني فرق بينهما بقوله : «المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضاده الإنكار ، ويقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال يعلم الله – متعدياً إلى مفعول واحد – لما كانت معرفة البشرلله بتدبر آثاره دون

(١) القاموس المحيط ، مادة (عرف) ص ١٠٨.

(٢) أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل ، يوصف بالعلم والفقه وغلب عليه الأدب والشعر ، صاحب الصناعتين وله مصنفات ، توفي بعد ٣٩٥هـ (بغية الوعاة ١/ ٥٠٦).

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص٦٢ – ٦٣، طبعة دار الكتب العلمية،بيروت، بلا تاريخ.

إدراك ذاته . ويقال : الله يعلم كذا ، ولا يقال يعرف كذا ، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر»[1] وقال أيضاً : «وأما الفرق بين العلم البسيط -أعني المتعدي إلى مفعول واحد- وبين المعرفة ، فهو أن المعرفة قد تقال فيما تدرك ذاته ، والعلم لا يكاد يقال إلا فيما يدرك ذاته ، ولهذا يقال: فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله ، لما كانت معرفته تعالى ليست إلا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته .

وأيضا ، فالمعرفة تقال فيما لا يعرف إلا كونه فقط ، والعلم أصله أن يقال فيما يعلم وجوده وجنسه وكيفيته وعلته ...

وأيضاً ؛ فالمعرفة تقال فيما يتوصل إليه بتفكر وتدبر ، والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره .

ويضاد العرفان الإنكار، والعلم الجهل»[2].

وعليه ، فالمعرفة تكون من خلال التفكر والتدبر لأثر الشيء أو من خلال علاماته الظاهرة، وذلك لا يكون إلا من خلال الشيء الموجود دون المعدوم.

والمتأمل للآيات القرآنية يجد صواب ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني ، فقوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد: ٣٠]، فقد أشارت الآية إلى أن المعرفة بعد الرؤية كما أنها تكون بسيماهم أي علاماتهم . وقوله سبحانه : ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الحج: ٧٢]، وقوله : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] وقوله : ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

---

(١) المفردات ص ٣٣١.

(٢) الذريعة ص ١٨٠.

وقوله: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣] فكلها تشير إلى أن المعرفة تفيد العلم من خلال معرفة العلامات الدالة عليه.

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] فقد أخبر سبحانه أن أهل الكتاب يعرفون محمداً ﷺ معرفة تامة بأوصافه التي أشارت إليها كتبهم وأوصافه التي لا يجادل فيها إلا مبطل، حيث كان يعرف بالصادق الأمين ويعرف بنسبه وبكلامه وبما جاء به... ولذلك عبر عن ذلك بالمعرفة . أما العلم فقد يكون بالمعرفة وقد يكون بغيرها أي عن طريق النقل ، ولذلك فإن المجادل بالأمر المعلوم قد يكون سبب جداله هو شكه في السبيل الذي أوصل إليه العلم ، أما المجادل بما يعرف فهو يرى العلامات واضحة أمامه ثم ينكرها ، كما قال سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] فكأنه يرى الشيء وينكر أنه يراه ، وهذا شدة الغلو والمكابرة .

لكن المعرفة من جهة أخرى قاصرة ، لأن حواس الإنسان قابلة للمرض وبالتالي قد تكون المعلومات الواصلة عن طريقها غير دقيقة ، كالمريض الذي يحس بأن الماء مر . فالمعرفة إن كانت من عاقل بعيد عن الهوى والتعصب تفيد العلم غالباً ، وإلا كانت قاصرة غير تامة .

وأما أن المعرفة يضادها الإنكار ، فيشير إليه قوله تعالى : ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

وقوله تعالى : ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] أي بينها لهم حتى عرفوها

من غير استدلال ، وذلك أنهم إذا دخلوا تفرقوا إلى منازلهم[1].

ثالثاً: الدراية

الدراية هي المعرفة المدركة بضرب من الخفاء، فهي أعمق من المعرفة، وأصله من دريت الصيد ، والدرية تقال لما يتعلم عليه الطعن ، وللناقة التي يسيبها الصائد ليأنس الصيد بها فيرمي من ورائها[2]. واعتبرها بعضهم أنها بمعنى الفهم ، وذلك بنفي السهو عما على الإنسان ، فيدريه أي يفهمه[3].

ولا يصح أن يوصف الله سبحانه وتعالى بالدراية ، لأن معنى الحيل لا يصح عليه ، و لم يرد بذلك سمع فيتبع . وقول الشاعر :

لاهم لا أدري وأنت الداري

فهو من تعجرف الأعراب الأجلاف[4].

وعليه فإن قيل : حصل هذا دون أن أدري ، أي بخلسة مني دون أن أشعر به . وقوله تعالى : ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١] أي قد حصل أمر ما في إعادة العلاقة بين الزوجين دون أن يشعر بها أحد، أو من دون أن تكون له مقدمات أو أسباب.

وقوله: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤] يؤكد ذلك، إذ قد يحصل لها رزق بشكل خفي.

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني (٥ /٣٢) . والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٧١).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٨٠.

(٣) الفروق اللغوية ص (٧٣).

(٤) الذريعة ص ١٨٠ والمفردات ص ١٦٩.

وكل موضع ذكر في القرآن الكريم ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ فقد عقب ببيانه، نحو: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ [القارعة: ١٠ – ١١] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر: ٢] ، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ٣]. وكل موضع ذكر فيه ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ لم يعقبه... نحو : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ [عبس: ٣] ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧].

واستعمال فعل الدراية في الحاقة وليلة القدر للإشارة إلى خفاء وقتها أو ما أخفي فيها.

رابعاً: الإدراك

الإدراك هو بلوغ غاية الشيء أو الإحاطة بكماله(١)، يقال : أدركته العناية الإلهية أي أحاطت به من كل جانب .

قال الراغب في بيان معنى الإدراك : «الدرك كالدرج ، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود والدرك اعتباراً بالحدور، ولهذا قيل : درجات الجنة ودركات النار ... والدرك أقصى قعر البحر ... وأدرك : بلغ أقصى الشيء ، وأدرك الصبي بلغ غاية الصبا وذلك حين البلوغ»(٢).

والإدراك يستخدم في العلم وفي غيره، وهو في العلم يعني بلوغ غاية الأمر والإحاطة به من كل جوانبه.

وقال أبو هلال العسكري في الفرق بين العلم والإدراك : «إن الإدراك موقوف على أشياء مخصوصة ،وليس العلم كذلك ، والإدراك يتناول الشيء

---

(١) التعريفات ص١٣.

(٢) المفردات ص ١٦٨.

على أخص أوصافه وعلى الجملة ، والعلم يقع بالمعدوم ولا يدرك إلا الموجود»[(١)].

وأما قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ... ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فقد عبر هنا بالإدراك لأن معناه أنه لا تحيط به الأبصار .وهذا لا ينافي الرؤية في الآخرة ، لأنه حتى في الآخرة لا تدركه الأبصار ، وعليه فالرؤية شيء والإدراك شيء آخر إذ هو أبلغ منها . وفي ذلك رد على المعتزلة الذين قالوا بعدم رؤيته تعالى في الآخرة استدلالاً بهذه الآية[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ [النمل: ٦٦] أي تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به وعاينوه[(٣)].

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧١.

(٢) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣/ ١٧٠) دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بلا تاريخ). وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي (٧/ ٢٤٥) الطبعة الرابعة ، ١٣٧٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٤٣).

المبحث الثاني

مراتب العلم

العلم والجهل نقيضان، فإذا وجد العلم انتفى الجهل، فإذا كانت نسبة العلم بالشيء تامة فيكون الجهل منعدماً، هذا يسمى اليقين. فإذا تساوى في الشيء طرفا الإثبات والنفي أو ما يعبر عنه بتساوي النقيضين فيسمى الشك،وهو ما يراد به تساوي جانب العلم والجهل بالشيء.فإن غلب جانب العلم فيسمى ظنّاً.

أولاً : الشك وما في معناه

١- الشك

هو: التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك[١]، قال أبو هلال العسكري: «الشك هو استواء طرفي التجويز ، وأصله في العربية من شككت الشيء إذا جمعته بشيء تدخله فيه ، واستخدم في اجتماع شيئين في الضمير ، وعليه فهو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر»[٢] قال الراغب الأصفهاني : «الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين أو لعدم الأمارة فيهما. والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود ، وربما كان في جنسه من أي جنس هو ، وربما كان في بعض صفاته، وربما كان في الغرض الذي لأجله أوجد .

(١) التعريفات ص١٣٤.

(٢) الفروق اللغوية ص ٧٩ (بتصرف).

والشك ضرب من الجهل ،وهو أخص منه، ويراد بطرفي التجويز: الإثبات والنفي، وهو بمعنى النقيضين، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً، فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً»[1] وقال أبو السعود[2]: «والـــشك كما يطلق على مالم يترجح أحد طرفيه ، يطلق على مطلق التردد وعلى مـــا يقابل العلم»[3]، قال تعـــالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ .... ﴾ [النساء: ١٥٧] ، فنسب إليهم الشك ونفى عنهم العلم مما يشير إلى أن الـــشك يعتبر من الجهل .

والشك مناف للإيمان كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ... ﴾ [سبأ: ٢١] أي إلا لنعلم من يـــؤمن ومن هو شاك أو من لا يؤمن[4].

٢- الريب

الريبة تعني قلق النفس وانتفاء الطمأنينة[5] قال الراغب : «الريـــب أن تتوهم بالشيء أمراً ما فينكشف عما تتوهمه»[6].

(١) المفردات ص ٢٦٥.

(٢) أبو السعود : محمد بن محمد العمادي ، مفسر أصولي شاعر من فقهاء الحنفية وعلماء الأتـــراك، ولد قرب القسطنطينية عام ٩١٩هـ وتوفي فيها عام ٩٨٢هـ (معجم المفسرين ٢/ ٦٢٥).

(٣) تفسير أبي السعود (٢/٢٥٠).

(٤) فتح القدير (٤/ ٣١٣).

(٥) فتح القدير (٢/ ٥١٩) وتفسير أبي السعود (٤/ ٢٢١).

(٦) المفردات ص ٢٠٥.

والقرآن الكريم ينفي الريب دائماً عن القضايا الكبرى كالساعة والكتاب، كما أنه ينفيه عن المؤمنين في جميع أحوالهم[(١)] قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] وقال: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [الحج: ٧] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ [الحجرات: ١٥].

كما أنه يوصف الكافرون والمنافقون بالريب ،كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٥].

وعليه فالريب غير الشك ، إذ الريب أشد وأخطر ، وقد وصفت بعض أنواع الشكوك بالريب ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠].

٣- الامتراء

قال أبو هلال العسكري : «الامتراء هو استخراج الشبه المشكلة ، ثم كثر حتى سمي الشك مرية»[(٢)] وقد فسرت المعاجم اللغوية الامتراء بالشك[(٣)] وكذلك فسرته بعض كتب التفسير،كما فسر الشوكاني[(٤)] في فتح القدير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الحج : ٥٥] أي في شك من القرآن[(١)] وقال أبو السعود : أي في شك وجدال[(٢)].

---

(١) انظر الفرق بين الشك والريب في إعجاز القرآن الكريم، د . فضل عباس ص ١٨٤. بلا تاريخ ولا مكان الطبع.

(٢) الفروق اللغوية ص ٨٠.

(٣) انظر القاموس المحيط ص ١٧١٩. ومختار الصحاح ص ٦٢٢.

(٤) الشوكاني: محمد بن علي ، أبو عبد الله ، فقيه أصولي محدث مفسر ، من كبار علماء اليمن، له مؤلفات كثيرة ، ولد في هجرة شوكان من بلاد خولان باليمن عام ١١٧٣ هـ وتوفي بصنعاء عام ١٢٥٠هـ (معجم المفسرين ٢/ ٥٩٣).

إلا أن الراغب اعتبر أن المرية أخص من الشك ، وإذا كان الشك هو التردد بين أمرين متناقضين فإن المرية هي مطلق التردد[٣].

لكن التأمل في هذه المفردة يجد أنها استخدمت في التردد رغم ظهور الحق وجلائه ، إذ استخدمت كثيراً في التردد في الحق : ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٧] و[آل عمران: ٦٠] وقال سبحانه: ﴿يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [هود: ١٧] أما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ ﴾ [الحج: ٥٥] من القرآن أو من الرسول ، فقد وصف بالمرية بعد ظهور الحق لديهم بما لا شك فيه. وقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡ ﴾ [فصلت: ٥٤] فنسبهم إلى المرية لكون اللقاء حق لا يجادل فيه إلا مكابر .وأما قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦ ... ﴾ [السجدة: ٢٣] ومعنى لقائه إما لقاء ما لقي موسى أو لقاء النبي ﷺ بموسى عليه السلام ، وأياً كان فهو وعد للنبي ﷺ بذلك والوعد حق لا مرية فيه لذا عبر بقوله : ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ ﴾ [هود: ١٧]، والله أعلم .

ثانياً :الظن

الظن هو عبارة عن إصابة المطلوب بضرب من الأمارة ، وقد يكون قوياً أو ضعيفاً ويقال له راجح ومرجوح ، قال الراغب : «وأما الظن فإصابة

(١) فتح القدير (٣/ ٤٦١).

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ١١٤).

(٣) المفردات ص ٤٦٧.

المطلوب بضرب من الأمارة ، ولما كانت الأمارات مترددة بين يقين وشك ، فتقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك جاز تفسير أهل اللغة بهما .

فمتى رئي إلى طرف اليقين أقرب استعمل أن المثقلة والمخففة منها ، نحو قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١] ومتى رئي إلى طرف الشك أقرب استعمل معه أنْ التي للمعدومين من الفعل ، نحو أن تخرج وأن خرجت .

وإنما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] لأمرين : أحدهما : تنبيه إلى أن علم أكثر الناس في الدنيا بالإضافة إلى علمه في الآخرة كالظن في جنب العلم . والثاني : أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنبيين والصديقين المعنيين بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥].

والظن متى كان عن أمارة قوية فإنه يمدح به ، ومتى كان عن تخمين لم يعتمد ذمَّ به ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] »[1].

وعليه ، فقد يقع الظن بمعنى اليقين لأمر بياني كما في الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، قال الشوكاني: «والظن هنا عند الجمهور بمعنى اليقين، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠] وقوله : ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] »[2].

---

(١) الذريعة ص ١٨٦ وانظر المفردات ص ٣١٦ –٣١٧.

(٢) فتح القدير (١/ ١٤١).

وفرق أبو هلال العسكري بين العلم والظن فقال : «يجوز أن يكون المظنون على خلاف ما هو ظنه ولا يحققه ، والعلم يحقق المعلوم»(١).

ثالثاً: اليقين

اليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، ويكون ذلك عندما تنتفي جميع الشكوك والارتيابات . ويختلف اليقين عن الطمأنينة بأن الطمأنينة إنما هي سكون بعد انزعاج(٢).

واليقين نوع من العلم يحصل به سكون الفهم ، قال الراغب : «اليقين من صفة العلم،فوق المعرفة والدراية وأخواها ... وهو:سكون الفهم مع ثبات الحكم»(٣) وعرفه أبو هلال العسكري بقوله : «هو سكون النفس وثلج الصدر بما علم»(٤) وعرفه البيضاوي(٥) بقوله: «واليقين إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً»(٦). وعرفه الجرجاني بقوله: «العلم الذي لا شك معه»(٧). ولذلك لا يجوز وصف علم الله سبحانه بذلك(٨).

---

(١) الفروق اللغوية ص ٨٠ .

(٢) المفردات ص ٣٠٧.

(٣) المفردات ص ٥٥٢.

(٤) الفروق اللغوية ص ٦٣.

(٥) البيضاوي : عبد الله عمر البيضاوي الشيرازي ، قاض مفسر عالم بالفقه والعربية والحديث ، من أعيان الشافعية ، له تفسير مشهور عليه حواش كثيرة ، توفي بتبريز من إيران عام ٦٨٥هـ (معجم المفسرين ١ / ٣١٨).

(٦) تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التتريل وأسرار التأويل) (١/ ٦٢) مؤسسة شعبان،بيروت،(بلا تاريخ).

(٧) التعريفات ص٢٨٠.

(٨) الفروق اللغوية ص ٦٣ وتفسير البيضاوي (١/ ٦٢).

وقد وصف سبحانه إيمان المؤمنين المتقين باليقين ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] ووصف الكافرين بأنهم لا يوقنون ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠] ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٦].

واليقين وصف قد يوصف به الحق فيقال حق اليقين ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥] وقد صف به الإيمان ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] وقد يوصف به الشيء الذي لا شك فيه ، فوصف الموت بذلك ، ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] كما وصف به اليوم الآخر ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٤٦ – ٤٧].

وكذلك يوصف العلم باليقين ،فقد يسمى النبأ باليقين ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] والرؤية كذلك ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٧] وكذا العلم ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٥].

وعليه فاليقين قد يكون وصفاً للعمل ولغيره ، لكن اليقين يكون عندما تنتفي جميع الشكوك والأوهام .

المبحث الثالث

الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق النقل

أولاً :الخبـــر

عرف الراغب في : (المفردات) الخبر بأنه العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر ... وقيل : الخبرة المعرفة ببواطن الأمور(١) وقال في كتابه (الذريعــة): «وأما الخبر فالمعرفة المتوصل إليها من قولهم : خبرته أي أصبت خبره ، وقيل : هو من قولهم :ناقة خبيرة وهي المخبرة عن غزارتها أي غزيرة اللبن ، فكــأن الخبر هو غزارة المعرفة»(٢) وقال أبو هلال العسكري : «الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها ، ففيه معنى زائد على العلم»(٣). وقال الجرجــاني: «هو الكلام المحتمل للصدق والكذب»(٤).

لكن القول بأن الخبر هو العلم ببواطن الأمور ودقائقهــا هــو الأولى ، وذلك لأن الله سبحانه وصف نفسه بأن عليم خبير ، فقد جمع بــين العلــم والخبرة ، وفسرت صفة الخبير بأنه العلم ببواطن الأمور ، وذلك جمعــاً بــين الصفتين ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥] وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] وقد فسر ذلك بأنه العلم بالظواهر والبواطن(٥).

---

(١) المفردات ص ١٤١.

(٢) الذريعة ص ١٨٥.

(٣) الفروق اللغوية ص (٧٤).

(٤) التعريفات ص١٠١.

(٥) انظر تفسير أبي السعود (٢ /١٧٥). وروح المعاني للألوسي (٥/ ٢٧).

ثانياً : النبـــأ

النبأ هو خبر ذا شأن ، واشترط له الراغب الأصفهاني ثلاثـــة شـــروط حتى يكون نبأ ، وهي :أن يكون خبراً ذو فائدة يحصل به علم أو غلبة ظـــن، قال الراغب : «النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظـــن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة . وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليـــه الصلاة والسلام .

ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال أنبأته بكذا، كقولك أخبرته بكذا. ولتضمنه معنى العلم قيل أنبأته كذا كقولك أعلمته كذا»(١). قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧ – ٦٨] وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النبـأ: ١– ٢] ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ [هـــود: ٤٩] ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ﴾ [الأعراف: ١٠١]... فكلها أنباء ذات شان عظيم وفيها الخبر الصادق...

وقولـــه تعـــالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ ﴾ [الحجـرات: ٦] فيه تنبيه على أنه إذا كان الخبر شيئاً عظيماً له قدر فحقه أن يتوقف فيه وإن علم وغلب صحته على الظن حتى يعاد النظر فيه ويتـــبين فضل تبين(٢).

ونّبأ أبلغ من أنبأ ، كما في الآيـــة :﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[التحريم: ٣] فلم يقل أنبأني بل قال نبأني الذي هو أبلغ تنبيهاً على

(١) المفردات (٤٨١).

(٢) انظر روح المعاني (٢٦ / ١٤٥) والمفردات ص ٤٨١.

تحقيقه وكونه من قبل الله .

ثالثاً : الإلهام

الإلهام هو إلقاء المعلومة في الروع أي القلب ، قال الراغب : «الإلهام إلقاء الشيء في الروع ، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى كقوله عليه السلام : ((**إن روح القدس نفث في روعي**)) [1] وأصله من التهام الشيء أي ابتلاعه»[2].

ولم يرد الإلهام إلا في موطن واحد في القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ [الشمس: ٨] أي أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت[3]، وذكر الشوكاني بعض الأقوال في بيان معنى الإلهام في الآية فقال: «قال ابن زيد[4]: جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور . واختار هذا الزجاج[5]، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان . قال الواحدي[1]: وهذا

(١) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم (٢٢٧٣) ونسبه لأبي نعيم في الحلية ورمز له بالضعف . ونسبه المناوي في فيض القدير (٢ / ٥٧٢) للطبراني وابن أبي الدنيا والحاكم عن ابن مسعود وللبيهقي في المدخل وقال : منقطع. لكن صححه الألباني في فقه السيرة للغزالي ص ٩٦ لتعدد طرقه وكذا في صحيح الجامع رقم (٢٠٨٥).

(٢) المفردات ص ٤٥٥.

(٣) تفسير أبي السعود (١٦٤/٩).

(٤) ابن زيد: أحمد بن محمد بن أحمد، شهاب الدين، أبو العباس، محدث مفسر له اشتغال بالتاريخ من علماء الحنابلة، ولد عام ٧٨٩ هـ، وتوفي عام (٨٧٠هـ) (معجم المفسرين ٧٢/١).

(٥) الزجاج: إبراهيم بن السري ، أبو إسحاق الزجاج ، نحوي لغوي مفسر ، ولد في بغداد عام ٢٤١هـ وتوفي عام ٣١١هـ (معجم المفسرين ١/ ٧٢).

هوالوجه لتفسير الإلهام ،فإن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام ، والإلهـــام أن يوقع في قلبه ويجعل فيه»[٢].

رابعاً : الوحي

يطلق الوحي عادة على الكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه ، إما برسول مشاهد ، أو بسماع كلام ، أو بالإلهــام والإلقــاء في الــروع ، أو بتسخير، أو بمنام .

وأصل الوحي في اللغة الإشارة السريعة ، وقد يكون ذلك بالكلام أو الإشارة أو الكتابة . قال الراغب الأصفهاني : «أصل الوحي : الإشارة الــسريعة ... وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مـريم: ١١] فقد قيل: رمز ... وقيل : كتب ...

وقولــه : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعـام: ١٢١] فــذلك بالوسواس المشار إليه بقوله : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤].

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي ، وذلك أضرب حسبما دل عليه قولــه : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ إلى قولــه : ﴿بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الـشورى: ٥١] وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويــسمع

---

(١) الواحدي : على بن أحمد ، أبو الحسن الواحدي ، أوحد عصره بالتفسير وعالم بالأدب ، ولــد بنيسابور وتوفي فيها عام ٤٦٨هـ (معجم المفسرين ١ / ٣٥٢).

(٢) فتح القدير (٥ / ٤٤٦).

كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي في صورة معينة، وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله ،وإما بإلقاء في الروع كما ذكر ﷺ : ((**أن روح القدس نفث في روعي**))[1]، وإما بإلهام نحو : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وإما بتسخير نحو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أو بمنام كما قال ﷺ: ((**انقطع الوحي وبقيت المبشرات : رؤيا المؤمن**))[2] فالإلهام والتسخير والمنام دل عليه قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] وتبليغ جبريل في صورة دل عليه قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١]»[3].

وقد ذكر القرطبي[4] في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) أن الوحي في كلام العرب هو الكتابة[5] لكن هذا التفسير إنما هو لبعض أنواع الوحي، قال في القاموس المحيط : «الوحي : الإشارة ، والكتابة، والمكتوب ،والرسالة، والإلهام ،والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك ، والصوت يكون في الناس وغيرهم»[6].

---

(١) سبق تخريجه في الفقرة السابقة.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، لكن ورد نحوه عند البخاري رقم (٦٩٩٠) بلفظ: ((لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة)).

(٣) المفردات ص ٥١٦.

(٤) القرطبي : محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله ، من كبار المفسرين محدث صالح متعبد، من أهل قرطبة، استقر بمصر وتوفي فيها عام ٦٧١هـ (معجم المفسرين، ٢ / ٤٧٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨٥).

(٦) القاموس المحيط ص ١٧٢٩.

خامساً : القراءة وما في معناها

استخدم القرآن الكريم ألفاظ :القراءة والتلاوة والترتيل والدراسة . وإليك بيانها.

١- القراءة

القراءة في الأصل اللغوي تأتي بمعنى الضم ، وهي بمعنى : «ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل»(١) قال تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] قد ذهب البعض إلى تفسير القراءة بمعنى الجمع والضم(٢) إلا أن الجمع غير القراءة، ولعل معنى الجمع هو جمع الشيء المتفرق دون ترتيبه،أما القراءة فهو جمعه مرتباً، ولذا تفسيره بمعنى الضم أو الجمع المرتب أولى.

ومعنى الآية أن المراد بجمعه هو ألا يذهب منه شيء، والقرآن هو تثبيته مرتبا متوالياً كما هو في اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

٢- التلاوة

التلاوة أخص من القراءة ، ولعلها تفيد معنى القراءة التي فيها معنى الاتباع ، لأن أصل التلاوة المتابعة ، قال الراغب : «تلى : تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها ، وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم ... وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى ... والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام، لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك . وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة

(١) المفردات ص ٤٠٢.

(٢) القاموس المحيط ص ٦٢.

تلاوة»[1].

٣- الترتيل

الترتيل هو: «رعاية الولاء بين الحروف المركبة»[2] وهو في الأصل التنسيق والتنضيد، وهو بمعنى إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة[3]، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] قال القرطبي : «أي لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني»[4].

٤- والدراسة

والدراسة تعني القراءة المستمرة أو المتكررة ،وأصله يعطي بقاء الأثر الذي يقتضي الانمحاء ، قال الراغب : «درس الدار معناه بقي أثرها ، وبقاء الأثر يقتضي انمحاءه في نفسه فلذلك فسر الدروس بالانمحاء ، وكذا درس الكتاب ، ودرست العلم تناولت أثره بالحفظ ، ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس»[5].

قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] أي تداومون على قراءته. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ...﴾ [الأعراف: ١٦٩] أي قرؤوه فهم ذاكرون لذلك[6].

---

(١) المفردات ص ٧٥.

(٢) التعريفات ص٥٧.

(٣) المصدر السابق ص١٨٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/٣٧) وانظر المفردات (١٨٧).

(٥) المفردات (١٦٧).

(٦) روح المعاني (٩ / ٩٧).

المبحث الرابع

الألفاظ التي تدل على العلم عن طريق الحواس

تصل المعلومات إلى العقل عن طريق الحواس ، ثم يقوم العقل بمعالجتها والاستنتاج منها. وهذه الحواس هي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

والإحساس هو إدراك المعلومات عن طريق الحواس . وقد استخدم القرآن الكريم كلمات الحس والجس والشعور . وعليه فننظر في استخدام القرآن لهذه الكلمات .

أولاً :الحس

١- الحسّ

هو: الإدراك بالحاسة، والحاسة هي القوة التي تدرك بها الأعراض الحسية، وهي المشاعر الخمس ، وهي : السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

وقد اعتبر أبو هلال العسكري أن الحس ما يدرك من أول وهلة وهو أول العلم ، فقال : «الحس هو أول العلم ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي علمه في أول وهلة» ثم قال : «وتسمية العلم حساً وإحساساً مجاز ، ويسمى بذلك لأنه يقع مع الإحساس ، والإحساس من قبيل الإدراك»[١] .

وقوله إن الحسّ هو أول العلم ، لعل الأولى أن يقال هو سبيل إلى العلم.

ولكن الراغب الأصفهاني أشار إلى أن التعبير بالإحساس فيه أمر أدق من الفهم ، فقال : «الحاسة القوة التي بها تدرك بها الأعراض الحسية ، والحواس

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧١.

المشاعر الخمس ... وأحسسته أدركته بحاستي ... وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] فتنبيه أنه قد ظهر منهم الكفر ظهوراً بان للحس فضلاً عن الفهم، وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢]»(١) قال أبو السعود في بيان معنى قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ [الأنبياء: ١٢]: «أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس»(٢).

وقوله تعالى حاكياً قول يعقوب عليه السلام : ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧] أي اسلكوا للتعرف عليه ومعرفة خبره أي وسيلة من وسائل الإدراك، عن طريق السمع أو النظر أو الشم أو الذوق أو اللمس.

والحس معناه ألا تبقي له أثراً يحس بأي وسيلة من وسائل الإدراك فعبر عنه بالقتل ، قال تعالى : ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢] أي تستأصلوهم استئصالاً بحيث لا يبقى لهم أي أثر يدرك بالحواس .

وكذا قوله تعالى: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨] ولكون النار تأكل الأخضر واليابس ولا تبقي منه شيئاً سمي إحراقها بالحس، فقال: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

٢- الجسّ

الجسّ أدق من الحسّ ، لأن الجسّ هو التعرف على ما كان مستوراً، أما الحسّ فليس بذلك، وقد ورد لفظ الجسّ في مكان واحد في القرآن الكريم،

---

(١) المفردات ص ١١٦.

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ٥٨).

وهو : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢].

وعليه فالجسّ أدق من الحس ، ولذلك سمي الجاسوس بذلك لكونه يطلع على ما كان مخفياً ولا ينبغي له الاطلاع عليه .

ولذلك ورد النهي عن التجسس ،والمراد به عدم تتبع عورات المسلمين ومعايبهم ، قال النسفي[١] في تفسيره : «﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم . يقال : تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه ، تفعل من الجسّ . وعن مجاهد[٢]: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله . وقال سهل[٣]: لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده»[٤].

٣- الشعور

الشعور هو الإدراك الدقيق بواسطة الحواس .وأصله من الشعر ،وسمي بذلك لدقته كالشعر ، قال الراغب : «شعرت :أصبت الشعر ، ومنه استعير شعرت كذا أي علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته. فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت

---

(١) النسفي :عبد الله بن أحمد ، أبو البركات ، مفسر متكلم أصولي من فقهاء الحنفية ، نسبته إلى (نسف) من بلاد السند ، رحل إلى بغداد ، من كتبه (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) توفي عام ٧١٠ هـ (معجم المفسرين ١/ ٣٠٤).

(٢) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي ، مولاهم المكي ، ثقة ، إمام في التفسير والعلم ، مات سنة ١٠١هـ تقريباً (تقريب التهذيب ص ٤٥٣).

(٣) سهل بن عبد الله التستري ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال ، ولد بتستر عام ٢٠٠هـ وسكن البصرة وتوفي فيها عام ٢٨٣هـ (معجم المفسرين ١ /٢١٨).

(٤) تفسير النسفي (٢ /٥٨٦).

شعري، صار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام... والمشاعر: الحواس ، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥] ونحو ذلك معناه : لا تدركونه بالحواس»[١].

٤- القص

والقص هو تتبع الأثر لمعرفة الخبر[٢] ،قال تعالى : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١].

ثانياً : ألفاظ الرؤيـــة

استخدم القرآن الكريم ألفاظ:الإبصار والنظر والرؤية ونحوها.وإليك بيانها.

١- البصر

البصر اسم للرؤية ، وقد يطلق على العين مجازاً بوصفها أداة الإبصار، ويسمى العلم بالشيء إذا كان جلياً بصراً ،قال أبو هلال العسكري :«البصر اسم الرؤية... ويسمى العلم بالشيء إذا كان جلياً بصراً ، يقال : لك فيه بصر ، يراد أنك تعلمه كما يراه غيرك»[٣]، وقال الراغب : «البصر يقال للجارحة الناظرة ... وللقوة التي فيها .ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ، نحو قوله تعالى : ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]... وجمع البصر أبصار ، وجمع البصيرة بصائر ... ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة .

---

(١) المفردات ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٤.

(٣) الفروق اللغوية ص ٦٥.

ويقال من الأول :أبصرت ، ومن الثاني :أبصرته وبصرت به . وقلما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب...

والضرير يقال له بصير على سبيل العكس ، والأولى أن ذلك يقال لما له من قوة بصيرة القلب ، لا لما قالوه ، ولهذا لا يقال له مبصر وباصر(١).

٢- النظر

النظر هو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يستخدم في غير ذلك قال الراغب: «النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشي ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرَّوِيّة... ويقال : نظرت إلى كذا ، إذا مددت طرفك إليه -رأيته أو لم تره- ونظرت فيه إذا رأيته وتدبرته»(٢).

وعليه فالنظر هو تقليب البصر أو إطالته ، أما البصر فهو رؤية بالعين دون تأمل وتقليب . وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [التوبة: ١٢٧] وقوله : ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ [المدثر: ٢١ – ٢٢] كلها تشير إلى الرؤية بالعين رؤية فيها تقليب بصر وتأمل . قال أبو السعود : «﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ أي في القرآن مرة بعد مرة»(٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فقد استخدم في هذه الآية فعل الرؤية والنظر والبصر.

---

(١) المفردات ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٧.

(٣) تفسير أبي السعود (٩ / ٨٥).

وهذه الآية قيل: إن المراد بقوله: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ...﴾ يعني الأصنام، وقيل المراد بذلك المشركون[1]، فأما قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي يخيل إليك أن هذه الأصنام تنظر إليك أي تقلب بصرها فيك، قال أبو حيان[2]: «بمعنى أنهم صوروهم ذوي أعين ،فهم يشبهون من ينظر ومن قلب حدقته للنظر ، ثم نفى عنهم الإبصار»[3].

أقول :نفى عنهم الإبصار فضلاً عن النظر ، فإن من نفي عنه الإبصار فقد نفي عنه النظر ، وهذا سواء كان المراد بها الأصنام أم المشركون ،فإن الأصنام لا تبصر حقيقة ، وكذلك المشركون والكافرون فإنهم لا يبصرون، قال تعالى:﴿ ...وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩] قال الشوكاني:«فإن الذي انتفى من الأعين هو إبصار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار، وإن كانت مبصرة في غير ذلك»[4]،كما أنه أتى بفعل الرؤية ﴿وَتَرَىٰهُمۡ﴾ لأن الرؤية بصرية وقلبية وكأنه يريد الأمرين معاً ، أي يخيل إليك إذا رأيتهم بنظرك وبقلبك ...

٣- الرؤية

الرؤية هي إدراك المرئي ، سواء كان بالبصر وهو الأصل في الاستعمال ، أو بالقلب. والرؤية البصرية تحتاج لمفعول واحد ، فإذا عدي فعل النظر بإلى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٣٤٤) واختار الطبري أن المراد بها الأصنام (جامع البيان للطبري ٩ /١٥٢).

(٢) أبو حيان : محمد بن يوسف ،نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، ولد بالأندلس عام ٦٥٤هـ ، وتنقل بالبلدان ثم توفي بالقاهرة عام ٧٤٥هـ (معجم المفسرين٢ /٦٥٥).

(٣) تفسير البحر المحيط (٤/٤٤٤) وانظر روح المعاني (٩/١٤٦) وفتح القدير (٢ /٢٩٣).

(٤) فتح القدير (٢ /٢٨١).

اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار ، أما الرؤية القلبية فتتعدى لأكثر من مفعول وتقتضي معنى العلم، ولعله يفيد معنى الظن. قال أبو هلال العسكري : «والرؤية في اللغة على ثلاثة أوجه ، أحدها العلم ،وهو قوله تعالى : ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٧] أي نعلمه يوم القيامة، وذلك أن كل آت قريب، والآخر بمعنى الظن، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ [المعارج: ٦] أي يظنونه ... واستعمال الرؤية في هذين الوجهين مجاز ، والثالث رؤية العين وهي حقيقة »[١]. أما الراغب الأصفهاني فاعتبر أن « الرؤية هي إدراك المرئي ، وذلك أضرب بحسب قوى النفس ، والأول : الحاسة وما يجري مجراها ... والثاني بالوهم والتخيل ... نحو قوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] والثالث بالتفكر نحو : ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] والرابع بالعقل ، وعلى ذلك قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]... ورأى إذا عدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم ، نحو : ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]... ويجري ﴿أَرَءَيْتَ﴾ [الكهف: ٦٣] مجرى أخبرني ... والرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن، وعلى هذا قوله : ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[آل عمران: ١٣].

وعليه فالراغب الأصفهاني قسم الرؤية إلى :رؤية بصرية بالعين ، ورؤية بالوهم والتخيل ، ورؤية بالتفكر ، ورؤية بالعقل . فأما الرؤية بالوهم والتخيل فاستشهد لها بقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] ولا أرى أن الرؤية هنا من باب التوهم والتخيل، وذلك أن (لو) التي للامتناع ترد المضارع ماضياً، والمعنى – والخطاب للنبي ﷺ –: إنك لو رأيت كيف يتوفى

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧٥.

الذين كفروا الملائكة لرأيت أمراً فظيعاً[1].

وأما اعتباره أن من الرؤية ما هو بالتفكر واستشهد له بقوله : ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] فلعل فيه شيئاً من البعد ، لأن إبليس رأى نزول الملائكة وأنها تقاتل مع المؤمنين فولى هارباً وتبرأ منهم وقال إني أخاف الله ، فرؤيته رؤية بصرية حقيقية، والله أعلم .

وأما الرؤية الرابعة فهي بالعقل ، واستشهد لها بقوله : ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] ولعل فيه بعداً ، فالفؤاد هو القلب ، ومعنى الآية هي : أنه ما كذب قلب النبي ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام :« أي ما قال فؤاده ﷺ لما رآه ببصره لم أعرفك ،ولو قال ذلك لكان كاذباً ،لأنه عرف كما رآه ببصره»[2] ويدل على ذلك قراءة من قرأ ﴿ما كذّب﴾ بالتشديد للذال[3]، فالرؤية بصرية ، ولا مانع من كونها قلبية ، وهذا إذا كان المرئي جبريل ،فإن كان الله فلا بد أن تكون قلبية .

وعليه فالأولى أن يكون تقسيم الرؤية إلى بصرية بالعين وقلبية ، والرؤية القلبية تفيد معنى العلم والعلم يطلق على الظن واليقين .

٥- الطرف

الطّرَف هو جانب الشيء ،والطرف - بتسكين الراء - قال عنه الراغب إنه تحريك الجفن، وعبر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن لازمه النظر[4].

---

(١) روح المعاني (١٠ / ١٦).

(٢) روح المعاني (٢٧ / ٤٩).

(٣) المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ص ٣٤٥.

(٤) المفردات ص ٣٠٢.

لكن قد لا توجد علاقة قوية بين الاستعمال اللغوي وهو جانب الشيء وبين تحريك الجفن الذي يفيده معنى الطرف - ولعل الأولى أن يفسر الطرف بالنظرة الجانبية ،لأن العين إن نظرت بها بشكل كامل يقال له تحديق ، وإن كانت النظرة جزئية وجانبية يقال له طرف ، ولعل هذا هو الأولى في تفسير قوله تعالى : ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وكذا قوله: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨] أي يقصرن نظرهن على من هُيِّئن له، ولا تجد منهن أي نظرة جانبية لآخرين، وكذلك قوله : ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] أي نظرة جانبية .

٥- اللمح

واللمح هو النظر بسرعة ، أي الرؤية الخاطفة ، يقال : لمحته في مكان كذا، أي رأيته رؤية خاطفة. ويفهم من كلام الراغب الأصفهاني أنه اعتبر اللمح بمعنى الوضوح، فقال: « اللمح لمعان البرق، ورأيته لمحة البرق، قال تعالى: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] ويقال : لأرينك لمحاً باصراً أي أمراً واضحاً»[١].

إلا أن اعتبار أن اللمح هو النظرة السريعة أولى ، وهو ما فسره الشوكاني في تفسيره، فقال: «اللمح : النظر بسرعة »[٢] وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] أي الساعة أو جميع الأمور إلا مرة واحدة سريعة كلمح بالبصر في سرعته[٣].

(١) المفردات ص ٤٥٤.

(٢) فتح القدير (٣ / ١٨٦).

(٣) فتح القدير (٥ / ١٢٨) وتفسير أبي السعود (٨ /١٧٥).

ثالثاً : ألفاظ السمع

استخدم القرآن الكريم لفظ الأذن والسماع وقد يستخدم في اللغة الإصغاء بمعنى السماع ، وإليك ألفاظ السماع .

١- الأذن

الأُذُنُ آلة السمع ويقال لمن كثر استماعه أذن ، وقد يستخدم الإذن والأذان ونحوه بمعنى العلم الذي يتوصل إليه بطريق السماع ،ومنه ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي فاعلموا ،والإذن في الشيء هو إعلام بإجازته . قال الراغب: « الأذن الجارحة ... ويستعار لمن كثر استماعه وقوله لما يسمع ،قال تعالى :﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] أي استماعه لما يعود بخيركم،وقوله :﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] إشارة إلى جهلهم لا إلى عدم سمعهم . وأذن : استمع ، نحو قوله :﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢] ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع نحو قوله: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، والإذن والأذان لما يسمع ، ويعبر بذلك عن العلم إذ هو مبدأ كثير من العلم فينا ... والمؤذّن كل من يعلم بشيء نداء، قال: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف: ٧٠]، والإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه...»(١).

٢- السمع

السمع هو القوة التي تدرك بها الأصوات ، وقد يستخدم في الأذن ذاتها بوصفها أداة السمع ، وقد يعبر به عن الفهم إذ السمع سبيل إلى الفهم،وقد

(١) المفردات ص ١٤.

يعبر به عن الطاعة إذ السمع سبيل إلى الفهم والفهم سبيل إلى الطاعة ، فمن التعبير بالسمع عن الأذن ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] ومن التعبير عن الفهم والطاعة: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩٣]و﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد وصف الله سبحانه نفسه بصفة السمع ، فقال : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨] ، وسمعه سبحانه ليس كسمع المخلوقات، فهو يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

٣- الإصغاء

قد يستخدم فعل الإصغاء بمعنى السمع الدقيق الذي فيه تركيز على المسموع، لكن القرآن الكريم استخدم فعل الإصغاء بمعنى الميل ،ولعل المصغي أي المستمع يميل بإحدى أذنيه إلى طرف الصوت، فصار يستخدم بمعنى الميل، لكن الظاهر أن القرآن الكريم استخدمها بما ليس فيه سمع، فقال : ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وقال : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [الأنعام: ١١٣] لذا فسرها الراغب بالميل[(١)].

٤- الإنصات:

ويراد به السكوت لأجل الاستماع، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. قال القرطبي: «والإنصات: لسكوت للاستماع»[(٢)]. وقال ابن عاشور:والإنصات الاستماع مع ترك الكلام،

---

(١) المفردات ص ٢٨٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/٧.

فهذا مؤكد (لا تسمعوا) [(١)] مع زيادة معنى[(٢)].

رابعاً : اللمس

اللمس هو إدراك بظاهر البشرة ، وأصله ما كان باليد، لأن اليد أداة اللمس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [الأنعام: ٧]، فاللمس لا يكون إلا باليد ، لكنه ذكرها هنا لزيادة التعيين، ونفي احتمال المجاز[(٣)] وهذا لبيان شدة صلابتهم بالكفر، أي لو أتيناك بكتاب يلمسونه بأيديهم إضافة لما يرونه ويشاهدونه، فتجتمع لهم إدراك حاستي البصر واللمس لقالوا هذا سحر مبين . وهذا مثل ما يقول القائل: لا أصدق حتى ألمسه بيدي، وكأن اللمس نهاية المطاف للإدراك اليقيني ، ومع ذلك لو فعلنا لم يؤمنوا .

أما قوله تعالى حاكياً عن الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن: ٨٤] ، فقد عبر عن ذلك بفعل اللمس للإشارة إلى أنهم بحثوا بكل حواسهم ليجدوا منفذاً يريدون أن ينفذوا منه لاستراق السمع فلم يجدوه، كأنهم نظروا بأبصارهم وآذانهم واستعملوا عقولهم وكذا أيديهم لإيجاد منفذ ينفذون منه ؛ فلم يجدوا .

وقد يكنى بالملامسة عن الجماع ، كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [النساء: ٤٣]، لما فيه من تمام الملامسة والملازمة ،بحيث تكون الملامسة بأكثر أعضاء الجسم إضافة إلى اليد.

---

(١) كذا في المطبوع ولعله تصحيف (لاستمعوا)

(٢) التحرير والتنوير ٨/٤١٠.

(٣) تفسير أبي السعود (٣ / ١١٢).

وقد عرف الراغب الأصفهاني اللمس بقوله : « اللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس ،ويعبر به عن الطلب .. »[١] وقال أيضاً : « اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد ،كما قال الشاعر : «وألمسه فلا أجده»[٢].

فذلك ليس على إطلاقه ، ولو قيل إنه ونظائره يستخدم للطلب باليد لكان أولى ، ويكون معنى قول الشاعر : «وألمسه» أي أطلبه بكل حواسي حتى بيدي ، لكان أولى.

(١) المفردات ص ٤٥٤.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦٧.

المبحث الخامس
الألفاظ التي تدل على العلم بواسطة المحاكمة العقلية

١- العقل

يراد بالعقل تلك القوة المتهيئة لقبول العلم ، وقد يراد به العلم الناتج عن العقل ، والعقل عقلان : غريزي فطري ، والآخر مكتسب، والمكتسب ضربان : أحدهما بالتجارب الدنيوية والمعارف الكسبية ، والثاني بالعلوم الأخروية والمعارف الإلهية[١]، والعاقل الحقيقي من عمل لما بعد الموت ، كما في الحديث : ((**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**))[٢].

وأصل العقل في اللغة الإمساك ، وسمي العقل بذلك لأنه يمسك بصاحبه، ويمنعه من التصرف غير السليم . قال الراغب : «العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ... وإلى الأول أشار ﷺ بقوله : ((**ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل**))[٣]، وإلى الثاني أشار بقوله : ((**ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردىً**))[٤]، وهذا العقل هو المعنى بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) الذريعة ص ١٧٢.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥٩) كتاب القيامة (٢٥).

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بسند ضعيف (إحياء علوم الدين ١ /١٢٦) وورد بنحوه في مجمع الزوائد ونسبه للطبراني في الأوسط وقال : فيه الفضل بين عيسى الرقاشي وهو مجمع على ضعفه (مجمع الزوائد ٨ /٦٠).

(٤) لم أجده.

وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فأشار إلى الثاني دون الأول نحو .. ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]... وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول»[١].

وعليه فإن قيل بأن العقل هو العلم أو علم معين[٢]، فإنما هو على سبيل المجاز؛ لأن العقل هو مصدر العلم، ويراد به العلم الناتج عن استخدام العقل؛ لأن العلم قد يصل للإنسان بوسائل لا أثر للعقل في اكتسابها كالإلهام.

٢- الفهم :

الفهم هو إدراك المعنى ، سواء كان كاملاً أو إشارة أو قراءة ونحوه . وعدم الفهم مرده، إما لبلادة العقل أو لغموض الشيء أو لعدم الخبرة . والاستفهام هو أن يطلب من غيره أن يفهمه ، قال الراغب : «الفهم هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحس ، يقال : فهمت كذا ،وقوله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وذلك إما بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك، وإما بأن ألقى ذلك في روعه ، أو بأن أوحى إليه وخصه به»[٣].

وعليه فإن الله سبحانه قد يعطي من قوة الفهم إنساناً ما لا يعطيه لآخر، كما أعطى الخضر صاحب موسى عليه السلام ما لم يعطه لموسى .

والفهم لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة في الآية المشار إليها .

---

(١) المفردات ص ٣٤٢.

(٢) القاموس المحيط ص ١٣٣٦.

(٣) المفردات ص ٣٨٦.

٣- الفقه

عرف أبو هلال العسكري الفقه بأنه العلم بمقتضى الكلام على تأمله[١] وعرفه الراغب الأصفهاني بأنه التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد[٢] ولعل القول بأن المراد به هو الفهم الدقيق للأشياء، لكان أولى، وقد يكون أنسب في تفسير الآيات، ويقصد به الفهم الذي فيه إحاطة بالموضوع من جوانبه. ولذلك استخدمت كلمة الفقه للعلم بأمور الدين وفروعه الفقهية، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ...﴾ [التوبة: ١٢٢] حيث قال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ للإشارة إلى تمكنهم من العلم والإحاطة بفروعه الدقيقة . وسمي العلم بالفروع الشرعية فقهاً لكونه يغلب عليه ورود أكثر من قول في الكثير منها ، وفي بعضها شيء من العلة ، إضافة لأدلتها المتعارضة ، لذا لا يمكن الخروج منها برأي معتمد إلا بفهم دقيق لها ومعرفة أدلتها والترجيح فيما بينهما.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي لا تفهمون حقيقة تسبيحهم ، فإنه علمنا شيئاً من تسبيح الجمادات ، كتسبيح الجبال مع داود عليه السلام وتسبيح الحصى في يد النبي ﷺ ، وتسبيح الطعام وهو يؤكل[٣] إلا أن الفهم التام لتسبيح الجمادات غير معروف لدينا . إننا نعلم أن الجمادات تسبح لكننا لا نفقه هذا التسبيح .

---

(١) الفروق اللغوية ص ٦٩.

(٢) المفردات ص ٣٨٤.

(٣) انظر البخاري (٣٥٨٤) المناقب باب (٢٥).

وهذا ما يفسر كثيراً مـــن المفـــردات: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود: ٩١] ﴿ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨].

٤- التفكر

الفكرة قوة مُطْرِقة للعلم إلى المعلوم ، وهو تخيل عقلـــي في الإنـــسان . والتفكر جولان تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل . والتفكر لا يكون إلا فيما له ماهية بما يصح أن يجعل له صورة في القلب مفهومة(١) ولـــذلك ورد في الحديث ((**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله**))(٢).

وفسر التفكر بالتأمل(٣) كما فسر بإعمال النظر في الشيء(٤) وهـــو إلى التأمل أقرب ولعل المراد به هو التأمـــل الموصـــل إلى الحقيقـــة ، كمـــا قـــال ســـــبحانه: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٥- التدبر :

التدبر هو النظر في عواقب الأمور وما آلت إليه ، مأخوذ من النظـــر في دبر الأمور، قال الجرجاني: «التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمـــور، وهـــو

---

(١) الذريعة ص ١٩٤.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٥٦) والبيهقي في شعب الإيمان (١ /١٣٦) رقم (١٢٠) عن ابن عمر مرفوعاً، وروى من طرق أخرى بألفاظ تختلف قليلاً ، وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يقويها (كـــشف الخفاء ١ /٣١١ رقم ١٠٠٥) وأورده الألباني في الصحيحة رقم (١٧٨٨) وحكم عليـــه بأنـــه حـــسن بمجموع طرقه.

(٣) مختار الصحاح ص ٥٠٩.

(٤) القاموس المحيط ص ٥٨٨.

قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»[1]. قال الشوكاني : «يقال : تدبرت الشيء تفكرت في عاقبته ، ثم استعمل في كل تأمل»[2].

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

٦- التذكر

التذكر هو استعادة ما قد استثبته القلب فانمحى عنه بنسيان أو غفلة[3] والذكر هو وجود الشيء في القلب أو اللسان[4]، وقيل إن الذكر ذكران:«ذكر بالقلب وذكر باللسان ، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان ، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ ... والذكرى كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر... والتذكرة ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والأمارة...»[5].

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقال تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) التعريفات ص٥٦.

(٢) فتح القدير (٥٨١/١).

(٣) الذريعة ص ١٩٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٩٤.

(٥) المفردات ص ١٧٩ – ١٨٠.

٧- الاعتبار

الاعتبار هو أخذ العبرة من معرفة الشيء المشاهد إلى ما ليس بمشاهد . قال الراغب : « والعبر هو تجاوز من حال إلى حال . والعبارة تختص بالكلام، والاعتبار والعبرة تختص بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد»[(١)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣] وقال سبحانه: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] وقد ذكر الشوكاني أن المراد بالعبرة الاتعاظ[(٢)]، وكذا فسرها أبو السعود[(٣)] كما فسر الشوكاني قوله ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] بقوله : «أي اتعظوا وتدبروا ،...» ثم ذكر قول الواحدي في معنى الاعتبار فقال : «ومعنى الاعتبار : النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها»[(٤)]... لكن تفسير الاعتبار بالاتعاظ كلام غير دقيق. لأن الاتعاظ هو: الزجر المقترن بالتخويف[(٥)].

---

(١) المفردات (٣٢٠) (بتصرف).

(٢) فتح القدير (٤٠٠/١).

(٣) تفسير أبي السعود (١٤/٢).

(٤) فتح القدير (١٩٣/٥).

(٥) المفردات ص٥٢٧.

خـــاتمـــة

وبعد هذا الاستعراض للمفردة القرآنية الدالة على العلم أو ما يوصـــل إليه، نجد أن القرآن الكريم يستخدم الألفاظ القرآنية استخداماً دقيقـــاً ، وأن لكل مفردة من المفردات استخداماً خاصاً ، وليس ثمة كلمة قرآنية تعطي معنى كلمة أخرى . وهذا يفيدنا في نفي القول بالترادف في القرآن الكريم الـــذي يقصد به وجود كلمتين بألفاظ مختلفة تعطي المعنى نفسه.

ثم إن بعض المعاجم اللغوية لم تكن دقيقة في بيان الفروق اللغوية بـــين المفردات، وكذلك بعض كتب التفسير لم تعط هذا الموضوع أهميـــة لبيـــان الفروق بين المفردات المختلفة الألفاظ .

وقد استحسن بعضهم أن يذكر عنواناً للكلمـــات المختلفـــة الألفـــاظ المتقاربة المعنى أن يقال : (الكلمة وأخواها في القرآن الكريم)، وهو اســـتخدام دقيق يشير بدقة لمعنى المفردات القرآنية.

لذا يجب على الباحث في الدراسات القرآنية التدقيق في بيان المعنى الدقيق للمفردة القرآنية، ولا يكتفي بالمعنى المتقارب.

المصادر والمراجع

١- **إحياء علوم الدين** ، محمد الغزالي (أبو حامد) الطبعة الأولى، دار الشعب، القاهرة ،بلا تاريخ .

٢- **إعجاز القرآن الكريم** ، فضل عباس وسناء عباس ، بلا تاريخ ولا مكان الطبع .

٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بلا تاريخ .

٤- **تفسير أبي السعود** ، المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، محمد بن محمد العمادي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٥- **تفسير البحر المحيط،** محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، دار الفكر بيروت .

٦- **تفسير البيضاوي** ، المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): عبد الله بن عمر البيضاوي ، مؤسسة شعبان ، بيروت ، بلا تاريخ .

٧- **تفسير الطبري** المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م دار الفكر، بيروت.

٨- **تفسير القرطبي** ، المسمى " الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م،مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .

٩- **تفسير التحرير والتنوير** ،محمد الطاهر بن عاشور ،الطبعة الأولى ١٤٢هـ - ٢٠٠٠م ، مؤسسة التاريخ ، بيروت .

١٠- **تفسير النسفي** ، المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) عبد الله بن أحمد النسفي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية بيروت .

١١- **تقريب التهذيب** ، ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الاولى ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢- **الجامع الصغير** ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٩٨١م ، دار الفكر ، بيروت .

١٣- **الذريعة إلى مكارم الشريعة** ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: أبو اليزيد العجمي ن الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار الوفاء بالمنصورة ودار الصحوة بالقاهرة .

١٤- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، محمود الألوسي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت .

١٦- **شعب الإيمان** ، أحمد بن الحسين البيهقي .

١٧- **صحيح البخاري** ، محمد بن إسماعيل البخاري ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الفكر ، بيروت .

١٨- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

١٩- **الفروق اللغوية**،الحسن بن عبدالله،أبو هلال العسكري،دار الكتب العلمية،بيروت،بلا تاريخ.

٢٠- **فقه السيرة** ، محمد الغزالي ، الطبعة الثامنة ١٤٠٨- ١٩٨٨م ، دار الكتب الحديثة، مصر .

٢١- **فيض القدير في شرح الجامع الصغير** محمد عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الاولى١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٢- **القاموس المحيط** ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م / مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٢٣- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس**، إسماعيل بن محمد العجلوني ، الطبعة الثالثة ١٣٥١هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٤- **المبسوط في القراءات العشر**، أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق حمزة الحاكمي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م مؤسسة علوم القرآن ، بيروت .

٢٥- **مجمع الزوائد**

٢٦- **مختار الصحاح** ، محمد بن أبي بكر الرازي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، مؤسسة علوم القرآن ودار القبلة الإسلامية، بيروت .

٢٧- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، أحمد بن محمد الفيومي ، دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .

٢٨- **المعجم الأوسط** ، سليمان بن أحمد الطبراني .

٢٩- **معجم المفسرين** ، عادل نويهض ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م ، مؤسسة نويهض ، لبنان .

٣٠- **المفردات في غريب القرآن** ، الحسين بن محمد ، الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت ، بلا تاريخ .

فهرس الموضوعات

مقدمة ٢٧٥

المبحث الأول

الألفاظ التي تدل على العلم

أولاً: العلم ٢٧٨

ثانياً:المعرفة ٢٨٠

ثالثاً: الدراية............................ ٢٨٣

رابعًا:الإدراك ٢٨٤

المبحث الثاني

الألفاظ التي تدل على مراتب العلم

أولاً: الشك وما في معناه ٢٨٦

ثانيًا: الظن ٢٨٩

ثالثًا: اليقين ٢٩١

المبحث الثالث

الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق النقل

أولاً: الخبر ٢٩٣

ثانيًا: النبأ ٢٩٤

ثالثًا: الإلهام ٢٩٥

رابعًا: الوحي............................ ٢٩٦

خامسًا: القراءة وما في معناها ٢٩٨

المبحث الرابع

الألفاظ التي تدل على تلقي العلم عن طريق الحواس

أولاً: الحس وما في معناه........... ٣٠٠

ثانياً: ألفاظ الرؤية ٣٠٣

ثالثاً: ألفاظ السمع ٣٠٩

رابعًا: اللمس ٣١١

المبحث الخامس

الألفاظ التي تدل على العلم بواسطة المحاكمة العقلية

١- العقل ٣١٣

٢- الفهم ٣١٤

٣- الفقه ٣١٥

٤- التفكر ٣١٦

٥- التدبر ٣١٦

٦- التذكر ٣١٧

٧- الاعتبار ٣١٨

خاتمة ٣١٩

فهرس المراجع ٣٢٠

فهرس الموضوعات ٣٢٢

تحفة الإخوان في الخُلف بين الشاطبية والعنوان

تأليف الإمام العلامة
محمد بن محمد بن الجزري

دراسة وتحقيق
خالد حسن أبو الجود

* ولد عام ١٩٦٤م بمصر.
* نال ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر قسم التفسير ، بالإضافة إلى تخصص القراءات من معهد القراءات الأزهري، كما نال دبلوم الدراسات إسلامية من معهد الدراسات الإسلامية، ثم دبلوم تحقيق تراث من معهد المخطوطات، كذلك نال شهادة الماجستير في القراءات بتحقيق كتاب الروض النضير للمتولي .
* له عدد من الكتب المحققة المطبوعة: كالروض النضير للمتولي ،و"العنوان في القراءات السبع" ، و"مفردة ابن الفحام" ، و"تحرير النشر للأميري".

الملخص

كتابنا هو كتاب " تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنــوان " مؤلفه الإمام محمد بن الجزري ، وهو كتاب يقارن فيه المؤلف بين كتابين من أهم كتب القراءات هما كتابا الشاطبية تأليف الإمام الــشاطبي ، والعنــوان تأليف الإمام أبي الطاهر ، وقد بين فيه المؤلف منهج كل منهم ، وبين طريق كل كتاب ووجه الخلاف بينه وبين الكتاب الآخر ، وغرضه مــن ذلــك تسهيل الحفظ والمذاكرة ، ونشر العلم .

المـــقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأنزله على حروف سبعة تيسيرًا وتسهيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي قال في كتابه الكريم : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢،٤٠]، وأشهد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين القائل صلى الله عليه وسلم:" **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** "(١).

أما بعد:

فهذه رسالة قليلة الصفحات عظيمة الأهمية، وذلك لما يأتي :

أولاً : أن موضوعها : القرآن الكريم والقراءات القرآنية، ويكفي ذلك لبيان أهميتها، فخير الحديث على الإطلاق كلام الله، وأعظم العلم ما يتعلق بهذا الكتاب المعجز، كيف؟ والحديث هنا عن القراءات القرآنية المتعلقة بالنص القرآني الشريف .

ثانياً : مؤلفها : الإمام العلم الكبير من جعل الله له في قلوب العباد ودًا، وجعل لمؤلفاته انتشارا، وجعل لكلامه قبولاً عند العلماء والعامة على السواء، ويكفي صاحب الكتاب فخرًا أنه صاحب كتاب " النشر " العظيم أهم كتاب في القراءات الكبرى على الإطلاق، فأهل القراءات منذ أن خرج الكتاب إلى الوجود بين محقق له، ومحرر، وناقل منه، ويكفيه فخرًا أنه صاحب طيبة النشر هذه المنظومة التي كتب لها القبول عند أهل القراءات فلا

---

(١) صحيح البخاري حديث (٥٠٢٧)، باب خيركم من تعلم القرآن.

يعد من أهل القراءات الكبرى إلا من حفظها، وقد تقرر حفظها ودراستها في معاهد القراءات لمعرفة العلماء بأهميتها .

ثالثًا : الحديث في هذه الرسالة عن كتابين من أعظم كتب القراءات؛ وهما كتابا العنوان في القراءات السبع، والقصيدة الشاطبية، وكل منهما له من المنـــزلة العظيمة ما هو معروف، ويكفي أن نعلم أن الناس إلى اليوم يحفظون عن ظهر قلب الشاطبية حين يبدءون تلقي علم القراءات، وأن العلماء حتى القرن التاسع كانوا يحفظون العنوان، وكان التنافس الشديد بين الكتابين أيهما يحفظ ويدرسه طالب القراءات المبتدئ، حتى استقر الأمر للشاطبية لاعتبارات عدة كما سنبينه؛ منها أنها نظم والنظم أيسر حفظًا، وسهولة ألفاظها، وكثرة العلماء الناقلين لها، وغير ذلك من الأسباب التي كتبت لها الانتشار، والمقارنة بين الكتابين تبين أهمية كل كتاب وتزيل الغموض من المعاني إن كان هناك غموض .

رابعًا : قرر ابن الجزري في هذه الرسالة بعض القواعد المهمة التي اعتمد في كتابه النشر عليها، مثل تقريره أنه يقدم أخذه عن المشايخ على ما في الكتب الورقية، وغير ذلك من القواعد المهمة التي تجلي لنا الكثير من المشاكل العلمية كما سنبينه في موضعه من هذه الرسالة.

لكل هذه العوامل أحببت أن أخرج هذه الرسالة الصغيرة الحجم الكبيرة الفائدة من عالم المخطوط إلى عالم المطبوع، وقد اتبعت في سبيل ذلك خطة للبحث مرت بالمراحل الآتية :

مدخل التحقيق : بينت فيها: ترجمة لصاحب العنوان وتعريفا بكتابه، ثم أتبعته بترجمة لناظم الشاطبية وتعريفا بها، وأتبعت ذلك بترجمة للإمام ابن

الجزري، ودراسة لبيان منهجه في تأليف كتابه " تحفة الإخوان " موضوع التحقيق، ثم بينت منهجي في تحقيق الكتاب، وأثبت نسبة الكتاب لابن الجزري، ثم أتبعت ذلك بوصف للنسخ المعتمدة .

القسم الثاني : النص المحقق لكتاب " تحفة الإخوان " .

وأتبعت النص المحقق بفهرس لموضوعات الكتاب، والمراجع المستخدمة في التحقيق .

وفي الختام، أسأل الله العظيم أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه، وأن يتقبله عنده سبحانه بقبول حسن، وأن يجزي مؤلفه عنا خير الجزاء، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو الموفق، وإليه المصير .

المحقق

خالد حسن أبو الجود

مدخل التحقيق

كتابا العنوان لأبي طاهر، والقصيدة الشاطبية من أهم كتب القراءات، وتظهر هذه الأهمية بصورة جلية إذا علمنا أنهما من أصول كتاب النشر المهمة، وكذلك إذا علمنا أن طالب علم القراءات كان إذا أراد الدخول في هذا العلم فإن شيخه يوجهه لحفظ أحد الكتابين، ومن أجل هذه الأهمية ألف العلماء كتباً في الفرق بين الكتابين وبيان طرقهما، ومن أهم هذه الكتب كتاب الإمام ابن الجزري الذي نحن بصدد تحقيقه " تحفة الإخوان "، ولكي تتضح لنا أهمية الكتابين قدمت بهذه الدراسة البسيطة للتعريف بالكتابين وكاتبيهما، فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : دراسة حول كتاب العنوان وترجمة لمؤلفه

كتاب العنوان من أهم كتب القراءات، ويعتبر من الكتب الأصول التي اعتمد عليها الإمام ابن الجزري في كتابه العظيم النشر ويجدر بنا في هذه العجالة أن نعرف بالعنوان وصاحبه :

أولاً : ترجمة أبي الطاهر العمراني صاحب العنوان :

اسمه وكنيته : إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، أبو الطاهر العمراني الأنصاري الأندلسي السرقسطي، الصقلي، المصري، ونسبته إلى هذه الديار الثلاثة لمولده بالأندلس، وإقامته بهذه البلاد الثلاثة مدة، المالكي مذهباً[1] .

نشأته: لم تكشف كتب التراجم عن نشأته ومكانها، والظاهر أنه نشأ بسرقسطة، وهي بلدة مشهورة بالأندلس، وكما بينا هو معدود من أهلها، أقام بمصر .

---

(١) انظر في ترجمته : بغية الوعاة ٤٤٨/١، وكشف الظنون ١٢٣، معرفة القراء الكبار ٣٤١/١، غاية النهاية ١٦٤/١، الصلة ١٠٥/١، الأعلام ٣١٠/١، قراءة الإمام نافع عند المغاربة ٤٨٣/٦، وفيات الأعيان ٥٥/١، معجم الأدباء ١٦٥/٦.

– **شيوخه** :عبد الجبار بن أحمد بن عمر أبو القاسم الطرسوسي[١]. وأحمد بن سعيد بن نفيس المصري، أبو العباس[٢].وعلي بن إبراهيم، أبو الحسن الحوفي[٣].

– **تلامذته** :جعفر بن إسماعيل، ولد المترجم له[٤] . وجماهر بن عبدالرحمن الفقيه[٥]. وعلي بن كموس، أبو الحسن الصقلي[٦] . ويحيى بن علي بن فرج المصري، المعروف بابن الخشاب[٧] .

– **حياته العلمية:** تصدر الإمام أبو الطاهر للإقراء، وأقرأ الناس زمانًا بجامع عمرو بن العاص بمصر[٨]، وكان إمامًا في الأدب والعربية، مالكي المذهب كعادة أهل المغرب .

– **مصنفاته** :١- كتاب إعراب القرآن، وهو موجود بخزائن مصر والمغرب[٩].

٢- اختصار الحجة في القراءات السبع للفارسي[١٠] .

٣- ديوان شعره، ذكره صاحب الوفيات[١١] .

---

(١) ترجمته في غاية النهاية ٣٥٧/١، الصلة ١/ ١٠٥، معرفة القراء ٣٤١/١ .

(٢) فهرسة ابن خير ٩٠، غاية النهاية ٣٤/١، معرفة القراء الكبار ٤١٦/١ .

(٣) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٠٠/٣، إنباء الرواة ٢١٩/١، معجم الأدباء ١٦٥/٦، بغية الوعاة ١٤٠/٢ .

(٤) انظر ترجمته في : غاية النهاية ١/ ١٦٤ .

(٥) انظر ترجمته في : الصلة لابن بشكوال ١٠٥/١ .

(٦) انظر ترجمته في : غاية النهاية ٥٦٢/١ .

(٧) انظر ترجمته في : غاية النهاية ٣٧٥/٢ .

(٨) غاية النهاية ١٦٤/١ .

(٩) راجع قراءة الإمام نافع ٤٩٠/٦.

(١٠)راجع قراءة الإمام نافع ٤٩٠/٦.

(١١) وفيات الأعيان ١٩٤/٣، قراءة نافع ٤٩١/٦ .

٤-كتاب الاكتفاء في القراءات السبع[١] .

٥- العنوان في القراءات السبع، وهو أشهر كتبه .

- **وفاته** :توفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة بمصر على الغالب، وإن ذكر صاحب الأعلام أنه مات بسرقسطة، فالله أعلم[٢] .

ثانياً : دراسة لكتاب العنوان[٣] :

هو أشهر كتب إسماعيل بن خلف، وهو معدود من أصول النشر، بل كان من الكتب التي عليها مدار القراءة والإقراء، ودراسة مسائل الخلاف بين الأئمة حتى إنه إذا ذكر هذا الإمام قيل : أبو الطاهر صاحب العنوان .

وقد اهتم علماء القراءات بالكتاب منذ خرج إلى الوجود، لأنه بحجمه الصغير عُد متنًا يفي بحاجة طالب العلم في استظهاره واستحضاره عند الحاجة، ومن هنا كانت عناية أهل الشام ومصر بحفظه، وروايته، والقراءة بمضمنه، يقول ابن خلكان في حديثه عن العنوان : " عمدة الناس في الاشتغال بهذا الشأن عليه "[٤]، ويقول ابن الجزري :" وكان أهل مصر أكثر ما يحفظون العنوان لأبي الطاهر مع مخالفته لكثير مما تضمنته الشاطبية"[٥].

وقد اشتهرت رواية الكتاب على يد جعفر ولد المؤلف، ومن طريقه أسنده ابن الجزري في النشر، وروي أيضًا من طريق يحيى الخشاب المصري.

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن، بدار نينوي للطباعة .

(٢) انظر في ترجمته وتحليل حياته قراءة نافع ٤٨٣/٦، وما بعدها .

(٣) انظر في التعريف بهذا الكتاب دراسة صاحب قراءة الإمام نافع من ص ٤٩٢، فقد أفاض وأجاد وفقه الله تعالى .

(٤) وفيات الأعيان ٥٥/١ .

(٥) منجد المقرئين ٥٣ .

ومما يدل على توافر العناية به ما تجده من وفرة نسخه وفرة ملحوظة في جميع خزائن المخطوطات، وما لقيه الكتاب من إقبال من العلماء على تدريسه، وعقد المقارنة بينه وبين غيره من المصنفات في القراءات فمن ذلك:

- شرح العنوان، للعلامة المقرئ عبد الظاهر بن نشوان، والكتاب حقق كرسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية.

- كتاب البيان في الجمع بين القصيدة والعنوان، لأبي زكريا يحيى بن أحمد، وما زال مخطوطاً.

- معين القارئ النحرير على ما اختص به العنوان والشاطبية والتيسير، لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الكناني، وهو ما زال مخطوطاً .

- كتاب تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان، للإمام العلامة ابن الجزري، وهو كتابنا هذا الذي نحققه .

منهج المؤلف في الكتاب :

بدأ بالحمد وسبب التأليف وسبب جعله مختصرًا، ثم ذكر أئمة الإقراء وأحال على كتابه الاكتفاء لمن أراد التوسع في الأسانيد، ثم ذكر اصطلاحه، وبدأ في قسم الأصول، ثم قسم الفرش وذكر الخلاف في الكلمات سورة سورة، ولكنه لم يضع البسملة والفاتحة في أول الكتاب ووضعها في بداية الفرش، ثم أنهى الكتاب بباب التكبير، ومن خلال عرض مباحث الكتاب يظهر للمتأمل منهج صاحب العنوان حيث إنه :

- خالف الترتيب المعتاد في كتب القراءات فقدم بعض المباحث، وأخر أخرى مما يظهر شخصيته المستقلة في البحث .

- عقد لبعض الكلمات مباحث خاصة مثل فواتح السور، وقدمه على باب

المد، وأتبعه بهاء الكناية ثم المد بعكس علماء القراءات الذين يضعون فواتح السور مع باب المد وهو أحسن، و الملاحظ أنه رتب كتابه حسب عروض القاعدة في القرآن الكريم .

- لم يتعرض لباب الإدغام الكبير لأبي عمرو، والظاهر أنه لم يقرأ به ولذلك لم يدرجه .

- اختصر بعض الأبواب اختصاراً كثيراً مما جعل الباب مبهماً، كما ذكر ذلك ابن الجزري في باب المد خاصة فقال : " وعبارته في غاية الإشكال ".

- لم يذكر اختياره إلا نادرًا مما يبين أنه يأخذ بما تلقى عن شيوخه فقط ويركز على ذلك، وهذه طريقة محمودة فالقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول .

طبعات الكتاب : الكتاب طبع مرةً واحدةً بدار عالم الكتب وهي طبعة مشهورة بالسقم الشديد وسبب ذلك على الراجح أن المحققين الكريمين ليسا من أهل القراءات، والله ييسر لهذا الكتاب من ينقذه، ويحققه تحقيقًا علميًا .

من خلال هذا العرض يتبين لنا أن كتاب العنوان أخذ شهرة كبيرة لما فيه من كبير علم على وجازته مما جعل الطلبة يستظهرونه، والعلماء يقررونه على طلبتهم، بل ويهتم العلماء بالمقارنة بينه وبين غيره من المختصرات كما فعل الإمام ابن الجزري في هذا الكتاب .

ثانياً : التعريف بالشاطبية، وناظمها

الشاطبية هي قصيدة "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع" التي نظمها الإمام الشاطبي، وقد رزقت الشاطبية القبول والشهرة بين طلبة العلم، واشتدت عناية العلماء بها فهم بين شارح لها، ومحشٍ عليها، ومكمل لها، ومعارض، ومحرر، وفيما يلي ترجمة ناظمها والحديث عنها:

أولا : ترجمة الناظم الإمام الشاطبي(١) :

هو الإمام الكبير : القاسم بن فيره(٢) بن خلف بن أحمد .

-كنيته: أبو القاسم،وأبو محمد الشاطبي،والكنيتان ملازمتان له معروفتان عنه .

- مولده : ولد في آخر سنة ٥٣٨ هـــ بشاطبة .

- صفاته: ولد أعمى، كان غاية في الذكاء، حافظًا لصحيحي البخاري ومسلم والموطأ؛ يصلح من حفظه لمن يقرأ عليه، وكان لا يجلس للإقراء إلا على طهارة، في هيئة حسنة وحضور قلب، وكان من أشد الناس حفظًا للسان لا يسمع فضول الكلام .

- شيوخه: قرأ القراءات على الإمام محمد بن أبي العاص النفزي، وعرض التيسير للداني على أبي عبد الله محمد بن حميد البلنسي، وروى عن ابن عاشر، وعبد الله المرسي، وأبي الحسن بن النعمة وغيرهم كثير، ثم خرج للحج من بلاد الأندلس واستقر بمصر فسمع من أبي طاهر السلفي .

- تلاميذه: عرض عليه الإمام السخاوي، ومحمد بن عمر القرطبي، والسديد مكي، والكمال الضرير وهو صهره، وعبد الرحمن بن سعيد، ومحمد بن وضاح وغيرهم كثير .

- حياته العلمية : تصدر للتدريس في شاطبة وبقى بها مدة، وتولى خطبة الجمعة بها، ثم جاء إلى مصر فتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص لمدة ثمانية أعوام، وتزوج من أهل مصر،ثم تحول إلى المدرسة الفاضلية وسافر للحج وعاد.

---

(١) انظر في ترجمته : معجم الأدباء للحموي ٥/ ٢٢١٦، إنباه الرواة ٤/١٦٠، وفيات الأعيان ٤/٧١، سير أعلام النبلاء ٢١/٢٦١، غاية النهاية ٢/٢٠، مقدمة تحقيق فتح الوصيد ١/١٠١ .

(٢) بكسر الفاء بعدها ياء ساكنة ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء ، ومعناه بلغة أهل الأندلس الحديد .

– **مؤلفاته :– حرز الأماني ووجه التهاني**، وهي القصيدة الشهيرة في القراءات، وقد طبعت طبعات عديدة أهمها طبعتا الشيخ الضباع، والشيخ تميم الزعبي.

– **عقيلة أتراب القصائد**،وهي قصيدة شهيرة في علم الرسم، طبعت بمطبعة الحلبي بمصر .

– **ناظمة الزهر في عد الآي**، وهي قصيدة شهيرة في علم عد الآي، طبعت بمطبعة الحلبي بمصر، وأخيرا طبعت بتحقيق الدكتور أشرف طلعت بدار البخاري بمصر.

– **منظومة في ظاءات القرآن**، طبعت أثناء الترجمة للشيخ .

– **وفاته** : توفي يوم الأحد الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٩٠هـ ودفن يوم الاثنين، رحمه الله وغفر له .

ثانياً : منهج صاحب الشاطبية في تأليفها:

الشاطبية قصيدة لامية من البحر الطويل، موضوعها القراءات السبع المتواترة، وقد سماها ناظمها "حرز الأماني ووجه التهاني"، قال الإمام الشاطبي:

وسميتها حرز الأماني تيمنًا ووجه التهاني فاهنه متقبلا

وقد اشتهرت بالشاطبية نسبة إلى ناظمها .

– **تاريخ نظمها**: لم يعرف على وجه الدقة متى بدأ الناظم في نظمها ولكن بعض المصادر أشارت إلى أنه قد بدأ فيها بالأندلس حتى بلغ البيت الخامس والأربعين:

جعلت أبا جاد على كل قارئ دليلاً على المنظوم أول أولا

ثم أكملها بالقاهرة[1] .

– **سبب التأليف** : وقد بين سبب نظمه لها في إجازته لتلميذه السخاوي حيث أخبر بأنه عملها رغبة في ثواب الله الكريم وحرصًا على إحياء العلم الذي

---

(١) غاية النهاية ٢/٢٢.

تضمنه كتاب التيسير الذي عنى بجمعه الإمام الداني[١] .

– **عدد أبياتها** : ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا قال الناظم في آخر الشاطبية:

وأبياتها ألف تزيد ثلاثة ومع مائة سبعين زهراً وكملا

– **موضوعها** : القراءات السبع، حيث نظمها تسهيلاً لطلبة العلم الذين كانوا يحفظون الكتب الطوال فنظم التيسير للداني ليسهل على الطالب حفظه قال:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره فأجنت بعون الله منه مؤملا

– **طريقته في الاختصار**: قسم الشاطبي القصيدة إلى :

– **مقدمة** : بين فيها أهمية حفظ القرآن وثواب الحافظ والتالي، ثم بين رموز القراء ومنهجه في العمل، ونصائح لطالب العلم .

– **الأصول**: وعقد هذا القسم في عدة أبواب يشتمل على الأمور العامة مثل الاستعاذة والبسملة،والإدغام الكبير،والمد،والإمالة،واللامات،والراءات،وغيرها.

– **الفرش** : حيث يذكر سور القرآن سورة سورة ويبين ما فيها من خلاف حتى انتهى من سورة الناس .

– **خاتمة**:ذكر فيها التكبير،ومخارج الحروف،وشكر المنعم تبارك وتعالى على توفيقه .

مكانة القصيدة عند العلماء :

تبوأت الشاطبية مكانة عالية لدى العلماء منذ نظمت وحتى اليوم، فأهل مصر جعلوها مكان العنوان الذي كان يحفظه طالب القراءات، حتى قال ابن الجزري :"ومن وقف على قصيدته علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصًا اللامية التي عجز البلغاء بعده عن معارضتها ... ولقد رزق هذا الكتاب من

---

(١) انظر الفتح المواهبي ص٥٩، وفتح الوصيد ١/١٢٦.

الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن .. "(1)

شراح القصيدة : شرح القصيدة كثير جداً من العلماء منهم :

- علي بن محمد السخاوي في كتابه: فتح الوصيد، وهو مطبوع بمكتبة الرشد.

- المنتجب الهمذاني في: الدرة الفريدة، ومازال مخطوطا، منه نسخة بالمكتبة الأزهرية.

- محمد الفاسي : في اللآلئ الفريدة، وهو مطبوع بمكتبة الرشد .

- إبراهيم الجعبري في : كنــز المعاني، طبع منه جزء في المغرب بوزارة الأوقاف. وغيرهم كثير جدًا(2).

طبعات الشاطبية : طبع الكتاب طبعات كثيرة جداً، لكن أهمها وأفضلها على الإطلاق طبعة الشيخ على الضباع بمطبعة البابي الحلبي بمصر، وطبعة تميم الزعبي بدار الهدى بالمدينة المنورة .

وهذه القصيدة اشتهرت في الدنيا وسارت بها الركبان، فالعلماء ما بين ناقل عنها، ومتأس بها، ومزيد عليها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثالثا:ترجمة الإمام ابن الجزري ودراسة كتابه "تحفة الإخوان "وبيان منهجه فيه:

الإمام ابن الجزري علم كبير، وإمام عظيم من أئمة علم القراءات، وقد اشتهر بكتبه العظيمة بداية من النشر، ومرورًا بغاية النهاية، وتحبير التيسير، ونهاية بمنظومتيه الطيبة والدرة، إذا علمنا ذلك بان لنا أهمية هذا الكتاب فالكاتب يكتب في ميدانه وساحة سبقه، فمن هو ابن الجزري(3) ؟

---

(1) غاية النهاية ٢/٢٣ .

(2) انظر : مقدمة تحقيق فتح الوصيد ١/١٥٠، وما بعدها .

(3) انظر ترجمته في : غاية النهاية له ١/٢٤٧، إنباء الغمر لابن حجر العسقلاني ٣/٢٨٧، الضوء=

أولا: ترجمة الإمام ابن الجزري:

- **اســمه:** محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، **كنيته** : أبو الخير، **لقبه** : شمس الدين، **نسبه:** العمري، المشهور بابن الجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر بالعراق .

- **مولده** : ولد ليلة السبت، الخامس والعشرين من رمضان، سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، بخط القصاعين بدمشق .

- **نشأته** :نشأ بدمشق، وعلمه أبواه القرآن صغيرًا، وحفظ الحديث والفقه، وقرأ على مشايخ كبار وهو في هذه السن الصغيرة، ولما أتم حفظ القرآن اشتغل بعلم القراءات وهو في الرابعة عشرة من عمره، ثم رحل ثلاث مرات الأولى أثناء الحج مع والده، ثم بمفرده إلى مصر، ثم الثالثة إلى مصر أيضًا بصحبة والديه، ثم عاد ثانية إلى دمشق، ورحل إلى القاهرة ثانية سنة ثمان وسبعين .

- **شيوخه** : لابن الجزري الكثير جدا من الشيوخ، منهم : أبو بكر ابن الجندي، وأبو عبد الله الأنصاري، أبو الرشيد الغرناطي، وابن فزارة أبو العباس الحنفي، وابن الصائغ، عمر بن أميلة، عبد الوهاب بن السلار، وإسماعيل ابن كثير ،والشيخ الطحان، و اللبان، وأحمد بن رجب، وغيرهم كثير(١).

- **تلاميذه** :وهم كثير جدًا امتلأت الأرض بــهم نظرًا لأن الإمام كان كثير الترحال لطلب العلم والتعليم، منهم : إبراهيم البقاعي، رضوان العقبي، ابن الخياط، محمد بن عبد الرحمن المدني، وغيرهم .

- **وظائفه** : تولى الإقراء بالجامع الأموي مدة، وتولى مشيخة الإقراء بتربة أم

=اللامع للسخاوي ٩/٢٥٥ وغير ذلك كثير.

(١) انظرهم في قائمة شيوخه في ترجمته لنفسه في غاية النهاية ١/٢٤٧ وما بعدها.

الصالح، والعادلية، ومشيخة الإقراء بدار القرآن الجزرية بدمشق، وشيراز، والتدريس بالصلاحية،وتولى القضاء مرات عديدة بدمشق وشيراز، ولي خطابة مسجد التوتة،تصدى للإقراء والتحديث في القاهرة في عهد السلطان الأشرف.

– **مؤلفاتـــه** : له الكثير من المؤلفات التي تشهد له بالعلم و الفضل في سائر العلوم منها : النشر في القراءات العشر، المقدمة في التجويد، الدرة في القراءات الثلاث، التمهيد في علم التجويد، وغاية النهاية في طبقات القراء، تحبير التيسير، تقريب النشر، وغيرها كثير في علوم الحديث مثل: الجمال في أسماء الرجال، والسيرة مثل ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء.

– **صفاتـــه** : كان دينًا ورعًا زاهدًا في الدنيا و متعها، و كان لا يدع قيام الليل في حضر أو سفر، ولا يترك صوم الاثنين و الخميس وثلاثة أيام من كل شهر – رضي الله عنه – .

– **أســـرته:** كان والده تاجرًا، وقد تزوج الشيخ ورزق أولادا جميعهم من أهل العلم وقد ترجم لهم في غاية النهاية وهم : محمد، وأحمد، وإسماعيل، وإسحاق، وفاطمة، وعائشة .

– **وفـــاته** : توفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة من الهجرة بشيراز، ودفن بمدرسته التي أنشأها هناك، وكانت جنازته مشهودة حضرها الخواص و العوام، رحمه الله على ما قدم .

ثانيا : منهج ابن الجزري في تأليف كتابه :

كتابنا هو كتاب " **تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان** "، وهو من تأليف العلامة ابن الجزري .

– **موضوعه** : بيان أوجه الخلاف بين كتابي الشاطبية والعنوان، والكتابان في

القراءات السبع، ولكل كتاب طرق مختلفة للقراء العشر، كما هو معلوم عند أهل القراءات .

أهمية الكتاب :

١- كتابا الشاطبية والعنوان، كانا في فترة من الفترات كفرسي الرهان بالنسبة لطلبة علم القراءات حيث كان طالب العلم يحفظ أحد المتنين، وكانت البداية والسيادة لكتاب العنوان، فلما نظمت الشاطبية أخذت مكان كتاب العنوان لسهولة حفظها، حيث إن العنوان كتاب منثور، والشاطبية كتاب منظوم، وبالتالي حفظ الشاطبية أسهل، وكذلك لما في الشاطبية من سهولة في الألفاظ، وبيان سهل لمعان العبارات، عكس العنوان الذي يحتاج إلى حل مغلقه في أبواب كثيرة من أبواب القراءات، وكذلك كثرة الكتب الشارحة للشاطبية عكس العنوان، وأخيرا ما قيضه الله للشاطبية من قبول بين طلبة العلم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، من أجل ذلك كانت أهمية معرفة الفرق بين الكتابين ليسهل على طالب العلم حفظهما، وفهم معانيهما .

٢- بين ابن الجزري في الكتاب منهجه في التعامل مع ما وصله من طرق وروايات، حيث نجده في نواح عديدة من كتابه يذكر أنه قد أخذ ذلك من شيوخه، رغم أن صاحب العنوان ذكر نصًا غير ما قرره ابن الجزري وأثبت صحته مما يبين لنا لماذا خالف ابن الجزري نصوص الكتب في النشر حيث إنه يذكر ما أخذه عن شيوخه - انظر مثلاً ص : ٣٥٩، ٣٦٣ من هذه الرسالة لتعلم منهج ابن الجزري - وفيه الرد على أهل التحرير الذين يريدون أن يعودوا بالنشر إلى أصول الكتب، وابن الجزري يقرر أنه يأخذ ما رآه في الكتب، وما سمعه من شيوخه ويثبت ما أخذه من شيوخه عند الخلاف، من أجل ذلك

ينبغي عند التحرير أن ننظر إلى قول ابن الجزري لا لقول أصحاب الكتب الموجودة بالنشر لربما تكون الرواية غير الرواية، ونقل مشايخه للكتاب من طرق مختلفة غير ما وصلنا .

٣- هذا الكتاب حل مغلق كتاب العنوان بطريقة سهلة ميسورة تعين على فهم كتاب من أهم كتب أصول النشر .

إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه :

الكتاب ثابت النسبة لمؤلفه حيث ذكر اسم الكتاب، وسند المؤلف إلى الكتابين في مقدمة الكتاب؛ مما لا يحتاج معه إلى دليل آخر لإثبات صحة نسبة الكتاب لابن الجزري، وكل من ترجم لابن الجزري ذكر له هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، راجع في ذلك مصادر ترجمته، وفي النهاية، فالكتاب ثابت النسبة لمؤلفه دون شك .

عملي في تحقيق الكتاب :

أولاً : اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختين من دار الكتب المصرية للكتاب: (أولاهما) تحت رقم ٣٠٦ تفسير تيمور، وقد رمزت لها بالرمز(أ) وجعلتها أصلا. (الثانية) تحت رقم ١٩٤٠٩ / ب، ورمزت لها بالرمز (ب) .

ثانيًا : كتبت النسخة (أ) طبقا للرسم الإملائي الحديث .

ثالثًا : قارنت بين النسختين، وبينت ما فيهما من فروق، وصححت الأخطاء الإملائية، واللغوية .

رابعًا : ترجمت للأعلام ترجمة مختصرة تعرف بهم، وأحلت على أماكن وجود الترجمة للمستزيد .

خامسًا : خرجت الآيات القرآنية .

سادسًا : أرجعت الأقوال إلى مصادرها، وكتبت أبيات الشاطبية ليسهل معرفة الفرق بين الكتابين .

سابعًا : أوضحت الغامض من الكلمات .

وصف نسخ الكتاب :

كما ذكرت، للكتاب نسختان :

الأولى: (أ) وهي تحت رقم ٣٠٦ تفسير تيمور، وتقع في (١٦ ورقة)، عدد سطور كل صفحة (٣٥ سطرا)، وكلمات السطر الواحد حوالي (١٧ كلمة) في المتوسط، وهي مكتوبة بخط فارسي مقروء، وهي قليلة الأخطاء جدًا، لا يعرف ناسخها، وكتب على غلافها: " من كتب الفقير عبد اللطيف عبد المنعم ابن الحاجة سنة ٩٥٩هـــ" .

الثانية : (ب) تحت رقم ١٩٤٠٩ /ب، بدار الكتب المصرية، وتقع في (٢٩ ورقة)، وعدد سطور كل صفحة (٢٢ سطرا)، وعدد كلمات السطر الواحد (٩ كلمات) في المتوسط، وهي مكتوبة بخط فارسي جيد جدًا، وهي قليلة الأخطاء والسقط، كتبها محمود عبد اللطيف عن نسخة رقم ٦٦٩ بدار الكتب.

نماذج مصورة للمخطوطتين

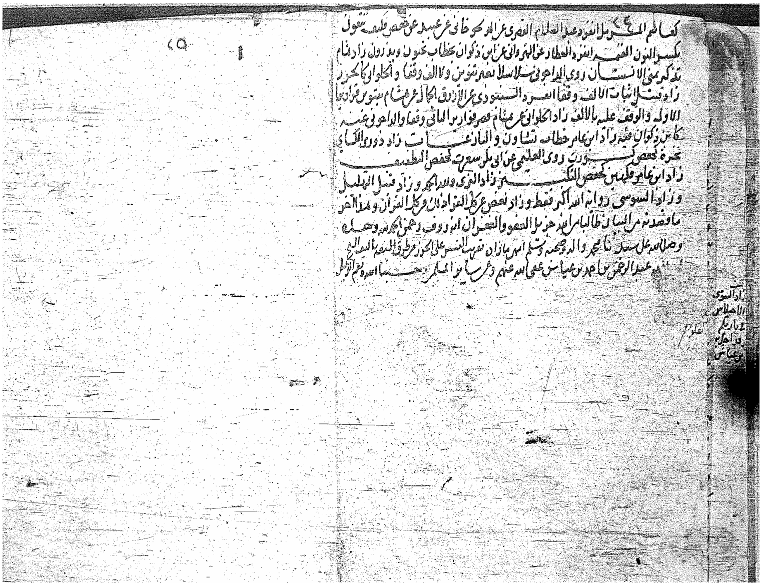

النسخة (أ)

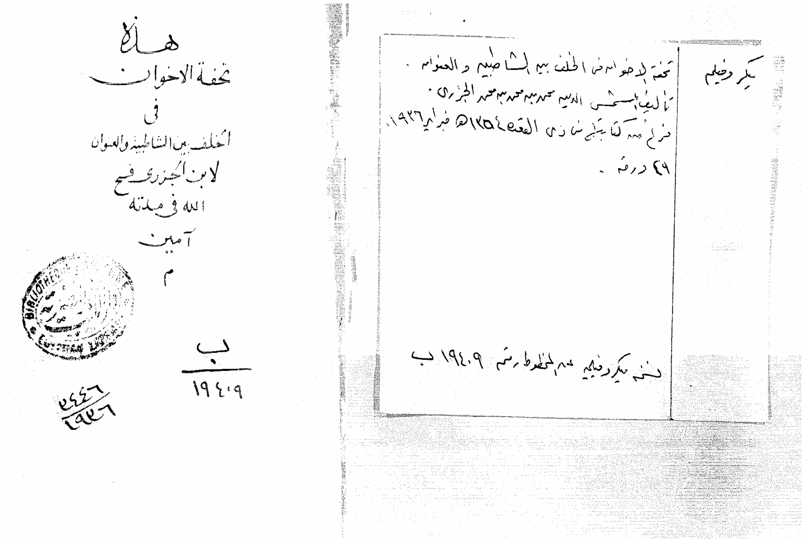

مكروفيلم

تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان
تأليف شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري
فرغ من كتابتها في ذي القعدة ١٣٥٤هـ فبراير ١٩٣٦
٢٩ ورقة .

نسخة ميكروفيلم من المخطوط رقم ١٩٤٠٩ ب

هذه
تحفة الاخوان
في
الخلف بين الشاطبية والعنوان
لابن الجزري فسح
الله في مدته
آمين
م

ب
١٩٤٠٩

٤٤٤٦
١٩٣٦

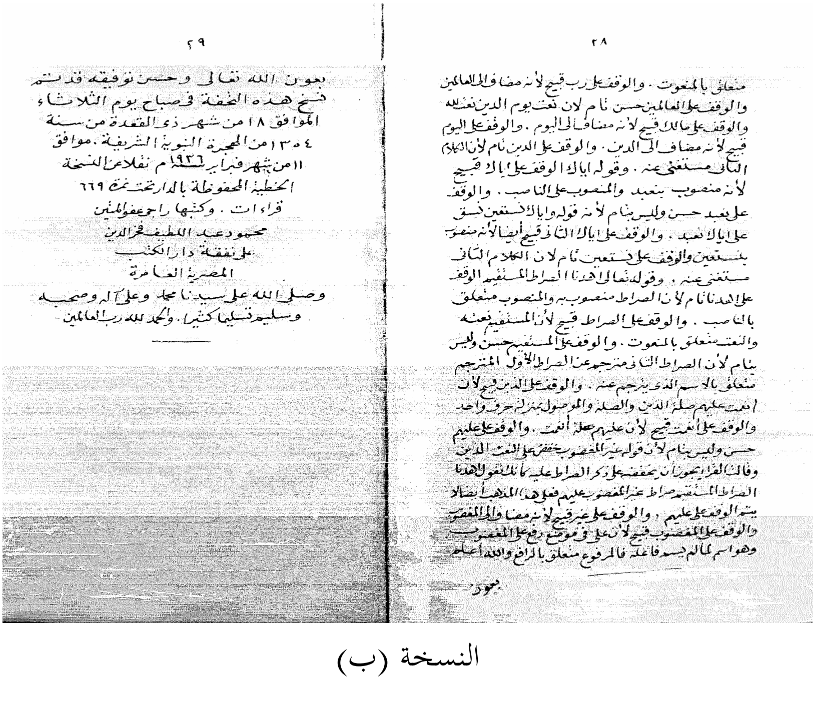

٢٨

متعلق بالمنعوت . والوقف على رب قبيح لأنه مضاف إلى العالمين
والوقف على العالمين حسن تام لأن نعت يوم الدين نعت لله
والوقف على مالك قبيح لأنه مضاف إلى اليوم . والوقف على اليوم
قبيح لأنه مضاف إلى الدين . والوقف على الدين تام لأن الكلام
الثاني مستغني عنه . وقوله إياك الوقف على إياك قبيح
لأنه منصوب بنعبد والمنصوب على الناصب . والوقف
على نعبد حسن وليس بتام لأن قوله وإياك نستعين نسق
على إياك نعبد . والوقف على إياك الثاني قبيح أيضا لأنه منصوب
بنستعين والوقف على نستعين تام لأن الكلام الثاني
مستغني عنه . وقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم الوقف
على اهدنا تام لأن الصراط منصوب به والمنصوب متعلق
بالناصب . والوقف على الصراط قبيح لأن المستقيم نعته
والنعت متعلق بالمنعوت . والوقف على المستقيم حسن وليس
بتام لأن الصراط الثاني مترجم عن الصراط الأول المترجم
متعلق بالاسم الذي يترجم عنه . والوقف على الذين قبيح لأن
أنعمت عليهم صلة الذين والصلة والموصول بمنزلة حرف واحد
والوقف على أنعمت قبيح لأن عليهم صلة أنعمت . والوقف على عليهم
حسن وليس بتام لأن قوله غير المغضوب خفض على النعت الذين
وقال الفراء يجوز أن يخفضه على ذكر الصراط عليه كأنك تقول اهدنا
الصراط المستقيم صراط غير المغضوب عليهم فعلى هذا المذهب أيضا لا
يتم الوقف على عليهم . والوقف على غير قبيح لأنه مضاف إلى المغضوب
والوقف على المغضوب قبيح لأن على في موضع رفع على المغضوب
وهو اسم لما لم يسم فاعله فالمرفوع متعلق بالرافع والله أعلم

بعون

٢٩

بعون الله تعالى وحسن توفيقه قد تم
نسخ هذه التحفة في صباح يوم الثلاثاء
الموافق ١٨ من شهر ذي القعدة من سنة
١٣٥٤ من الهجرة النبوية الشريفة . موافق
١١ من شهر فبراير سنة ١٩٣٦م نقلا عن النسخة
الخطية المحفوظة بالدار تحت نمرة ٦٦٩
قراءات . وكتبها راجي عفو المنان
محمود عبد اللطيف فخر الدين
على نفقة دار الكتب
المصرية العامرة
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا . والحمد لله رب العالمين

النسخة (ب)

[كتاب تحفة الأخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان
تصنيف العلامة محمد بن الجزري صاحب النشر وغيره][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم،رب يسر وأعن:

قال الشيخ الإمام العالم العلامة، فريد دهره، ووحيد عصره، شمس الملة والحق والدين : أبو الحسين محمد، شيخ القراء، إمام أئمة الأداء – فسح الله في مدته، وأعاد على المسلمين من بركاته – ابن الشيخ الجليل شمس الدين محمد بن محمد، الشهير بالجزري – عفا الله عنهما أجمعين –][2]:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على [سيدنا][3] محمد وآله وصحبه [أجمعين][4]، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين . وبعد ...

فهذه " **تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان** "، إذ كان "**العنوان** " تأليف الإمام [أبي الطاهر] [5]، إسماعيل بن خلف، المقرئ، [النحوي][6] – رحمه الله – من أشهر هذه الكتب التي قرأنا [بها][7]، [ولا زال للناس به اعتناء][8] كثير ؛ خصوصًا أهل مصر فإنهم لا زالوا يحفظونه قبل

(١) ما بين المعقوفتين سقط في (ب) .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) أبو الطاهر، وهو خطأ،وفي (أ) [أبي طاهر]،وما أثبته هو الصواب .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط في (ب) .

(٨) ما بين المعقوفتين في (ب) [و لا زال بها للناس به] .

نظم الشاطبية وبعدها[١] .

أخبرني شيخنا الإمام المقرئ : أبو محمد، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي[٢] - رحمه الله - وغيره، قالوا : كان شيخنا الإمام أبو عبد الله الصائغ[٣] يحفظ " العنوان "، ولا يحفظ " الشاطبية ".

وقال لي شيخنا أيضًا: وقد أدركت بمصر خلقًا يشتغلون في [القراءات][٤]، ولا يحفظون غير " العنوان ".

قال : ولقد حضرت مرة عند شيخنا الصائغ المذكور ؛ فجاء شخص فعرض عليه جميع كتاب " العنوان " من حفظه في مجلس واحد .

(١) في (أ) وبعده، كان الناس إلى عهد ابن الجزري يحفظون العنوان، والشاطبية، والآن أصبح منهج أهل القراءات حفظ الشاطبية في القراءات السبع، والدرة في القراءات الثلاث المتممة للعشر وهي من نظم ابن الجزري، وسموا هذه العشر الصغرى، وبعد ذلك على من يريد جمع القراءات العشر الكبرى أن يحفظ متن طيبة النشر في القراءات العشر وهي لابن الجزري، وسموها بالعشر الكبرى، وهذا عليه العمل في معاهد القراءات والجامعات والكليات التي تتعلق مناهجها بالقراءات، وبالتالي أصبح العنوان داخلاً في العشر الكبرى فهو من ضمن أصول النشر كما هو معروف .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن المبارك بن معالي، أبو محمد البغدادي، الواسطي، المصري، الشافعي شيخ ابن الجزري ولد سنة اثنتين وسبعمائة، وتفرد بالسماع من سبط زيادة، وقرأ عليه ابن الجزري وغيره، توفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة رحمه الله (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٦١، الأعلام للزركلي ٢٩٥/٣، الدرر الكامنه ٣٢٣/٢) .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي، الشيخ تقي الدين، أبو عبد الله الصائغ، المصري الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة، وقرأ على الشيخ كمال الدين فارس، وقرأ على الشيخ كمال الدين الضرير العباسي قرأ عليه ابن الوجيه، توفي ثامن عشر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة بمصر رحمه الله (انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٠٦، العبر ٢٧٨/١، الدرر الكامنة ٤٥٢/١)

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) [القرآن] .

قلت : وهذا الكتاب مع شهرته فأسانيده أعلى من سائر كتب المغاربة كالتيسير، والتذكرة، وغيرها ؛ ومن ثم اعتنى الناس به حتى شرحوه مع كونه نثرًا، ولا أعلم مختصرا من كتب القراءات المنثورة شرحه غير مصنفه سواه، وقد وقفت على شرحه للإمام الحاذق، المقرئ : عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري[١]، وهو والد الشيخ محيي الدين بن عبد الظاهر[٢]، الكاتب البليغ المشهور، ولكنه لم[٣] يضع شيئًا، ولا حَرَّر لفظًا مُشْكِلاً ؛ ولذلك[٤] أفردت خِلاَفَه عن الشاطبية ؛ ليسهل تناوله على من يريد التلاوة به ممن حفظ[٥] فاللَّفظ للعنوان، والمسكوت عنه كما في الشاطبية، مع بياني لما أُبْهِم، وتَقْييدي ما أوهم بعد أن أذكر أسانيدي[٦] به فأقول :

أعلى ما وقع لي في روايته مما لا أعلم أحدًا اليوم على وجه الأرض يُسَاويني فيه ؛ أنني قرأته، وتلوت بمضمونه[٧] بمحروسة مصر على شيخنا

---

(١) عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة، رشيد الدين، أبو محمد الجذامي، المصري، المقرئ ،أخذ القراءات عن أبي الجود، قرأ عليه القراءات سلامة بن ناهض الأزدي، شرح كتاب العنوان، ومات سنة تسع وأربعين وستمائة بالقاهرة (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٧٣، الوافي بالوفيات ١٦٨/٦، معرفة القراء الكبار ٢٣٩/١) .

(٢) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة، الجذامي، المصري، سمع من جعفر الهمداني، وجماعةٍ، وكتب عنه : البرزالي وغيره، ولد سنة عشرين وستمائة، وتوفي بالقاهرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة، (انظر الوافي بالوفيات ٥ / ٤١١) .

(٣) في (ب) لا .

(٤) في (ب) فلذلك .

(٥) في (أ) حفظه .

(٦) في (ب) إسنادي .

(٧) في (ب) بمضمنه .

الإمام الصالح، شيخ القراء بها : تقي الدين، أبي محمد، عبد الرحمن بن أحمد بن علي الشافعي - رحمه الله - في شهور سنة تسع وستين وسبعمائة، عن شيخنا الإمام الصالح : أبي علي، الحسن بن عبد الكريم الغماري[١]، قال : أخبرنا به شيخنا الإمام المقرئ، أبو القاسم عبد العزيز بن عيسى المالكي[٢] قراءة عليه قال : أخبرنا أبو الحسن[٣] مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب[٤] المقرئ [قراءة وتلاوة، قال أخبرنا أبو علي الحسن بن خلف المقرئ][٥] كذلك، وبحق إجازة عبد العزيز المذكور من الشريف الخطيب الآتي ذكره سماعًا وتلاوة[٦] /١أ/ على أبي الحسن الخشاب، عن المصنف كذلك .

وقرأت بمضمنه القرآن العظيم جمعا خمس ختمات، أولها : على الشيخ

---

(١) في (ب) المعماري، وهو : الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام، الشيخ أبو علي الغماري، المصري، المعروف بسبط زيادة، قرأ على مرتضى بن جماعة الخشاب، توفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة عن خمس وتسعين سنة (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٩٤، معرفة القراء الكبار ٣٧٥/١) .

(٢) عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد بن سليمان أبو محمد اللخمي الأندلسي، أحد طلبة السلفي، ولد سنة خمس وعشرين ومائة، روى عنه ولده أبو القاسم عيسى، وتوفى سنة ست وتسعين وخمسمائة .

(٣) في (أ) أبو محسن، على الحسن .

(٤) مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب، أبو الحسن، ويقال أبو محمد البرقي نزيل الإسكندرية، ولد سنة خمسمائة وقيل سنة إحدى وخمسمائة، وروى كتاب العنوان سماعاً عن جعفر ولد مؤلفه عنه، روى عنه أحمد بن يحيى، ومات في سادس شهر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة بالإسكندرية (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤١٢، معرفة القراء الكبار ٣١٣/١).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٦) في (ب) بسماعه وتلاوته .

الإمام الأستاذ أبي[1] المعالي، محمد بن أحمد بن علي اللبان[2]، المقرئ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق المحروسة[3]، في شهور سنة ثمان وستين، وأوائل سنة تسع وستين وسبعمائة، وأخبرني أنه قرأ بمضمنه القرآن العظيم على شيخنا[4] الإمام الأستاذ أبي حيان، محمد بن يوسف بن حيان، الأندلسي[5]، قال : قرأت القرآن على شيخنا أبي الطاهر، إسماعيل بن هبة الله[6] بن علي المليجي[7]، (ح) وقرأت به القرآن العظيم من أوله إلى آخره جمعا ختمتين أخريين[8] إحداهما: مع مضمن[9] الشاطبية والتيسير في سنة تسع وستين

(١) في (ب) أبو، وهو خطأ .

(٢) محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع، أبو المعالي ابن اللبان الدمشقي، ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة، تخرج بالإمام أحمد بن نحلة سبط السلعوس ،قرأ عليه ابن الجزري، توفي رحمه الله سنة ست وسبعين وسبعمائة . (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣١٠)

(٣) في (أ) (المحرمة)، وهو تصحيف .

(٤) في (ب) شيخه .

(٥) محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة بغرناطة، قرأ على عبد الحق الأنصاري، قرأ عليه أبو بكر بن أيدغدي الشمسي، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالقاهرة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٠٢، معرفة القراء الكبار ١/٣٧٠) .

(٦) في (أ) عبد الله، وهو تصحيف .

(٧) في (أ) المليحي، وهو تصحيف، هو : إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله، أبو طاهر المليجي، قرأ السبع على أبي الجود غياث بن فارس، قرأ عليه أبو حيان و الجعبري، مات سنة إحدى وثمانين وستمائة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٧٤، معرفة القراء الكبار ١/٣٣٧) .

(٨) في (ب) أخريتين .

(٩) في (ب) (مكمل) .

وسبعمائة بالقاهرة المحروسة[١]، والثانية: مع جملة كتب أُخرى[٢] في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة على شيخنا الإمام [المسند، شيخ المقرئين][٣]، [العالم، شيخ القراء، والنحاة، والأدباء][٤] أبي عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن علي الحنفي[٥] - رحمه الله - بحق قراءته بمضمنه القرآن [العظيم][٦] غير مرة على شيخه الإمام المسند، شيخ المقرئين ؛ أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصائغ، (ح) وقرأت به القرآن العظيم ختمتين كما تقدم[٧] ؛ بعد أن قرأته على شيخنا الإمام : أبي محمد[٨]، عبد الرحمن بن أحمد بن علي، البغدادي، الشافعي، [بحق سماعه][٩] له، وتلاوته بمضمنه ختمتين جمعا[١٠] على شيخه الإمام، مسند القراء، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصائغ، قال : قرأته حفظا، وتلوت بمضمنه على شيخي الإمام العالم

---

(١) في (أ) المحرمة .

(٢) في (ب) أخر .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن، الإمام العلامة شمس الدين بن الصائغ، ولد سنة أربع وسبعمائة بالقاهرة، وقرأ على الشيخ تقي الدين ابن الصائغ، توفي في ثالث عشر شعبان سنة ست وسبعين وسبعمائة (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٤٩).

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٧) في (أ) " كما تقدم ختمتين " .

(٨) في (أ) " أبي عبد الله محمد " وهو تصحيف، والصواب ما أثبته .

(٩) ما بين المعقوفتين في (ب) [بسماعه] .

(١٠) في (ب) " جما " وهو تصحيف .

[الصالح][١] : كمال الدين، [أبي الحسن][٢] بن شجاع بن [سالم][٣]، الضرير، وتقي الدين، أبي القاسم، عبد الرحمن بن مرهف بن عبد الله بن ناشرة[٤]، قالوا : - أعني المليجي[٥]، والضرير، وابن ناشرة[٦] -، أخبرنا به أبو الجود، غياث بن فارس اللخمي[٧]، قراءة، وتلاوة، زاد الكمال الضرير فقال[٨]: أخبرنا به : عبد الغني بن علي بن إبراهيم النحاس[٩]، قراءة، وتلاوة قالا[١٠]: أخبرنا به أبو الفتوح ، ناصر بن الحسن بن إسماعيل

---

(١) ما بين المعقوفتين سقطت من (أ) .

(٢) ما بين المعقوفتين في (أ) أبي الحسين، وفي (ب) أبو الحسن، والصواب ما اثبته.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، هو : علي بن شجاع بن سالم بن علي، كمال الدين الضرير، صهر الشاطبي، ولد سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وقرأ على الشاطبي، وروى ابن الوزيري، مات في سنة إحدى وأربعين وستمائة. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٤٣).

(٤) عبد الرحمن بن مرهف بن ناشرة، أبو القاسم الناشري، الشافعي، ولد سنة ثمانين وخمسمائة، وأخذ القراءات عن أبي الجود، وتصدر بالجامع العتيق، قرأ عليه بالروايات ابن الصائغ، مات سنة إحدى وستين وستمائة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٦٨، معرفة القراء الكبار ٣٢٥/١).

(٥) في (أ) المليحي .

(٦) في (ب) ناشر، وهو تصحيف .

(٧) غياث بن فارس بن مكي بن عبد الله، أبو الجود، ولد سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وقرأ على أبي اليمن بن عيسى وغيرهم، توفي في تاسع رمضان سنة خمس وستمائة، (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٧٧، معرفة القراء الكبار ٢٩٩/١)

(٨) في (ب) قال .

(٩) قال عنه في الغاية : عبد الغني بن علي بن إبراهيم أبو القاسم النحاس، قرأ بمضمن العنوان على الشريف الخطيب وسمعه منه، وقرأ بمضمن التجريد على أبي جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن حموشة القلعي عن مؤلفه. (غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٧٦).

(١٠) في (أ) قال، والصواب ما أثبته .

الشريف[١]، الخطيب، قال : أخبرنا أبو الحسن يحيي بن علي بن الفرج الخشاب[٢] سماعا و[٣]تلاوة، قال : أخبرنا مؤلفه الإمام أبو الطاهر، إسماعيل بن خلف المقرئ .

وقرأت بمضمنه من أول القرآن العظيم إلى قوله - تعالى - ﴿ إِنَّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ في سورة النحل[٤]، وفي إجازتي إلى آخر النحل سهو[٥] على شيخنا [الإمام الأستاذ][٦] أبي بكر عبد الله بن أيدغدي[٧]، الشمسي[٨]، بحق[٩] قراءته بمضمنه على الشيخين : أبي حيان، والصائغ، بسندهما[١٠] المتقدم .

---

(١) ناصر بن الحسن بن إسماعيل بن زيد، أبو الفتوح، المعروف بالشريف الخطيب، قرأ على محمد بن مسبح الفضي، قرأ عليه أبو الجود غياث ابن فارس، توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٢١، معرفة القراء الكبار ١/ ٢٦٦) .

(٢) يحيى بن علي بن الفرج، أبو الحسين المصري، يعرف بابن الخشاب، قرأ على أحمد ابن نفيس، قرأ عليه أحمد بن خلف الأنصاري، مات سنة أربع وخمسمائة(غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٤٢، و معرفة القراء الكبار ١/٢٣٦) .

(٣) في (ب) أو .

(٤) الآية / ٩٠.

(٥) في (ب) " سو "، وهو تصحيف .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٧) في (ب) أيدغلي، وهو تصحيف، هو : أبو بكر بن أيدغدي بن عبد الله الشمسي، الشهير بابن الجندي، ولد سنة تسع وتسعين وستمائة بدمشق، قرأ على التقي الصائغ، قرأ عليه ابن الجزري، توفي سنة تسع وستين وسبعمائة (غاية النهاية ١ / ٧٨) .

(٨) في (أ) السمسي، وهو تصحيف .

(٩) في (ب) نحو، وهو تصحيف .

(١٠) في (أ) " مسندهما "، وهو تصحيف .

وهذه ترجمة مؤلف العنوان فأقول :

هو أبو الطاهر، إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، الأنصاري، الأندلسي، ثم [المصري][1]، المقرئ، النحوي، قرأ على الإمام عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي[2] بالروايات الكثيرة بالجامع العتيق بمصر، وألف كتابي الاكتفاء[3]، والعنوان في القراءات[4]، واختصر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، وتصدر زمانًا بمصر لتعليم القراءات والعربية، وكان رأسًا فيهما، أخذ عنه ابنه جعفر، وأبو الحسين[5] /اب/ بن الخشاب، وجماهر[6] بن عبد الرحمن الفقيه، وجماعة، وتوفي في أول المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٢) عبد الجبار بن أحمد بن عمر بن الحسن أبو القاسم الطرسوسي، أخذ القراءة عن أبي أحمد السامري، قرأ عليه القراءات أبو الطاهر صاحب العنوان، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي سنة عشرين وأربعمائة. (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٥٧).

(٣) طبع بتحقيق الدكتور / حاتم الضامن بدار نينوي .

(٤) طبع بتحقيق الدكتور زاهر الزاهد، والدكتور خليل العطية بعالم الكتب .

(٥) في (ب) ابن الحسين، وهو تصحيف، وهو : يحيى بن علي بن الفرج أبو الحسين المصري يعرف بابن الخشاب، قرأ على أبي الطاهر ابن خلف مؤلف العنوان به، قرأ عليه أحمد بن خلف الأنصاري، مات سنة أربع وخمسمائة (انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٤٢، معرفة القراء الكبار ٢٣٦/١) .

(٦) في (ب) " وجماعة "، وهو تصحيف، وهو : جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر الحجري روى عن أبي محمد بن ذنين، توفي سنة ستٍ وستين وأربع مائة (الصلة ١ / ٤٢).

باب البسملة[١]

ورش، وأبو عمرو، كحمزة[٢] بالوصل، وابن عامر بالبسملة كالباقين .

سورة أم القرآن

أشم خلاد ﴿ صِرَٰطَ ﴾[٣] الثاني كالأول[٤] .

وحذف الصلة من ميم الجمع قالون؛ فــقرأ بالإسكان وجهًا واحدًا[٥].

---

(١) لا خلاف بين القراء في قراءة البسملة في أول الفاتحة في الوصل والابتداء، ولا خلاف في تركها أول براءة في حال الوصل والابتداء، واختلفوا فيما عدا ذلك ففي الشاطبية قال :

وبسمل بين السورتين بــسنة رجال نــموها دريــة وتحملا
ووصلك بين السورتين فصاحة وصل واسكتن كل جلاياه حصلا
ولا نص كلا حب وجه ذكرته وفيها خلاف جيده واضح الطلا

ونَصَّ صاحب العنوان على ما ذكره ابن الجزري في ص : ٦٥ من المطبوع حيث قال : "فقرأ أبو عمرو، وحمزة، وورش بغير فصل بين السورتين ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع القرآن، والباقون بالفصل بينهما في القرآن كله " .

فقد قرأ ورش وأبو عمرو بغير فصل بالبسملة بين السورتين من طريق القصيدة والعنوان وزاد الشاطبي البسملة لورش، ولا نص عن أبي عمرو، وقرأ ابن عامر بالفصل بالبسملة من طريق العنوان وبغير فصل بالبسملة من طريق القصيدة، وزاد في القصيدة ولا نص عنه .

(٢) في (أ) وحمزة .

(٣) الفاتحة /٦.

(٤) قال في العنوان ص: ٦٧ : " وأشم خلاد في هذه السورة فقط "، أي أن خلاد عن حمزة قرأ في حرفي ﴿ **الصراط** ﴾، و﴿ **صراط** ﴾من سورة الفاتحة فقط بإشمام الصاد زاي، وفي القصيدة قرأ بإشمام الحرف الأول فقط قال الإمام الشاطبي : " واشمم لخلاد الاولا ".

(٥) قالون له في ميم الجمع إذا وقعت قبل محرك من القصيدة التخيير بين الإسكان أوالضم والصلة قال الشاطبي : " وصل ضم ميم الجمع قبل محرك دراكا وقالون بتخييره جلا "

أما من طريق " العنوان " فله الإسكان قولاً واحدًا، انظر العنوان ص: ٤١.

الإدغام الكبير[1]

لا يدغم أبو عمرو شيئًا من المتحرك سوى ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ ﴾[2] فبكماله على أصله.

هاء الكناية

[أشبع هشام[3] الهاء في : ﴿يُؤَدِّهِ﴾ في الموضعين[4]، و ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ في الثلاثة[5]، و﴿ نُوَلِّهِ ﴾[6]، و﴿ وَنُصْلِهِ ﴾[7]، و ﴿ فَأَلْقِهْ ﴾[8]، و][9] أشبع هشام [وخلاد][10] ﴿وَيَتَّقْهِ ﴾[11]، واتفق القراء على إشباع

(١) أي أن الإمام الشاطبي زاد في الشاطبية باب الإدغام الكبير، ولم ينص عليه في العنوان فليس من طريقه الإدغام الكبير .

(٢) النساء /٤١، قال في العنوان ص: ٨٥ : " ﴿ بيت طائفة ﴾ بالإدغام أبو عمرو وحمزة .

(٣) أي أن هشام وصل هاء الكناية بياء في الوصل في هذه المواضع المنصوص عليها عاليه من طريق العنوان انظر باب هاء الكناية هناك ص: ٤٢، أما في القصيدة فقد قصر هشام الياء بخلاف عنه في ذلك كله قال الشاطبي :   وسكن يؤده مع نوله ونصله   ونؤته منها ....
حتى قال :   وفي الكل قصر الهاء بان لسانه   بخلف ....

(٤) آل عمران /٧٥ .

(٥) آل عمران / ١٤٥، موضعان، الشورى /٢٠ .

(٦) النساء / ١١٥.

(٧) النساء /١١٥.

(٨) النمل /٢٨.

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ) .

(١١) النور/٥٢، لخلاد من طريق الشاطبية إسكان الهاء أو الكسر والصلة قال في الشاطبية : " ويتقه حمى صفوه قوم بخلف "، وفي العنوان قال ص: ١٣٩"ويتقه بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء حفص، الباقون بكسر القاف، وأسكن الهاء الأبوان،واختلس كسرتها قالون، ووصلها الباقون بياء".

﴿يَأۡتِهِۦ﴾[١] في طه، وأسكن ﴿يَرۡضَهُ﴾[٢] أبو عمرو وحده، واختلس[٣] هشام وجهًا واحدًا مع من اختلس، واختلف عن أبي بكر فاختلس وسكن[٤].

المد والقصر

أطـــول القراء مـــدا في الضربيـــن[٥]ورش ، وحمزة ، ودونهما الباقون [مـــدًا][٦] وســـطًا، وقـــصر المنـــفصل قالون ، والدوري مع مـــن

---

(١) طه /٧٥، قرأ قالون وهشام ﴿ **ومن يأته** ﴾ في سورة طه بكسر الهاء مع القصر أو الوصل فذلك وجهان، وقرأ السوسي بإسكان الهاء من طريق القصيدة قال :

.... ويأته لى طه بالاسكان يجتلا

وفي الكل قصر الهاء بان لسانه بخلف وفي طه بوجهين بجلا

ولم يذكر في العنوان ﴿ **ومن يأته** ﴾ في الأصول أو الفرش، ولكنه قال في أصل العنوان الذي هو كتاب الاكتفاء ص: ١٩٩ طبع دار نينوي " وكلهم قرأ ﴿ **ومن يأته مؤمنا** ﴾ بوصل الهاء بياء في اللفظ "، أي أنه قرأ بالإشباع مثل باقي القراء، والله أعلم .

(٢) الزمر/٧ .

(٣) في (ب) وبالعكس .

(٤) الدوري عن أبي عمرو أسكن الهاء من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وهو السكون أو الضم مع الصلة، وقرأ هشام من طريق العنوان بضم الهاء مع القصر، ومن القصيدة له الخلف بين السكون أو القصر مع الضم، أما أبو بكر فبضم الهاء والقصر من طريق القصيدة، وله من العنوان ثلاثة أوجه : السكون أو الضم مع القصر أو الضم مع الصلة قال في الشاطبية :

وإسكان يرضه يمنه لبس طيب بخلفهما والقصر فاذكره نوفلا

وفي العنوان ص: ١٦٥ قال : " ﴿ **يرضه** ﴾ بإسكان الهاء أبو عمرو، وأبو بكر بخلف عنه، واختلس ضمتها نافع، وعاصم بخلف عن أبي بكر، وحمزة، وهشام، ووصلها الباقون بواو " .

(٥) في (ب) المصريين، وهو تصحيف، والمراد بالضربين المد المتصل والمد المنفصل.

(٦) ما بين المعقوفتين (أ) زائد في (أ) .

قصر[1].

وأشبع ورش المد في ﴿ ءَامَنَ ﴾ وشبهه، وجهًا واحدًا، ولم يستثن [له شيئًا][2]، وعبارته في غاية الإشكال[3]، ولكن أجمع من قرأت عليه من الشيوخ على أن يُسْتَثْنَى له ما استثناه الشاطبي، سوى ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ فبالمد كالباب لأنه مَثَّلَ به[4] .

وأطلقوا[5] المد في ﴿ يُؤَاخِذُ ﴾، و ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾ في يونس[6] معا، و ﴿ عَادًا

---

(١) قال صاحب العنوان ص ٤٣ : " وأطولهم مدًا حمزة وورش " وبين ذلك في الاكتفاء فقال ص: ٣٢: " غير أنهم يتفاضلون في المد ؛ فأشبعهم مدًا حمزة وورش، ثم عاصم دون مذهبهما قليلاً، ثم ابن عامر والكسائي دون مد عاصم قليلاً، وهذا الإشباع الذي يتفاضلون فيه إنما هو على التقريب، من غير تمطيط ولا إسراف " . أما من طريق القصيدة فعنهما خلاف بين القصر والمد والتوسط قال الإمام الشاطبي :

إذا ألف أو ياؤها بعد كسرة أو الواو عن ضم لقى الهمز طولا
فإن ينفصل فالقصر بادره طالبا بخلفهما يرويك درا ومخضلا

(٢) في (أ) سقط ما بين المعقوفتين .

(٣) قال في العنوان ص ٤٤ : " وكان ورش يشبع المد في حروف المد واللين الواقعة بعد الهمزة نحو ﴿ **آمنا** ﴾، **و** ﴿ **آدم** ﴾ . . . . . **و** ﴿ **إسرائيل** ﴾ وما أشبه ذلك " وكذلك في الشاطبية جعل له القصر والتوسط والمد قال الإمام الشاطبي :

وما بعد همز ثابت أو مغير فقصر وقد يروى لورش مطولا
ووسطه قوم كآمن هؤلاء آلهة آتى للايمان مثلا

(٤) نص الشيخ أبو طاهر على مد ﴿ **إسرائيل** ﴾ كما في الفقرة السابقة حيث نص على الكلمة ومثل بها للباب، واستثناه الشاطبي رحمه الله حيث قال :

سوى ياء إسرائيل أو بعد ساكن صحيح كقرآن ومسئولاً اسئلا

(٥) في (أ) وأطلق .

(٦) يونس /٥١، ٩١، في (ب) بيونس .

﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾[١] بالنجم، طردًا للباب ؛ لا أعلم بينهم في ذلك خلافًا، وبه قرأت.

إلا أن المحققين منهم كانوا يستثنون ﴿يُؤَاخِذُ﴾ كيف وقع ؛ وبه آخذ.

وفي ﴿ عين ﴾ لجميع القراء التوسط وجهًا واحدا في الموضعين[٢] .

[ولم يمد ورش][٣] من حروف اللين قبل الهمز سوى ﴿شَىۡءٍ﴾[٤] كيف أتت، ووافقه على المد فيها حمزة فلم يسكت،[ومدها مدًا متوسطًا] [٥].

باب الهمزتين من كلمة

في المفتوحتين ورش بالتسهيل من غير بدل كقالون وغيره[٦]، وهشام

---

(١) النجم / ٥٠.

(٢) أجمع القراء على تمكين العين من الحروف المقطعة ﴿ **كهيعص، حم عسق** ﴾ من أجل حرف اللين من طريق العنوان قال في العنوان ص٤٢ بعد ذكره الإجماع على التمكين :" ولا يمدون لأنه ليس بحرف مد " وقال في القصيدة :

ومد له عنـــد الفواتح مشبعا   وفي عين الوجهان والطول فضلا

(٣) في (ب) (والمد يمد)، وهو تصحيف .

(٤) سقطت (شيء) من (ب) .

(٥) ما بين المعقوفتين في (ب) (ومدهما مد متوسط)، والصواب ما أثبته، قال في العنوان ص٦٨ :" ﴿**على كل شيء قدير** ﴾ بالمد في هذه الكلمة كيف تصرفت حمزة وورش " فحمزة من العنوان بالمد وهو بالسكت قليلا من طريق الشاطبية بخلاف عن خلاد، وقرأ ورش بالمد من طريق العنوان وبالمد والتوسط من طريق القصيدة قال الشاطبي :

ويسكت في شيء وشيئًا وبعضهم   لدى اللام للتعريف عن حمزة تلا

وشيء وشيئًا لم يزد ....

(٦) قرأ ورش بتسهيل الهمزة الثانية من المفتوحتين من طريق العنوان قال أبو طاهر ص ٤٤ " وأما المفتوحتان نحو ﴿ **أأنذرهم** ﴾ فقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتليين الثانية فتصير كالمدة في اللفظ "، وعن ورش خلاف من طريق القصيدة وهو التسهيل أو البدل قال الإمام الشاطبي :

وقل ألفًا عن أهل مصر تبدلت   لورش وفي بغداد يروى مسهلا

بالتسهيل وجهًا واحدًا ؛ وهو على أصله في إدخال الألف[1] .

وقول العنوان في الأعراف في قراءة قنبل في ﴿ءَامَنتُم﴾[2] يقتضي أن يكون بواو[3] بعدها ألف محضة ؛ وبذلك قرأت، وهذا في الوصل، وأما في الابتداء فالذي قرأت به : تحقيق الأولى، وتسهيل الثانية فقط[4] .

---

(١) قرأ هشام بتسهيل الثانية من المفتوحتين من طريق العنوان كما نص في العنوان في الفقرة السابقة، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو التسهيل والتحقيق قال الإمام الشاطبي : " **وبذات الفتح خلف لتجملا** "، واتفقت القصيدة مع العنوان على المد لهشام بين الهمزتين المفتوحتين، وإنما الخلاف في تسهيل الثانية أو تحقيقها، قال في العنوان ص٤٤: " غير أن أبا عمرو وقالون وهشام أطولهم مدًا لأنهم يدخلون بينهما مدًا " .

(٢) الأعراف /١٥٣ .

(٣) في (أ) (واو) .

(٤) قال صاحب العنوان ص٩٧ : " ﴿ **قال فرعون وآمنتم به** ﴾ بواو موضع الهمزة بعدها ألف هاهنا فقط قنبل ... " قال الإمام يحيى بن أحمد الأندلسي في كتابه : البيان في الجمع بين الشاطبية والعنوان ص (٤/ب) : وفي ذلك نظر، قال في التيسير : " قنبل ﴿**قال فرعون آمنتم به** ﴾ يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير ألفين " انتهى قلت بتوفيق الله تعالى : والذي ذكر صاحب التيسير هو الصواب وبالله التوفيق، واعلم أن الهمزة المفتوحة يعبر عن تسهيلها بين بين وهو القياس والعرف وعليه جرت القصيدة، ومنهم من يعبر عنها بالمد كما تقدم وقد عبر عنها في العنوان بالمد والله أعلم، قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله في تأليفه المسمى بالتذكار : قال أبو الفتح بن شيطا ولم أقرأ على شيوخي في قراءة من مذهبه تليين الهمزة الثانية من هذا الباب إلا بإبدالها ألفا ولا لفظ لي بها إلا كذلك، والصواب الصحيح الموافق لتراجم القراءات هو أن تكون الهمزة ملينة الصوت على حركتها مخففة لا فرق بينهما إلا تليين صوتها فقط وهذا بين بالمشافهة، فأما الأول فعلى غير القياس لأنه المعروف بالقياس، وسألت شيخنا أبو طاهر بن سوار عن تحقيق ذلك فقال : القول ما قاله أبو الفتح، والذي ذكرناه في كتابنا على سبيل التقريب على المبتدئ، وسألت أبا الكرم عن التحقيق في ذلك فقال : الذي حكاه الشيخ أبو الفتح هو مذهب النحاة، ومذهب القراء يرجع إليه مَعْناً ويخالفه لفظا، وسألت الرئيس أبا الخطاب عن ذلك فقال الذي حكاه الشيخ أبو الفتح شافهته به=

وقوله في الأحقاف في ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ [١] لهشام، وابن كثير : يحمل على أصليهما[٢].

وفي المكسورة بعد الفتح لا يفصل هشام سوى في السبعة المواضع، وسهل مع ذلك حرف فصلت وجهًا واحدًا .

و لم يدخل هشام بين الهمزتين ألفًا في ﴿أَئِمَّةَ﴾ [٣].

وفي المضمومة بعد الفتح قالون، وأبو عمرو بلا فصل، وهشام في آل عمران كحفص، وفي الباقي بالتسهيل والفصل .

وكذا ﴿أَشَهِدُواْ﴾ [٤] قالون كورش بلا خلاف .

وأما ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ [١] وبابه، فالتسهيل لكل القراء وجهًا واحدًا .

= حين قراءتي عليه فلم أر فيه فرقا بين اللفظين، لكن تخفيف التحقيق في الهمزة الثانية حكاه شيخنا أبو الفتح وعليه الاعتماد، والذي عندي في ذلك أن الذي قاله شيخنا أبو الكرم هو القول المعول عليه والتحقيق الذي يرجع إليه، انتهى ما نقلته من كتاب المبهج رحمة الله عليهم أجمعين. قال في القصيدة :

وطه وفي الأعراف والشعرا بها ءامنتم لـــلكل ثالـــثا أبدلا

(١) الأحقاف /٢٠ .

(٢) في (أ) (تحمل على أصلها)، قال في العنوان ص١٧٥ : " ﴿ **ءاذهبتم** ﴾ بهمزة بعدها مدة ابن كثير وهشام، ﴿ **أأذهبتم** ﴾ بهمزتين من غير مد ابن ذكوان، الباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر "، وقال في القصيدة :

وهمزة أذهبتم في الأحقاف شفعت بأخرى كما دامت وصالا وموصلا

(٣) التوبة /١٢ . قرأ هشام ﴿ **أئمة** ﴾ بغير مد من طريق العنوان، وعنه خلاف في المد وتركه من طريق القصيدة قال الإمام الشاطبي :

وآئمة بالخلف قـــد مـــد وحده وسهل هنا وصفا وفي النحو أبدلا

قال في العنوان : " ﴿ **أئمة** ﴾ بالهمزتين ابن عامر والكوفيون، وكذلك حيث وقعت هذه الكلمة " .

(٤) الزخرف /١٩، قال في العنوان ص : ١٧١ : ﴿ **أؤشهدوا خلقهم** ﴾ نافع، الباقون ﴿ **أشهدوا** ﴾.

وهذا معنى قول العنوان بهمزة بعدها مدة كما هو مراده[2] حيث قال في الملك في قراءة من سهل ﴿ أَأَمِنتُم ﴾ : " بهمزة بعدها مدة "[3] .

وعلى ذلك شرح[4] عبد الظاهر كلامه، وهو الحق ألا تراه قال في قراءة ورش بالنقل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾، و﴿ قُلْ ءَآللَّهُ ﴾[5]، و﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾[6]فتحركها /٢أ/ بحركتها، وتسقط الهمزة فتنطق[7] بمد يسير من غير همز إذ لا فرق في المد الساكن بين ورش وغيره ؛ وهذا واضح[8]، وقد قرأت به، وبه آخذ، وإنما نبهت على ذلك لأن بعض الناس توهم[9] أن عبارته تعطي[10] البدل، وليست[11] كذلك .

---

(١) الأنعام / ١٤٣، ١٤٤، قال في العنوان ص : ٤٦ " إلا أن ورشًا نقل حركة الهمزة إلى اللام الساكنة التي قبلها في قوله: ﴿**قل الذكرين**﴾ في الموضعين ".

(٢) في (أ) (زيادة) .

(٣) العنوان ص : ١٩٤.

(٤) في (أ) شروح، وابن نشوان سبقت ترجمته .

(٥) يونس /٥٩ .

(٦) الأنعام / ١٤٣، ١٤٤ .

(٧) في (ب) فتلفظ .

(٨) في (أ) واقع .

(٩) في (ب) تتوهم .

(١٠) في (ب) يعطي .

(١١) في (ب) وليس .

باب الهمزتين من كلمتين[١]

قرأ قالون والبزي ﴿ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا ﴾[٢] بتسهيل الأولى بين بين، وجهًا واحدًا[٣] .

وسهل الثانية من المتفقتين في الثلاثة ورش وقنبل وجهًا واحدًا، ولا فرق لورش بين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَنتَ ﴾[٤]، و ﴿ ٱلْبِغَآءِ إِنْ ﴾[٥] وبين غيرهما، ولم يذكر جواز القصر في حرف المد قبل همز مغير ؛ فالمد على الأصل[٦] .

وفي باب ﴿يَشَآءُ إِلَىٰ ﴾ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويجعلون الثانية بين

---

(١) في (ب) الهمزتين بالكلمتين .

(٢) يوسف /٥٣، قرأ قالون والبزي ﴿ **بالسوء إلا** ﴾ بتليين الهمزة الأولى كالياء المختلسة الكسر من العنوان ص: ٤٧ " وقرأ أبو عمرو: بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية فتحصل في قراءته مدة واحدة قبل الهمز فقط، وتابعه البزي وقالون في المفتوحتين لا غير، وقرأ في المكسورتين و المضمومتين بتليين الأولى، وتحقيق الثانية، فتصير الأولى من المكسورتين كالياء المختلسة الكسرة، ومن المضمومتين كالواو المختلسة الضمة "، وعنهما من طريق القصيدة وجهان : الأول : إبدال همزة الأولى واوا ، وإدغام الواو الساكنة فيها ، والثانية تسهيل الهمزة الأولى وتحقيق الثانية على أصلهما في المكسورتين قال في القصيدة :

وبالسوء إلا أبدلا ثم أدغما   وفيه خلاف عنهما ليس مقفلا

قال الفاسي في شرحه على الشاطبية : ويقال إن الإبدال عن قالون أكثر، والتسهيل عن البزي أشهر .

(٣) العبارة في (ب) بها تقديم وتأخير .

(٤) البقرة / ٣١.

(٥) النور /٣٣.

(٦) قال في العنوان ص : ٤٧ " فقرأ قنبل وورش بتحقيق الأولى، وتليين الثانية فتحصل في قراءتهما مدتان: مدة قبل الهمزة، ومدة بعدها. غير أن المدة الأولى أطول لأنها ألف محضة، والثانية: ليست ألفًا محضة، ولا ياءً ولا واوًا، وإنما هي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها ".

الهمزة[1] والياء وجهًا واحدًا[2] .

الهمز المفرد[3]

عبارة العنوان في ﴿الذيب﴾[4] في يوسف توهم[5] أن السوسي يحققها[6]، وليس كذلك، بل هو على أصله في ترك الهمزة[7] .

---

(١) ما بين المعقوفتين في (ب) الهمز .

(٢) قرأ الحرميان وأبو عمر ﴿ **يشاء إلى** ﴾ وما أشبهه بتسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء من العنوان ص: ٤٧ قال : " وأما المختلفتا الحركتين، فقرأ الحرميان وأبو عمرو بتحقيق الأولى، وتليين الثانية. فإن كانت الثانية مفتوحة، وقبلها ضمة أو كسرة، قلبوها حرفا من جنس حركة ما قبلها نحو: ﴿**السفهاءُ إلا، و أَن لو نشاءُ أصبناهم**﴾ هذه واو محضة، و﴿**من الشهداء أن تضل وهؤلاء أضلونا**﴾ هذه ياء محضة.وإن كانت الثانية مكسورة، أو مضمومة جعلوها من الهمزة والحرف الذي منه حركتها ولم يحفلوا بحركة ما قبلها نحو: ﴿**الشهداء إذا ما والبغضاء إلى و جاء أمة** ﴾ وما أشبه ذلك " ولهم من القصيدة ثلاثة أوجه وهي : إبدال الثانية واوًا، أو بالتسهيل بين الهمزة والياء أو بالتسهيل بين الهمزة والواو وهذا الثالث يفهم من لفظ القصيدة، قال الإمام الشاطبي :

وتسهيل الاخرى في اختلافهما سما   تفئ إلى مع جاء أمة أنزلا
نشاء أصبنا والسماء أو أئتنا   فنوعان قل كالياء وكالواو سهلا
ونوعان منها أبدلا منهما وقل   يشاء إلى كالياء أقيس معدلا
وعن أكثر القراء تبدل واوها   وكل بهمز الكل يبدا مفصلا

(٣) في (أ) الهمزة المفرد .

(٤) يوسف / ١٣، ١٤، ١٧ قال في العنوان ص: ١١٠ : "﴿ **الذيب**﴾ بغير همز الكسائي وورش " .

(٥) في (ب) يوهم .

(٦) في (ب) تحققها .

(٧) في (ب) الهمز، انظر العنوان ص ٥١، وما بعدها، قال في آخرها :" والذي قرأت به لأبي عمر الدوري بالهمز وللسوسي بغير همز " .

ونص على الهمز في ﴿ يألتكم ﴾[١] لأبي عمرو بكماله، وهو مخصص بما تقدم في بابه، والبدل للسوسي .

وكذلك نصه على ﴿لُؤْلُؤٌ ﴾[٢] في [الحج لأبي بكر فخص][٣] بما تقدم أيضًا.

باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها

لا ينقل[٤] ورش ﴿كِتَٰبِيَهْ إِنِّي ﴾[٥] أي في الحاقة وجهًا واحدًا، ولم يذكر وجه الاعتداد بالعارض في الابتداء فيبدأ بالأصل مطلقًا .

[و][٦] لا ينقل حمزة إلى[٧] شيء مما ينقل [إليه][٨] في الوقف مما كان من كلمتين أو في حكمهما وجهًا واحدًا،ويسكت على الساكن الصحيح أو ما في حكمه على ما كان من كلمتين،أو ما في حكمه حمزة في روايته وجهًا واحدًا وقفًا ووصًلا نحو:﴿ ٱلْأَخِرَةُ ﴾[٩]،﴿مَنْ ءَامَنَ ﴾، ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ ﴾، وإن

---

(١) الحجرات /١٤، قال في العنوان ص ١٧٨ :"﴿ **لا يألتكم** ﴾ بالهمز أبو عمرو ".

(٢) الطور /٢٤ .

(٣) في (ب) [في الجمع لأبي بكر مخصص] .

(٤) في (أ) يقولب، وهو تصحيف .

(٥) الحاقة / ١٩،٢٠، وفي (ب) كتابته، وهو تصحيف، أي يقرأ ورش ﴿**كتابيه إني**﴾ بتحقيق الهمزة من غير نقل قال في العنوان ص ٤٨:" ... ﴿**كتابيه**﴾إلا في الحاقة فإنه لا ينقل إليها حركة الهمزة "، وقال الشاطبي : "... وكتابيه بالاسكان عن ورش أصح تقبلا ".

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٧) في (أ) في .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٩) في (ب) بالآخرة .

كانت عبارته عامه فتمثيله بهذا[١] تخصيص بما[٢] قيدنا، هكذا قرأنا[٣] .

أما ﴿شَيْـًٔا﴾ كيف تصرف [فقد][٤] تقدم أنه يمد عليه وسطًا كورش.

باب وقف حمزة وهشام على الهمز[٥]

يقف[٦] حمزة على ﴿وَرِءْيًا﴾[٧] وشبهه، ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾[٨]، و﴿تُـْٔوِيهِ﴾[٩] بالإدغام وجهًا واحدًا .

وفي الأصل من الواو، والياء إذا سكن قبل الهمز النقل فقط مثل ﴿شاء، وسوء﴾[١٠]، ونحوه .

وفي المتطرف بعد الألف ﴿كالسماء، ويشاء﴾ البدل ليس إلا [يمد مدًا مشبعًا من أجل الألفين ؛ أو على الأصل][١١] .

---

(١) في (ب) هذا .

(٢) في (ب) كما .

(٣) في (ب) أقرأنا .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) في (ب) وقف حمزة وهشام .

(٦) في (ب) يقصر .

(٧) مريم / ٧٤ .

(٨) الأحزاب / ٥١،

(٩) المعارج /١٣ .

(١٠) في (ب) [ومن سوه] .

(١١) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ) قال في العنوان ص٥٥ :" فإن كانت الهمزة التي بعد الألف متطرفة قلبها ألفا على كل حال بأي حركة تحركت لسكونها في الوقف وانفتاح ما قبل الألف التي قبلها، لأن الألف ليست بحاجز حصين فكأن الفتحة قد وليت الهمزة نحو ﴿ **يشاء**﴾، و ﴿ **من ماء** ﴾، =

وفي المتطرف المتحرك بعد متحرك البدل بحركة ما قبلها بنية[١] السكون للوقف .

ولم يذكر رومًا، ولا إشمامًا إلا حالة النقل بالمتطرف، وفي [نحو][٢] : ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾، و﴿ سئل ﴾ التسهيل بحركة الهمزة فقط .

ولم يذكر تخفيفًا بحسب اتباع الرسم .

ولم يذكر كسرًا في نحو : ﴿أَنْبِئْهُم﴾[٣] .

ولم يذكر في المتوسط بزائد تسهيلاً فالتحقيق[٤] ليس إلا .

مثل حمزة في المتطرف بحسب ما تقدم .

الإظهار والإدغام

أظهر خلاد ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٥] .

[وأدغم ابن ذكوان ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ بلا خلاف][٦] .

= و ﴿ **شهداء** ﴾ ويمد مدًا طويلا لاجتماع الألفين" وقال الشاطبي:

ويـــبدله مهما تطرف مثـــله ويقصر أو يمضي على المد أطولا

(١) في (ب) بقية، وهو تصحيف .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٣) لم يذكر صاحب العنوان كسر الهاء في ﴿ **أنبئهم، ونبئهم** ﴾، وقال في القصيدة :

ومـــا واو أصلي تسكن قبـــله أو الياء عن بعض بالادغام حملا

(٤) في (أ) بالتحقيق .

(٥) الأحزاب / ١٠، قرأ خلاد بإظهار ذال إذ عند الزاي في هذا الموضع، قال في العنوان ص٥٦ :" زاد خلاد إظهارها عن الزاي في قوله: ﴿**وَإِذ زاغَت الأبصار**﴾ لا غير "، وقرأ من طريق القصيدة بالإدغام.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

ويظهر[1] ابن ذكوان حروف (سجز) ؛ - السين، والجيم، والزاي/٢ب/ - حيث أتت، وأدغمها عند ذلك هشام بلا خلاف[2] .

وأدغم هشام ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾[3] فلم يفرق بينه وبين غيره[4] .

وأظهر خلاد ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ بغير خلاف[5] .

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾[6] أظهره خلاد بغير خلاف[7] .

حروف قربت مخارجها

أدغم[8] أبو عمرو الراء الساكنة في اللام بلا خلاف[9] .

---

(١) في (أ) وأدغم .

(٢) قرأ هشام بإدغام تاء التأنيث عند ثلاثة أحرف هي حروف (سجز) السين، والجيم، والزاي من طريق العنوان ص ٥٧: " قرأ الأخوان أبو عمرو وهشام بالإدغام فيها كلها "، وقرأها من طريق القصيدة بالإظهار .

(٣)الحج / ٤٠.

(٤) قرأ هشام ﴿ **لهدمت صوامع** ﴾ بالإدغام من طريق العنوان ص : ٥٧، كما بالنص السابق من العنوان، ومن طريق القصيدة بالإظهار قال الإمام الشاطبي :" وأظهر راويه هشام لهدمت " .

(٥) قرأ خلاد ﴿ **بل طبع** ﴾ في النساء / ١٥٥ بالإظهار من طريق العنوان ص: ٥٧، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : " وبل في النسا خلادهم بخلافه " .

(٦) الحجرات / ١١ .

(٧) هذه الترجمة مكانها في الباب التالي حيث جعلها الإمام الشاطبي في أول بيت من حروف قربت مخارجها للتقارب بين الباء والفاء، قرأ خلاد ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ بالإظهار من طريق العنوان ص٥٧، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : " وخير في يتب قاصدا ولا " .

(٨) في (ب) (و) زائدة .

(٩) قرأ أبو عمر الدوري عن أبي عمرو بإدغام الراء الساكنة في اللام من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال : " والراء جزمًا بلامها كواصبر لحكم طال بالخلف ".

وأظهر ورش النون من ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ بلا خلاف[١] .

وأظهر ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[٢] ورش، وحمزة بلا خلاف ، وأدغمه الباقون بلا خلاف [عن][٣] أحد منهم[٤] .

وأظهر ﴿يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ﴾[٥] قالون بغير خلاف،وعاصم[مع من أظهر][٦] .

وأظهر ﴿ يُعَذِّبُ مَن ﴾[٧] في البقرة، حمزة مع ورش[٨]، والباقون بالإدغام وجهًا واحدًا سوى من رفع[٩] .

(١) قرأ ورش ﴿ **ن والقلم** ﴾ بالإظهار من طريق العنوان قال ص١٩٥ :" أدغم النون في الواو ابن عامر والكسائي، وأبو بكر وأظهرها الباقون "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال :" ونون وفيه الخلف عن ورشهم جلا " .

(٢) هود /٤٢ .

(٣) في (ب) من .

(٤) قال في العنوان : ص١٠٧ " ﴿ **اركب معنا** ﴾ بإظهار الباء ورش وحمزة "، وقرأ قالون والبزي وخلاد بوجهين من طريق القصيدة قال الشاطبي :" وفي اركب هدى بر قريب بخلفهم " .

(٥) الأعراف /١٦٧.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة في (ب)، قرأ قالون وعاصم ﴿ **يلهث ذلك** ﴾ بالإظهار من العنوان ص٩٨ قال :" ﴿ **يلهث ذلك** ﴾ بالإظهار الحرميان وعاصم وهشام، وقرأها عاصم وقالون بخلاف عنه من القصيدة قال الشاطبي : " يلهث له دار جهلا وقالون ذو خلف " .

(٧) البقرة /٢٨٤.

(٨) في (ب) [بالإظهار] زائدة، ولا معنى لها .

(٩) قرأ حمزة ﴿ **ويعذب من يشاء** ﴾ بالإظهار من العنوان مع ورش قال ص٧٦ :" وأظهر الباء ورش وحمزة "، وقرأ بالإدغام من طريق القصيدة قال الشاطبي :

" ...وفي البقرة فقل يعذب دنا بالخلف جودا وموبلا " .

الفتح والإمالة وبين اللفظين

هذا الباب مشكل في العنوان، وما يخلو[١] من تقصير في العبارة، وها أنا أوضحه لك على حسب ما قرأت به، وما يظهر لي من التصحيح[٢] في ذلك فأقول :

أمال نافع بكماله كلما اتفق على إمالته حمزة والكسائي بين بين من ذوات الياء، براء[٣] كان أو بغير راء[٤]، [إلا ما استثنيته فيما بعد][٥] .

وكذلك ﴿أَحْيَا﴾ كيف وقع بين بين له[٦] .

وكذلك ﴿أَعْمَىٰ﴾ حيث وقع .

وقول العنوان في سورة الإسراء : " وأما الذي في طه فإن[٧] معناه الذي [ليس][٨] برأس آية، وهو الثاني "[٩]، هذا هو الصواب، والله أعلم .

---

(١) في (أ) (يح) .

(٢) في (ب) الصحيح .

(٣) في (ب) سيرا .

(٤) في (ب) نداء .

(٥) ما بين المعقوفتين في (أ) [إلا فيما استثنيته]، نص في العنوان لنافع بكماله على الإمالة بين بين قال ص: ٦٠ " وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين "، أما من طريق القصيد لقالون الفتح قولاً واحدًا، ولورش بوجهين من طريق القصيدة قال: "**وذو الراء ورش بين بين** "، "**وورش جميع الباب كان مقللا** ".

(٦) لمطلق قوله في العنوان ص : ٦٠ :" وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين "، أما حمزة فقال في العنوان : ص٥٩ " حمزة لم يمل إلا ما كان قبله واو فقط "، والكسائي أمال جميع ذلك .

(٧) في (أ) فإنما .

(٨) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٩) العنوان : ص ١٢٠

وأما ذوات الواو وهو ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾[١]، و ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و﴿كِلَاهُمَا﴾[٢]، فمقتضى إطلاقه أن يميله [نافع][٣] بين بين، وبه قرأت على شيخنا الإمام أبي المعالي ابن اللبان – رحمه الله – وعلى غيره، ولكن سألت شيخنا أبا محمد بن البغدادي – رحمه الله – عن ذلك فقال : كان شيخنا أبو عبد الله الصائغ يستثني هذه الثلاثة من إطلاق العنوان[٤] .

وأما ﴿تَلَىٰهَا﴾[٥]، و ﴿طَحَىٰهَا﴾[٦] و ﴿سَجَىٰ﴾[٧]، ﴿دَحَىٰهَآ﴾[٨]، وكذلك ﴿ٱلْقُوَىٰ﴾[٩] فمقتضى إطلاق العنوان إمالتها لنافع بين بين، و لم يذكر لي أحد من شيوخي الذين قرأت عليهم فيها شيئًا، والذي آخذ به فيها، وفي الثلاثة قبلها لنافع من طرق ذا الكتاب بين بين على مقتضى عبارته[١٠]، وقد نص عليها[١١] أبو عمرو الداني الحافظ في جامع البيان ، وأطلق إمالتها

---

(١) في (ب) (ألم بوا)، وهو تصحيف .

(٢) الإسراء /٢٣ .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٤) قال في العنوان ص ٢١٠ : " ﴿**وضحاها، وتلاها، وطحاها**﴾ بالإمالة، الكسائي وحده، وكذلك﴿**دحاها**﴾ في "والنازعات" و﴿**سجا**﴾ في سورة و "الضحى" وقرأ نافع، وأبو عمرو بين اللفظين في الأربعة، الباقون بالفتح، وقد ذكرنا أواخر آيالها" .

(٥) الشمس / ٢.

(٦) الشمس / ٦.

(٧) الضحى /٢.

(٨) النازعات / ٣٠.

(٩) النجم /٥.

(١٠) في (ب) قراءته .

(١١) في (أ) عليه .

لنافع[١]، وقرأت أنا بإمالتها[٢] بين بين [لقالون][٣] من طريق أبي محمد سبط الخياط في كتابه[٤] المبهج[٥] .

وفتح حمزة ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٦] في طه، وسبح ؛ لأن الفعل لم يأت بعد واو، فإنه لم يخصص الماضي كما فعل الشاطبي ؛ بل عمم، وقال :" ماضيًا /٣١أ/كان أو مستقبلاً "[٧]. قلت : وقد حكى الداني في هذين الموضعين خلافًا في جامع البيان لمجيئهما[٨] بغير واو وقال إنه قرأ بفتحهما لحمزة على أبي الفتح عن قراءته على عبد الباقي بن الحسن .

وقد انفرد[٩] العنوان عن كتاب الشاطبية بفتح ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ كيف وقعت[١٠]،و﴿مَثۡوَايَ﴾[١١]، و﴿هُدَايَ﴾، و﴿وَمَحۡيَايَ﴾[١٢]، و﴿مَّحۡيَاهُمۡ﴾[١٣]،

---

(١) أي إمالتها بين بين انظر جامع البيان ٤٤٩/١ .

(٢) في (ب) بابا، وهو تصحيف .

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٤) في (أ) كتاب .

(٥) في (ب) المنهج، وهو تصحيف، انظر المبهج ٣٥٩/١.

(٦) طه/٧٤، والأعلى /١٣.

(٧) العنوان / ٥٩.

(٨) في (أ) بمجيئهما .

(٩) في (ب) تفرد .

(١٠) قال في القصيدة :" ميلا .... ورؤياي والرؤيا ".

(١١) يوسف / ٢٣ .

(١٢) الأنعام / ١٦٢.

(١٣) الجاثية / ٢١ .

و ﴿ خطايا ﴾[١] كيف أتى، ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[٢]، و﴿ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾[٣]، و﴿ زَرْعٍ عَصَانِي ﴾[٤]، و ﴿ أَنسَىٰنِيهُ ﴾ في الكهف[٥]، و ﴿ وَأَوْصَىٰنِي ﴾[٦] بمريم، وفيها[٧]، وفي النمل[٨] ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾ لورش وجهًا واحدًا، ووافقه على فتحها قالون[٩] .

[واتفقا على فتح ﴿ مَرْضَاتِ ﴾ حيث وقع[١٠]، و ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ لهما][١١].

واتفقا على إمالة ﴿ مَجْرٜىٰهَا ﴾[١٢] بين بين لورش وحده[١٣] .

وفتح ورش ﴿ وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[١٤] كقالون، هذا ظاهر عبارته في هود، ولكن نصه في باب الإمالة يقتضي بين بين لنافع، وبه قرأت[١٥] .

---

(١) في (أ) وخطاياي،

(٢) آل عمران / ١٠٢ .

(٣) الأنعام / ٨٠.

(٤) إبراهيم / ٣٦.

(٥) الكهف /٦٣.

(٦) مريم / ٣١.

(٧) مريم / ٣.

(٨) النمل / ٣٦ .

(٩) في (أ) لقالون .

(١٠) في أربع مواضع : البقرة / ٢٠٧، ٢٦٥، النساء / ١١٤، والتحريم / ١ .

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) لهما : أي لورش وقالون .

(١٢) هود / ٤١

(١٣) في العنوان ص ١٠٧ : " مجراها، بفتح الميم وإمالة الراء الأخوان وحفص، والباقون بضم الميم وأمال الراء أبو عمرو، وقرأها ورش بين اللفظين، وفتحها الباقون " . وقال في القصيدة :" وحفصهم يوالي بمجراها وفي هود أنزلا " .

(١٤) هود / ٤١ .

(١٥) قال في العنوان في هود ص: ١٠٧ " ولم يختلفوا في ضم الميم من ﴿ **مرساها** ﴾ وأمال السين =

وكذا ﴿ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾[1] في الروم، وتخصيصه حمزة والكسائي بالإمالة لا يقتضي[2] أن نافعا يفتحها، بل هو على أصله بين بين .

وفتح السوسي، وورش ﴿أَرَىٰكَهُمۡ ﴾[3]، وظاهر عبارته مما تقدم في باب الإمالة[4] بين بين لقالون[5] .

ولم يخص[6] أبا عمرو في إمالته ذوات الياء بوزن بل بما كان رأس آية مطلقًا بين بين[7] فَعَلَى هذا تمثل بمثل[8] : ﴿ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى ﴾[9]، و﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[10] لأنه رأس آية، هكذا رأيت الشيوخ

= الأخوان "، وفي ص : ٦٠ " وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين " .

(١) الروم / ١٠ .

(٢) في (أ) تقتضي .

(٣) الأنفال / ٤٣ .

(٤) في (ب) إمالة .

(٥) قرأ ورش ﴿ **لو أراكهم** ﴾ بالفتح من طريق العنوان، وعنه خلاف من القصيدة، وسكت في العنوان عن قالون، لاندراجه تحت القاعدة العامة في الباب بأن له بين بين، قال في القصيدة : " وفي أراكهم وذوات اليا له الخلف جملا " .

(٦) في (ب) يختص .

(٧) قال في العنوان ص٦٠ " وقرأ أبو عمرو ما كان من ذلك كله رأس آية، وليس في آخره راء بعدها ياء في الخط بين اللفظين" .قال في القصيدة : وذو الراء ورش بين بين .. ..

وكيف أتت فعلى وآخر أي ما تقدم للبصري سوى راهما اعتلا "

إن أبا عمرو يقرأ بالفتح ما على وزن فعلى ما لم يكن في آخره راء أو رأس آية، وفي القصيدة له بين بين قولاً واحدًا .

(٨) في (ب) (نخيل مثل).

(٩) الكهف / ١٣ .

(١٠) محمد / ١٩ .

المصريين يذكرون، وأما شيخنا أبو المعالي بن اللبان الدمشقي فأوقفته على عبارة صاحب العنوان، وقلت له :"إن مقتضى ذلك أن لا تختص[١] رؤوس الآي بالإحدى عشرة سورة بل حيث جاءت رأس آية على أي وزن كانت[٢] يميلها أبو عمرو بين بين "، فقال لي – معناه – :" إن هذا من العام الذي أريد به الخصوص، وأن صاحب العنوان لا[٣] يريد بهذه العبارة إلا[٤] رؤوس آي الإحدى عشرة سورة "، ثم إنه – رحمه الله – أقرأني بفتح ذلك لأبي عمرو .

وخُصَّ أبو عمرو في إمالته ذوات الراء بما رسم بالياء، فَعَلَى هذا[٥] يفتح أبو[٦] عمرو ﴿ تَتْرَا ﴾[٧] حال[٨] الوقف وجهًا واحدًا، كما نص عليها في موضعها[٩]، ونص على إمالتها بين بين لورش وحده، وعلى فتحها لقالون[١٠].

(١) في (أ) تخص .

(٢) في (أ) كان .

(٣) في (أ) سقطت (لا) .

(٤) في (أ) سقطت (إلا) .

(٥) في (أ) سقطت (هذا) .

(٦) في (ب) أبا .

(٧) المؤمنون / ٤١ .

(٨) في (ب) حالة .

(٩) في (ب) موضعها .

(١٠) ﴿ **تترى** ﴾ قرأها أبو عمرو بالفتح من طريق العنوان، وعنه ثلاثة أوجه من طريق القصيدة : الفتح، وبين بين، والإمالة المحضة، ووقف أبو عمرو على تترى بوجهين من طريق القصيدة وهي الفتح والإمالة المحضة،قال في العنوان ص ١٣٦:"﴿ **تتراً** ﴾ بالتنوين،ابن كثير وأبو عمرو ويقفان بالألف=

وفتح الدوري عن أبي عمرو ﴿ وَيْلَتَى ﴾، و﴿أَنَّى ﴾، و﴿حسرتى﴾، و ﴿ أَسَفَى ﴾ وغيره على أصولهم المتقدمة[١] .

وفتح ابن ذكوان ﴿ زَادَ ﴾ كيف أتى به [في][٢] القرآن وجهًا واحدًا[٣] غير أول البقرة[٤] .

وأمال[٥] الألفات التي قبل راء[٦] طرف بين بين مطلقًا كـــ ﴿ٱلنَّارَ ﴾، و ﴿ٱلنَّهَارِ ﴾[٧]، و﴿ٱلْقَهَّارُ ﴾[٨]، و﴿ٱلدَّارُ ﴾ حمزة، ونـــافع، وأبو الحارث[٩].

=عوضا من التنوين،والباقون ﴿**تترى**﴾ بغير تنوين، وأماله الأخوان وقرأه ورش بين اللفظين وفتحه الباقون " .

(١) قرأ الدوري هذه الكلمات الأربع إذا كانت استفهامية بالفتح من طريق العنوان، وبين اللفظين من طريق القصيدة قال : " وياويلتى أنى ويا حسرتى طووا　　وعن غيره قسها ويا أسفى العلا " .

(٢) ما بين المعقوفتين زائدة في (ب) .

(٣) في (ب) واحد .

(٤) قرأ ابن ذكوان ﴿ **زاد** ﴾ غير أولى البقرة بالفتح من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، واتفق القصيدة والعنوان على إمالة الحرف الأول من البقرة، قال الشاطبي :

وحاق وزاغوا جاء شاء وزاد فز　　وجاء ابن ذكوان وفي شاء ميلا

فزادهم الأولى وفي الغير خـــلفه　　..............................

(٥) في (ب) وإمالة .

(٦) في (أ) راه .

(٧) سقطت من (أ) .

(٨) سقطت من (ب) .

(٩) انظر العنوان ص٦١، ٦٢، أي أن حمزة وقالون من طريق الشاطبية لهما الفتح، ولحمزة تقليل ﴿ **البوار** ﴾، ﴿ **والقهار** ﴾ فقط وقال في القصيدة :

وفي الـــفات قبل را طرف أتت　　بكسر أمل تدعى حميدا وتقبلا　　=

وأمال ما تكررت فيه الراء كـ ﴿ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ حمزة، وأبو عمرو[١] والكسائي [بالإمالة المحضة][٢]، وبين بين نافع، وابن ذكوان[٣] .

وأمال ﴿ هَارٍ ﴾[٤] /٣ب/ ابن ذكوان مع من أمال بلا خلاف، وبين بين ورش وحده، وفتح قالون مع من فتح .

وفتح ورش ﴿ جَبَّارِينَ ﴾[٥] ،﴿ وَٱلۡجَارِ ﴾[٦] بلا خلاف .

وفتح ﴿ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ مع من فتح [نافع بلا خلاف][٧] .

وفتح الدوري عن الكسائي ﴿ يُوَٰرِي ﴾[٨] ، ﴿ فَأُوَٰرِيَ ﴾[٩] بلا خلاف،

= .... وورش جميع الباب كان مقللا

وهذان عنه باختلاف ومعه في الـــ بـــوار وفي القهار حمزة قـــللا

(١) في (ب) كأبي عمرو .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٣) ما تكررت فيه الراء مثل ﴿ **الأبرار** ﴾ حمزة يقرأه بالإمالة المحضة من طريق العنوان، وبين اللفظين من طريق القصيدة، وأبو الحارث يقرأه بالإمالة المحضة من طريق القصيدة والعنوان، وقالون وابن ذكوان يقرآنه بين اللفظين من طريق العنوان وبالفتح من القصيدة، قال في العنوان ص ٦٢ : " ما تكررت فيه الراء نحو: الأبرار والأشرار وقرار، فإن حمزة وأبا الحارث قرآه بالإمالة، وقرأه نافع وابن ذكوان بين اللفظين " . انظر العنوان ص٦١، وقال في القصيدة :

وإضجاع ذي راءين حج رواته كالابرار والتقليل جادل فيصلا

(٤) في (أ) جبار، والصواب ما أثبته قال في العنوان :" {هار} بالإمالة النحويان، وأبو بكر، وابن ذكوان، وورش بين اللفظين، الباقون بالفتح.

(٥) في موضعي : المائدة / ٢٢، الشعراء / ١٣٠ .

(٦) موضعي النساء الآية ٣٦ .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (ب)، ولورس بين بين من الشاطبية قولا واحدا .

(٨) في موضعين : المائدة / ٣١، الأعراف / ٢٦ .

(٩) المائدة / ٣١ .

[وفتح ﴿ضِعَـٰفًا﴾[1]، و﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾[2] مع خلاد[3] بغير خلاف][4] .

وفتح أبو عمرو[5] ﴿ النَّاس ﴾ من غير خلف[6] .

وفتح ابن ذكوان ﴿حِمَارِكَ ﴾[7]، و﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾[8] غير المجرور بغير خلف[9] .

وأمال ابن ذكوان بين بين ﴿عِمْرَٰنَ﴾[10]حيث وقع سوى التي في التحريم فإنه نص عليها بالإضجاع، وكذلك بين بين ﴿إِكْرَٰهِهِنَّ﴾[11]بلا خلاف .

---

(١) النساء / ٩ .

(٢) موضعي النمل / ٣٩، ٤٠ .

(٣) يوجد طمس في (ب)، في جملة (مع خلاد) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، قرأ الدوري عن الكسائي { يواري، فأواري } في العقود بالفتح في الحرفين من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وهذا مما خرج به الشاطبي عن طريق القصيدة، قال الشاطبي : " يواري أواري في العقود بخلفه ".

(٥) في (أ) الناس، أبو عمرو .

(٦) قرأ أبو عمرو ﴿ **الناس** ﴾ المجرور بالفتح من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة فالدوري بالإمالة والسوسي بالفتح، قال الشاطبي :" وخلفهم في الناس في الجر حصلا".

(٧) قرأ ابن ذكوان ﴿ **الحمار** ﴾ في سورة الجمعة بالإمالة المحضة من العنوان، وبالخلف من الشاطبية، وقرأ حمارك في سورة البقرة المجرور بخلاف من طريق القصيدة، ولم يذكر في العنوان إمالتها قال في القصيدة :

حمارك والمحراب إكراههن والـــ حمار وفي الإكرام عمران مثلا
وكل بـــخلف لابن ذكوان ما يجر من المحراب فاعلم لتعملا

(٨) في أربعة مواضع : آل عمران / ٣٧، ٣٩، مريم / ١١، ص / ٢١ .

(٩) أمال ابن ذكوان ﴿**المحراب**﴾ في موضع الجر وهما موضعان: في آل عمران ﴿**يصلي في المحراب**﴾، وفي مريم ﴿ **يخرج على قومه من المحراب** ﴾ إمالة محضة من العنوان والقصيدة .

(١٠) في ثلاثة مواضع : آل عمران / ٣٣، ٣٥، التحريم / ١٢ .

(١١) النور / ٣٣ .

وأمال ابن ذكوان﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[١][مع و﴿ٱلۡحِمَارِ﴾[٢] من غير خلاف] [٣].

وفتح السوسي الراء قبل ألف الوصل مثل ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾[٤] وصلاً بغير خلاف، ولم يتعرض للوقف على النون[٥] بفتح ولا إمالة، والذي يظهر في [ذلك][٦] الإمالة مطلقًا وبذلك قرأت، وبه آخذ[٧] .

---

(١) موضعي الرحمن / ٢٧، ٧٨ .

(٢) الجمعة / ٥ .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ب) [معا، و ﴿ **أبكارا** ﴾ من غير خلاف]، وهو تصحيف حيث : أمال ابن ذكوان ﴿ **المحراب** ﴾ في موضع الجر، وهما موضعان في آل عمران، ﴿ **يصلي في المحراب** ﴾، وفي مريم ﴿**خرج على قومه من المحراب** ﴾، وأمال ﴿ **إكراههن** ﴾ في سورة النور، ﴿ **والإكرام** ﴾ في موضعين في الرحمن، و ﴿ **الحمار** ﴾ في سورة الجمعة و ﴿ **عمران** ﴾ إمالة محضة في هذه الحروف كلها من طريق العنوان، وعنه في هذه الحروف الخلف من طريق الشاطبية إلا موضعي ﴿ **المحراب** ﴾ في موضع الجر فإنهما ممالان بلا خلاف من الكتابين قال في القصيدة :

حمارك والمحراب إكراههن والـــ   الحمار وفي الإكرام عمران مثلا

وكل بخلف لابن ذكوان غير ما   يجر من المحراب فاعلم لتعملا

(٤) في (أ) سقطت (الدار) .

(٥) في (ب) المنون

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة في (أ) .

(٧) لم يذكر في العنوان إمالة الراء للسوسي إذا لقيت الساكن في الوصل وذكر له ابن الجزري الإمالة كما ذكر في النص، وعنه خلاف من طريق القصيدة ،وذكر في القصيدة له ثلاثة أوجه في الوقف على المنون وهي : الفتح، أو الإمالة، والوجه الثالث الفتح في موضع النصب والإمالة في موضع الرفع والجر، ولم يذكر ذلك في العنوان قال في القصيدة :

ولا يمنع الإسكان في الوقف عارضا   إمـــالة ما لـــلكسر في الوصل ميلا

وقبل سكون قف بـــما في أصولهم   وذو الراء فيه الخلف في الوصل يجتلا

كموسى الهدى عيسى بن مريم والقرى الـــ   لتي مع ذكرى الـــدار فافهم محصلا

إمالة هاء التأنيث في الوقف

أمال الكسائي هاء التأنيث، وما قبلها إلا عند الحروف العشرة[1] بلا خلاف، وإن[2] وقعت الهاء بعد همزة قبلها فتح، أو ألف نحو : ﴿ٱمۡرَأَةٌ﴾، و ﴿بَرَآءَةٌ﴾ فتحها بلا خلاف[3]، وإن وقع قبلها ساكن غير الألف أمالها بلا خلاف سواء كان قبل الساكن فتحة، أو كسرة، نحو : ﴿سَوۡءَةَ﴾[4] ، و ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾.

قلت : وقد اختلف أهل الأداء فيما إذا كان قبل الساكن فتح، فمنهم من روى الإمالة ليس إلا كصاحب العنوان وغيره، وقد حكاه الداني في جامع البيان .

وإن وقعت بعد كاف أو راء، وقبلهما[5] غير كسرة أو ياء ساكنة فتحها

---

(١) في (أ) العشر، الحروف العشرة في القصيدة :

وفي هاء تأنيث الوقوف وقبلها　　　ممال الكسائي غير عشر ليعدلا

ويجمعها حق ضغاط عص خطا　　　...........................

أما في العنوان فقد ذكر نفس الحروف فقال ص٦٣ : " إلا أن يقع قبل الهاء عشرة أحرف يجمعها أواخر كلمات هذا البيت :

يروغ أخ لفرط حريق غيظ　　　يمض بنص داع راح يلحى "

ملحوظة : تصحيح البيت من مخطوط العنوان، وهو مكتوب خطأ في المطبوعة.

(٢) في (أ) سقطت (و) .

(٣) إن وقع قبل الهمزة فتحة أو ألف نحو ﴿ **امرأة** ﴾ و ﴿ **براءة** ﴾ وقف بالفتح من طريق العنوان (انظر ص ٦٣)، وعنه خلاف من طريق القصيدة والأشهر الفتح .

(٤) المائدة / ٣١ .

(٥) في (أ) قبلها .

بلا خلاف نحو: ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾، و﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[١]، و﴿ٱلشَّوۡكَةِ﴾[٢]، و﴿شَجَرَةٍ﴾، و﴿حُفۡرَةٍ﴾، ﴿مَّحۡشُورَةً﴾ .

وإن وقعت بعدها و لم يكن قبل الهاء[٣] كسرة، فتحها أيضًا بغير خلاف، ولكن [إن حال][٤] بين الكسرة وبينها ساكن، فمقتضى عبارته الفتح كـ ﴿وَجۡهَهُۥ﴾ والذي آخذ به الإمالة، إذ لا أعلم أحدًا من أهل الأداء استثناه[٥].

الراءات

فخم ورش كل راء مضمومة سواء كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة[٦] نحو : ﴿ فَبَشِّرُوا ﴾[٧]، ﴿ٱنفِرُواْ﴾[٨]، و ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ ، و ﴿ خَبِيرٌ ﴾، و﴿بَصِيرٌ﴾ ، وفخم من الراء[٩] المفتوحة إذا كان بعدها[١٠] ألف وبعد الألف عين نحو ﴿سِرَاعًا﴾ ، و﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعًا﴾[١١] ، ورقق

---

(١) في (أ) والهلكة، البقرة / ١٩٥ .

(٢) الأنفال / ٧ .

(٣) في (أ) مالها .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ب) [إدخال] وهو تصحيف .

(٥) في (ب) استثناها .

(٦) قرأ ورش الراء المضمومة إذا انكسر ما قبلها أوكان قبلها ياء ساكنة بالتفخيم من طريق العنوان انظره ص٦٣، وهي مرققة من طريق القصيدة قال الشاطبي :

ورقق ورش كل راء وقبلها مسكنة ياء أو الكسر موصلا

(٧) سقطت الآية من (ب) .

(٨) سقطت الآية من (أ) .

(٩) سقطت (الراء) من (أ) .

(١٠) في (أ) قبلها، وهو خطأ .

(١١) الحاقة / ٣٢، يفخم ورش الراء إذا كان بعدها ألف بعدها عين مفتوحة نحو ﴿ **سراعًا**،=

﴿ إِرَمَ ﴾[1] ، وبـــاب ﴿ذِكۡرًا﴾، و﴿سِتۡرًا﴾ بـــلا خلاف[2] ، وكـــذلك ﴿حَيۡرَانَ﴾[3]، وفخم ﴿بِشَرَرٖ﴾[4].

اللامات

رقق ورش اللام [الواقع بعدها][5] طاء بلا خلاف مطلقًا نحو ﴿ٱلطَّلَٰقَ﴾، و﴿مَطۡلَعِ﴾[6] /٤٤أ/، وكذلك ﴿طَالَ﴾[7]، و ﴿فِصَالٗا﴾[8]وبابه

=وسبعون ذراعًا ﴾ من طريق العنوان حيث أنهما مما استثناه من الترقيق قال ص٦٣ :" الخامس : إذا كان بعد الراء ألف بعدها عين مفتوحة نحو ﴿ **سراعًا، وسبعون ذراعًا** ﴾ " ورققها ورش من طريق القصيدة .

(١) الفجر / ٧ .

(٢) قرأ ورش باب ﴿ **سترا** ﴾ وما أشبهه بالترقيق من طريق العنوان ص٦٢، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال :

" وتفخيمه ذكرًا وسترًا وبابه لدى جلة الأصحاب أعمر أرحلا ".

(٣) يظهر من قوله في العنوان ص٦٢ : " إذا كانت الراء مفتوحة وكان قبلها كسرة أو ياء قرأها ورش بين اللفظين " أن الراء مرققة لورش، وفيها خلاف من طريق القصيدة قال :" وحيران بالتفخيم بعض تقبلا " .

(٤) المرسلات / ٣٢ . رقق ورش فتحة الراء في ﴿ **بشرر** ﴾ من طريق القصيدة قال :" وفي شرر عنه يرقق كلهم "، ولم يذكرها في العنوان، من هنا ذكر له المؤلف التفخيم .

(٥) في (ب) الواقعة بعد .

(٦) موضعي : الكهف / ٩٠، والقدر / ٥، رقق ورش اللام المفتوحة إذا وقع قبلها طاء مفتوحة أو ساكنة من طريق العنوان، وفخمها من طريق القصيدة قال :

وغـــلظ ورش فتح لام لصادها أو الطاء أو للظاء قبل تنـــزلا
إذا فتحت أو سكنت كصلاتهم ومطلع أيضًا ثم ظل ويوصلا

(٧) سقطت من (أ)، الأنبياء / ٤٤.

(٨) البقرة / ٢٣٣ .

بلا خلاف(١)، ووقفه على اللام كوصله .

وفي مثل رؤوس الآي احتمالان(٢) : إن أخذنا بعموم قوله في الإمالة أملنا ورققنا (٣)، وإن أخذنا بعموم قوله في التغليظ فتحنا، وفخمنا، ولا تجوز(٤) الإمالة مع التفخيم بوجه، وقد أجرى هذين(٥) الوجهين عبد الظاهر في شرح العنوان، ورجح [في مثل ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾(٦) الإمالة مع الترقيق](٧)، وفي مثل ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(٨) التفخيم كما هو المشهور.

الوقف على أواخر الكلم

لم يذكر عن عاصم نصًا بروم، ولا إشمام ؛ بل جعلهما له كغيره اختيارًا، كذا(٩) اختار الروم والإشمام على السكون(١٠) .

---

(١) وفي القصيدة له الخلاف حيث قال :" وفي طال خلف مع فصالا "

(٢) في (أ) احتمالين .

(٣) في (أ) ووقفنا، وله من القصيدة الترقيق قال :" وعند رؤس الآي ترقيقها اعتلا ".

(٤) في (ب) يجوز .

(٥) في (ب) غير ظاهرة .

(٦) القيامة / ٣١ .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) .

(٨) البقرة / ١٢٥ .

(٩) في (ب) وكذا .

(١٠) قال الشاطبي : " وعند أبي عمرو وكوفيهم به من الروم والاشمام سمت تجملا " وقال في العنوان ص ٦٤ :" الذين روى عنهم الروم والإشمام في الوقف النحويان وحمزة "، وقال في العنوان المخطوط، وسقط من المطبوع :" فأما الإشمام فلا يكون إلا في المضموم معربًا كان أو مبينًا لأنه ضم الشفتين من غير صوت يسمع، فلذلك لا يسمعه الأعمى " انتهى من المخطوط ٧/أ .

الوقف على مرسوم الخط

أهمل كثيرًا من هذا الباب فلم يذكره في الكتاب، ومقتضى ذلك أن يكون الوقف عنده [على الرسم][1] في كل ما لم [يذكره: فلم يذكر][2] هاء التأنيث المكتوبة تاء[3] .

ولم يذكر[4]﴿مَرْضَاتِ﴾، ولا ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[5]، ولا ﴿وَكَأَيِّن﴾، ولا ﴿مَالِ﴾ في[6] الأربعة، ولا ﴿وَيْكَأَنَّ﴾[7]، ولا ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾، ولا ﴿أَيًّا مَّا﴾، ولا ﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾[8]، ولا ﴿فِيمَ﴾[9]، و﴿مِمَّ﴾[10] ، و﴿عَمَّ﴾[11]، و﴿لِمَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٢) ما بين المعقوفتين في (أ) (يذكر) فقط .

(٣) في (ب) ياء، وهو تصحيف .

(٤) أي في العنوان أما في القصيدة فقال :

وكوفيهم والمازني ونافع عنوا باتباع الخط في وقف الابتلا
ولابن كثير يرتضى وابن عامر وما اختلفوا فيه حر أن يفصلا
إذا كتبت بالتاء هاء مؤنث فبالهاء قف حقا رضى ومعولا

(٥) النمل / ٦٠ .

(٦) في (أ) (ولا في) .

(٧) القصص / ٨٢ .

(٨) النمل / ١٨ .

(٩) في موضعي : النساء / ٩٧، النازعات ٤٣ .

(١٠) الطارق / ٥ .

(١١) النبأ / ١ .

فيوقف باتباع الرسم [في هذا للجميع][1]، وهذا في غاية الإشكال فإنه مصادم لما ورد عنهم من النصوص في ذلك .

ووقف أبو الحارث على ﴿ هَيۡهَاتَ ﴾[2]بالتاء كالجماعة، والخلاف عند صاحب العنوان في الثاني، وأما الأول فالوقف عليه لجميع القراء بالتاء على الرسم، وكذلك ﴿وَّلَاتَ حِينَ ﴾[3] [وقف أبو الحارث وحمزة على رسمه بالتاء كالجماعة]، وكذلك ﴿ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾[4]لأبي الحارث[5]، والباقي وافق فيه الشاطبية .

وياءات الإضافة والزوائد أذكرها آخر كل سورة في الفرش – إن شاء الله تعالى – [وبالله التوفيق][6] .

[وها أنا أذكر الفرش مرتبًا إلى آخر القرآن، والله الموفق][7] .

---

(١) ما بين المعقوفتين في (أ) [في الجميع] .

(٢) المؤمنون /٣٦.

(٣) ص/٣.

(٤) النجم /١٩.

(٥) يقف أبو الحارث على ﴿ **هيهات** ﴾ الثاني، وعلى ﴿ **ولات حين** ﴾، وعلى ﴿**أفرأيتم اللات** ﴾ بالتاء في الثلاثة من طريق العنوان ص١٣٦، ١٦٣، ١٨٢، ووقف بالهاء في الثلاثة من طريق القصيدة قال :

وفي اللات مع مرضات مع ذات بهجة ولات رضى هيهات هاديه رفلا

ووقف الدوري عن الكسائي بالهاء في الثلاثة من طريق القصيدة والعنوان (انظر العنوان ١٣٦، ١٦٣، ١٨٢)، ووقف البزي والكسائي على ﴿ **هيهات** ﴾ الأول بالتاء من طريق العنوان وبالهاء من طريق القصيدة، ووقف البزي على ﴿ **هيهات** ﴾ الثاني بالهاء من طريق القصيدة والعنوان .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ) .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

سورة البقرة

﴿بَارِئِكُمْ﴾[١]، وأخواته الخمسة[٢] بالاختلاس، أبو عمرو بكماله وجهًا واحدًا[٣] .

[وإذا وقف حمزة على ﴿ هُزُوًا ﴾[٤]، و ﴿كُفُوًا﴾ فالنقل وجهًا واحدًا][٥] يقتضي ما أصله في بابه .

واختلس أبو عمرو بكماله ﴿أَرِنَا ﴾[٦]، و﴿أَرِنِي ﴾[٧] حيث وقع وجهًا واحدًا، وسكوته على التنبيه عليه في الأعراف لا يقتضي الإشباع، بل أحاله[٨] على ما تقدم في البقرة .

وحقق[٩] البزي[١٠]﴿لَأَعْنَتَكُمْ ﴾[١١]بلا خلاف .

---

(١) البقرة /٥٤ .

(٢) أي ﴿ يأمركم ﴾، و﴿يأمرهم ﴾، و﴿تأمرهم ﴾، و﴿يشعركم ﴾، و﴿ينصركم﴾.

(٣) قرأ أبو عمرو بالاختلاس فيها جميعًا من العنوان قال ص ٦٩:" بالاختلاس في ذلك كله أبو عمرو"، أما من القصيدة فقرأها بالإسكان عن السوسي، وبخلاف بين الإسكان والاختلاس عن الدوري قال :

وإسكان بارئكم ويأمركم لــه   ويــأمرهم أيضًا وتأمرهم تلا
وينصركم أيضًا ويشعركم وكم   جليل عن الدوري مختلسا جلا

(٤) البقرة / ٦٧ .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)،وفي (أ) فمقتضى، وله من الشاطبية وجه آخر وهو الإبدال.

(٦) البقرة /١٢٨ .

(٧) البقرة / ٢٦٠.

(٨) في (ب) أماله، وهو تصحيف .

(٩) في (ب) وخفف، وله من الشاطبية الخلاف كما هو معلوم.

(١٠) في (أ) الذي، وهو تصحيف .

(١١) البقرة / ٢٢٠.

و ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾[١] بالصاد ابن ذكوان وجهًا واحدًا مع من قرأ بالصاد، وبالسين البزي، وخلاد وجهًا واحدًا مع من قرأ بالسين[٢].

و﴿بَسْطَةً﴾[٣] هنا بخلاف[٤] عن أبي بكر[٥].

وسكن العين[٦] من ﴿نِعِمَّا﴾[٧] معا، أبو عمرو، وقالون، وأبو بكر من غير اختلاس[٨] .

---

(١) البقرة /٢٤٥ .

(٢) قرأ البزي ﴿ **ويبسط** ﴾ في البقرة بالصاد من طريق القصيدة وبالسين من العنوان، وقرأ ابن ذكوان في البقرة بالصاد من العنوان وعنه خلاف من طريق القصيدة، أما خلاد فبالسين من العنوان وبالخلف من القصيدة قال الشاطبي :

وصية ارفع صفو حرميه رضى ويــبصط عنهم غير قنبل اعتلا
وبالسين باقيهم وفي الخلق بسطة وقل فيهما الوجهان قولا موصلا

وقال في العنوان ص ٧٤:" يقبض ويبصط بالصاد نافع والكسائي وأبو بكر وابن ذكوان والبزي "، وانظر المخطوط ص ١٤/أ حيث لم يذكر البزي في المطبوع .

(٣) البقرة /٢٤٧ .

(٤) في (أ) بخلاف .

(٥) قرأ ابو بكر ﴿ **بسطة** ﴾ هنا بالصاد بخلاف عنه، ابن ذكوان ﴿ **بصطة** ﴾ في الأعراف بالصاد من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وقرأ أبو بكر ﴿**بسطة**﴾في البقرة بالصاد بخلاف عنه من طريق العنوان، وقرأ بالسين وفاقًا للرسم من طريق القصيدة وهو المشهور، واتفق الأئمة السبعة على السين في البقرة من طريق القصيدة ومن وافقهما من كتب القراءات قال في العنوان ص٧٤:"﴿**بصطة**﴾ بالصاد أبو بكر بخلف عنه ".

(٦) في (ب) السين، وهو تصحيف .

(٧) البقرة / ٢٧١، النساء ٥٨.

(٨) قرأ قالون وأبو عمرو وأبو بكر ﴿ **فنعما** ﴾ في البقرة، وفي النساء بكسر النون وإسكان العين من طريق العنوان، وبإخفاء كسر العين من طريق القصيدة : =

الياءات :

﴿ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [1] حذف قالون الياء من الأولى[2] في الحالين، وأثبتها[3] في الثانية وصلاً وجهًا واحدًا .

آل عمران

/٤ب/ ﴿ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾ [4] قالون بين بين لورش[5] أو حـــمزة وجهًا واحدًا[6].

وأثبت الألف في ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ ﴾ [7] حيث وقع مع تسهيل الهمزة ورش كقالون، وأبو[8] عمرو وجهًا واحدًا، ولم يتعرض إلى [{ ها } هنا][9]،

= نعما معا في النون فتح كما شفا		وإخفاء كسر العين صيغ به حلا

أما العنوان فقال ص ٧٥:" ﴿ **فنعما هي** ﴾ ساكنة العين مع كسر النون الأبوان وقالون، ﴿ **فنعما** ﴾ بفتح النون وكسر العين ابن عامر والأخوان والباقون بكسرهما جميعًا ومثله في النساء " .

(١) البقرة / ١٨٦ .

(٢) في (ب) الأول .

(٣) في (ب) وأثبتهما .

(٤) آل عمران /٣

(٥) في (ب) كورش .

(٦) قرأ قالون ﴿ **التوراة** ﴾ بين اللفظين من طريق العنوان قال في ص ٧٨ :" ﴿ **التوراة** ﴾ بالإمالة حيث وقع النحويان وابن ذكوان، وقرأه نافع وحمزة بين اللفظين، الباقون بالفتح "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الإمالة بين اللفظين أو الفتح قال الشاطبي :

وإضجاعك التوراة ما رد حسنه		وقلل في جود وبالخلف بللا

(٧) آل عمران / ٦٦، ١١٩، النساء / ١٠٩.

(٨) في (ب) وأبي .

(٩) في (أ) ما بين المعقوفتين [المها]، وهو تصحيف .

[هل][1] هي للتنبيه عند أحد من القراء أو لا ؟ . وظاهر كلامه يقتضي أنها مبدلة من همزة في قراءة قنبل، ويبقى الاحتمال للباقين، والله أعلم[2].

وخفف التاء من ﴿كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾[3] البزي بلا خلاف.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾[4] هشام بالخطاب كالجماعة بلا خلاف[5].

النساء

سكن قالون العين مع تشديد الدال من غير اختلاس في ﴿تَعْدُوا۟﴾[6] .

---

(١) ما بين المعقوفتين زائدة من (أ) .

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو ﴿ **ها أنتم** ﴾ حيث وقع بالمد من غير همز قال في العنوان ص ٧٩ :" ﴿**ها أنتم**﴾ مثل (هعنتم) حيث وقع قنبل ﴿ **ها أنتم** ﴾ ممدودًا غير مهموز، نافع وأبو عمرو والباقون بالمد والهمز حيث وقع ". وقال في القصيدة :

ولا ألف في ها أنتم زكا جنا   وسهل أخا حمد وكم مبدل جلا
وفي هائه التنبيه من ثابت هدى   وإبداله من همزة زان جملا
ويحتمل الوجهين عن غيرهم وكم   وجيه به الوجهين للكل حملا
ويقصر في التنبيه ذو القصر مذهبا   وذو البدل الوجهان عنه مسهلا

(٣) آل عمران /١٤٣، وله من الشاطبية الخلف قال الشاطبي :

وكنتم تمنون الذي مع تفكهو   ن عنه على وجهين فافهم محصلا

(٤) آل عمران / ١٦٩.

(٥) قرأ هشام ﴿ **ولا تحسبن** ﴾ بالخطاب من طريق العنوان قال ص٨١ :"﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا**﴾ بالتشديد فيهما هشام "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال:" وبالخلف غيبا يحسبن له ولا " .

(٦) النساء /١٥٤، قرأ قالون ﴿ **لا تعدوا** ﴾ بإسكان العين وتشديد الدال من العنوان قال ص٨٦ :" ﴿**لا تعدوا في السبت**﴾ بفتح العين وتشديد الدال ورش، الباقون بإسكان العين إلا قالون شدد الدال وخففها الباقون "، أما من القصيدة فقرأ بإخفاء حركة العين وتشديد الدال قال الشاطبي :

بالاسكان تعدوا سكنوه وخففوا   خصوصا وأخفى العين قالون مسهلا

المائدة[1]

[ق][2]، و ....

الأنعام

﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ كيف أتى، بتحقيق[3] الهمزة بين بين ورش وجهًا واحدًا كقالون[4] .

وسَوَّى ابن ذكوان في ﴿رَأَىٰ ﴾ من[5] المضمر وغيره، فأمال الحرفين مع من أمال، واختلف عن أبي بكر بوجهين أحدهما إمالتهما كالمشهور، والثاني: إمالة الهمزة، وفتح الراء، هذا الوجه هو الذي ذكره عن أبي عمرو، ولنافع بكماله [إمالة][6] الحرفين بين اللفظين .

و ﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ ﴾[7] وبابه إذا وقع قبل ساكن لم يذكر للقراء فيه سوى

---

(١) ليس فيها خلاف .

(٢) هكذا في (ب) وهو بين كل سورتين أحدهما لا يكون فيها خلاف، وفي (أ) (و) كفاصل بين السورتين .

(٣) في (ب) بتخفيف .

(٤) قرأ ورش ﴿ **أرأيتكم** ﴾ و ﴿ **أرأيت** ﴾ إذا كان استفهاما بتسهيل الهمزة التي بعد الراء حيث وقع من طريق العنوان قال ص٩٠ :" ﴿ **أرأيتكم** ﴾ و ﴿ **أرأيت** ﴾ و ﴿ **أرأيتم** ﴾ بغير همز حيث وقع الكسائي، الباقون ﴿ **أرأيتكم** ﴾ و ﴿ **أرأيت** ﴾ و ﴿ **أرأيتم** ﴾ بهمزة بعد الراء حيث وقع، إلا أن نافعًا يلين الهمزة فتصير كالمدة اليسيرة في اللفظ "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو التسهيل أو البدل قال الشاطبي :   أريت في الاستفهام لا عين راجع   وعن نافع سهل وكم مبدل جلا

(٥) في (ب) بين .

(٦) ما بين المعقوفتين في (أ) الإمالة في .

(٧) الأنعام / ٧٧، ٧٦، ٧٩ . والمقصود لفظ (رأى) .

وجهين :

أحدهما : لحمزة، وأبي بكر : إمالة الراء وفتح الهمزة بلا خلاف .

والثاني : فتحها لباقي[1] القراء[2] .

---

(١) في (ب) كباقي .

(٢) قرأ قالون ﴿ **رأى كوكبًا** ﴾ وما أشبهه بإمالة الراء والهمزة بين اللفظين من طريق العنوان وبفتح الراء والهمزة من طريق القصيدة، وقرأ ورش بإمالة الراء والهمزة بين اللفظين من طريق القصيدة والعنوان، وقرأ السوسي ﴿ **رآه** ﴾، و﴿ **رآك** ﴾، و﴿ **رأى** ﴾ وما أشبهه بفتح الراء وإمالة الهمزة إمالة محضة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : إمالة الراء والهمزة جميعًا إمالة محضة أو فتح الراء وإمالة الهمزة، وقرأ ابن ذكوان ﴿ **رآك** ﴾، و﴿ **رآه** ﴾ وما أشبهه إذا اتصل بمضمر بإمالة الراء والهمزة جميعًا إمالة محضة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو فتح الراء والهمزة جميعًا أو إمالة الراء والهمزة جميعًا، واتفق العنوان والقصيدة على إمالة الراء والهمزة إذا لم تتصل بمضمر نحو : ﴿ **رأى كوكبا** ﴾ وما أشبهه، وقرأ أبو بكر ﴿ **رأى** ﴾ إذا وقع بعدها متحرك حيث وقع بإمالة الراء والهمزة إمالة محضة من طريق القصيدة، وعنه خلاف من طريق العنوان وهو إمالة الراء والهمزة أو فتح الراء وإمالة الهمزة فقط، قال في العنوان ص٩١ : " ﴿ **رأى كوكبا** ﴾ بكسر الراء والهمزة الأخوان، وابن ذكوان، وأبو بكر في رواية أهل بغداد، وفتح أبو عمرو الراء وكسر الهمزة، وكذلك أبو بكر في رواية أهل واسط، نافع بين اللفظين، الباقون بالفتح، وكذلك ﴿**رأى**﴾،و﴿**رآه**﴾، و﴿**رءاك**﴾ حيث وقع" .

وقرأ السوسي ﴿ **رأى القمر** ﴾ وما أشبهه مما وقع بعده ساكن منفصل بفتح الراء والهمزة في حال الوصل من طريق العنوان وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو فتح الراء والهمزة، وإمالة الراء والهمزة إمالة محضة، وقرأ أبو بكر ﴿ **رأى القمر** ﴾ وما أشبهه بإمالة الراء وفتح الهمزة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو إمالة فتحة الراء والهمزة، وإمالة فتحة الراء فقط، قال في العنوان ص ٩١:" ﴿ **رأى القمر** ﴾، و﴿ **رأى الشمس** ﴾ بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وأبو بكر، الباقون بفتحهما، وكذلك ما أشبهه فيما لقيه الألف واللام "، قال في القصيدة : =

وخفف هشام النون من[1] ﴿قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي﴾[2] كغيره بلا خلاف[3]

وأشبع الهاء من ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾[4] ابن ذكوان وجهًا واحدًا[5] .

وفتح أبو بكر ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ﴾[6] وجهًا واحدًا[7] .

= وحرفي رأى كلا أمل مزن صحبة   وفي هــمزة حسن وفي الراء يجتلا
بــخلف وخلف فيهما مع مضمر   مصيب وعن عثمان في الكل قللا
وقبل السكون الرا أمل في صفا يد   بخلف وقل في الهمز خلف يقي صلا
وقف فيه كالأولى ونحو رأت رأوا   رأيت بفتح الكل وقــفا وموصلا

(١) في (أ) في .

(٢) في (ب) سقط (قال)، الأنعام / ٨٠ .

(٣) قرأ هشام ﴿ **أتحاجوني** ﴾ بتخفيف النون من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الكسر والصلة أو الكسر من غير صلة، قال في العنوان ص ٩١: " ﴿**أتحاجوني**﴾ مخففة النون نافع وابن عامر " قال في القصيدة :

وخفف نونا قبل في الله من له   بخلف أتى والحذف لم يك أولا

(٤) الأنعام / ٩٠ .

(٥) قال في العنوان ص ٩١ :" ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾ بحذف الهاء في الوصل الأخوان ﴿ **اقتدهي قل** ﴾ بياء بعد الهاء في اللفظ ابن ذكوان ﴿ **اقتده قل** ﴾ بكسرة مختلسة هشام، الباقون بهاء ساكنة في الوصل، ولا خلاف في الوقف أنه بالهاء "، قال في القصيدة :

.... واقتده حذف هائه   شفاء وبالتحريك بالكسر كفلا
ومد بخلف ماج والكل واقف   بإسكانه يذكو عبــيرا ومندلا

(٦) الأنعام / ١٠٩ .

(٧) قرأ أبو بكر ﴿ **أنها إذا جاءت** ﴾ بفتح همزة ﴿ **أنها** ﴾ من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الفتح أو الكسر قال في القصيدة :

.... واكسرانها   حمى صوبه بالخلف در وأوبلا

الأعراف

﴿بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ﴾[١] ضم[٢] ابن ذكوان التنوين بلا خلاف .

﴿بَصۜۡطَةً﴾[٣] بالصاد ابن ذكوان بلا خلاف،وبالسين خلاد بلا خلاف.

﴿ بَيۡـَٔسِۭ ﴾[٤] على وزن فيعل[٥] أبو بكر وجهًا واحدًا[٦] .

وحذف الألف من ﴿ أنا ﴾[٧] وصلا مما يأتي[٨] بعده همزة مكسورة، قالون[٩] بلا خلاف كالجماعة .

وأثبت الياء من ﴿كِيدُونِ ﴾[١٠] في الحالين هشام بلا خلاف[١١] .

---

(١) في (أ) ادخلوها، الأعراف / ٤٩ .

(٢) في (أ) بضم .

(٣) الأعراف /٦٩.

(٤) الأعراف / ١٧٥.

(٥) في (أ) فعيل .

(٦) قرأ أبو بكر ﴿ **بيئس** ﴾ بفتح الباء والهمزة مفتوحة بعد الياء على وزن فيعل من طريق العنوان قال ص ٩٨ :" ﴿**بعذاب بئس**﴾ مثل بئر ابن عامر، وكذلك نافع مثله إلا أنه بغير همز ﴿ **بيئس** ﴾ على فيعل أبو بكر، الباقون ﴿ **بيئس** ﴾ على وزن فعيل "، وقال في القصيدة :"

وبئس بيـــاء أم والهمز كهـــفه ومـــثل رئيس غيـــر هذين عولا

وبيئس اسكن بين فتحين صادقا بخف وخفف يمسكون صفا ولا

(٧) في (ب) (أناء إلا)

(٨) في (أ) إذا أتى .

(٩) في (ب) النون، وهو تصحيف .

(١٠) الأعراف /١٥٤.

(١١) قال في العنوان ص ٩٩: " ﴿ **ثم كيدون** ﴾ أبو عمرو بياء في الوصل فقط، وهشام بياء في الحالين، الباقون بغير ياء في الحالين " قال في القصيدة : " وكيدون في الأعراف حج ليحملا بخلف "

الأنفال

كسر قنبل الدال من ﴿مُرۡدِفِينَ﴾[1] كالجماعة وجهًا واحدًا[2] .

التوبة

[ق][3] و .

يونس

أمال الراء من ﴿الٓر﴾[4] من الفواتح بين بين نافع بكماله[5] .

وأثبت الألف من ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم﴾[6] البزي كالجماعة وجهًا واحدًا .

وأمال ﴿أَدۡرَىٰكُم﴾ حيث وقع وكيف أتى /٥أ/ ابن ذكوان مع من أمال بلا خلاف، وبين بين نافع بكماله[7] .

---

(١) الأنفال / ٩ .

(٢) أي ليس لقنبل فتح الدال لا من الشاطبية وقد نبه أنه وجه ضعيف، ولا من العنوان، قال في العنوان ص١٠٠ : " ﴿ **مردفين** ﴾ بفتح الدال نافع "، وقال في القصيدة :

وفي مردفين الدال يفتح نافع وعن قنبل يروى وليس معولا

(٣) ما بين المعقوفتين من (ب)، وفي (أ) و.

(٤) في (ب) (أكبر)، وهو تصحيف، الآية ١/ يونس .

(٥) قرأ قالون الراء من ﴿ **الر** ﴾ حيث وقع بالإمالة بين اللفظين من طريق العنوان، وبالفتح من طريق القصيدة، وقرأ ورش بالإمالة بين اللفظين من طريق القصيدة والعنوان، قال في العنوان ص ١٠٤ : "{الر} بالفتح ابن كثير وحفص، وقرأ نافع بين اللفظين، الباقون بالإمالة، وكذلك أخواتها "، وقال في القصيدة : واضجاع را كل الفواتح ذكره حمى غير حفص ....

وذو الرا لورش بين بين .....

(٦) يونس / ١٦ .

(٧) قرأ قالون﴿**ولا أدراكم**﴾و﴿**ولا أدراك**﴾حيث وقع بين اللفظين من العنوان،وبالفتح من الشاطبية،وقرأ ورش بين بين من العنوان والشاطبية،وقرأ ابن ذكوان بالإمالة المحضة من طريق العنوان،=

وأسكن الهاء[١] من ﴿ يَهِدِّيَ ﴾[٢] مع التشديد قالون، وأبو عمرو من غير اختلاس.[٣]

و لم يذكر عن حفص في الوقف على ﴿ تبوأ ﴾ شيئًا .

هود

[ق]، و .

يوسف

﴿ بُشْرَايَ ﴾[٤] بالفتح أبو عمرو وجهًا واحدًا مع من فتح ، وبين بين ورش وحده كالمشهور[٥]، وفتح قالون فخالف أصله في

=وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو:الإمالة المحضة أو الفتح، وقرأ البزي بإثبات الألف بعد اللام من طريق العنوان،وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو اثبات الألف أو حذفها، قال في العنوان ص١٠٤: "﴿**ولا أدراكم به**﴾ بغير مد قنبل الباقون بالمد وفتح الراء حيث وقع ابن كثير وحفص وهشام، وكذلك ﴿ **أدراك** ﴾ حيث وقع، وقرأ نافع بين اللفظين حيث وقعا، الباقون بالإمالة فيهما في كل القرآن "

(١) في (أ) سكن الهاء .

(٢) يونس /٣٥.

(٣) قرأ قالون ﴿ **أمن لا يهدي** ﴾ بإسكان الهاء وتشديد الدال من طريق العنوان، وقرأ بإخفاء حركة الهاء وتشديد الدال من طريق القصيدة، وقرأ أبو عمرو بإخفاء حركة الهاء، وتشديد الدال من طريق القصيدة والعنوان قال ص ١٠٥ : " ﴿ **أمن لا يهدي** ﴾ ساكنة الهاء خفيفة الدال الأخوان وأبو عمرو وقالون مثلهما إلا أنهما شددا الدال، وأشم أبو عمرو الهاء شيئًا من الفتح ﴿ **يهدى** ﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال الإبنان وورش، ﴿ **يهدي** ﴾ بكسر الهاء وتشديد الدال حفص، ﴿ **يهدي** ﴾ بكسر الياء والهاء والتشديد أبو بكر و لم يكسر الياء غيره ". قال في القصيدة :

ويا لا يهدي اكسر صفيا وهاه نل وأخفى بنو حمد وخفف شلشلا

(٤) يوسف / ١٩، في (ب) (عشر أتى) .

(٥) في (أ) كالمشهورين .

العنوان[١] .

وفتح هشام التاء[٢] من ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[٣] بلا خلاف[٤] .

و﴿يَأْيْـَسِ﴾ وأخواته بالقلب مع [البدل][٥] البزي وجهًا واحدًا[٦] .

وحذف الياء من ﴿يَرْتَعْ﴾[٧] في الحالين قنبل بغير خلاف .

الرعد

[ق]، و

---

(١) قرأ أبو عمرو ﴿**يا بشراي**﴾ بالفتح من طريق العنوان قال ص١١٠:" وقرأه ورش بين اللفظين، وفتحه الباقون"،وعنه ثلاثة أوجه من القصيدة وهي: الفتح،وبين اللفظين،والإمالة المحضة قال الشاطبي :

.... وبشراي حذف الياء ثبت وميلا

شـــفاء وقـــلل جهبذا وكلاهما عن ابن العلا والفتح عنه تفضلا

(٢) في (أ) الياء، وهو تصحيف .

(٣) يوسف / ٢٣ .

(٤) قرأ هشام ﴿ **هيت لك** ﴾ بفتح التاء من طريق العنوان ص١١٠ :" ﴿ **هيت لك** ﴾ بفتح الهاء وضم التاء ابن كثير، ﴿ **هيت لك** ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء نافع وابن عامر ؛ غير أن هشامًا همز، الباقون ﴿**هيت لك**﴾ بفتح التاء والهاء من غير همز "، وعنه خلاف من القصيدة وهو : فتح التاء وضمها، واتفقت القصيدة مع العنوان على الهمز لهشام قال الشاطبي :

وهيت بكسر أصل كفؤ وهمزه لسان وضم التا لوا خلفه دلا

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٦) قرأ البزي ﴿ **فلما استيأسوا، ولا تيأسوا، إنه لا ييأس** ﴾ وفي الرعد ﴿ **أفلم ييأس الذين** ﴾ بالقلب والإبدال من غير همزة في الخمسة من طريق العنوان قال ص١١١ بعد ذكره ما سبق من آيات :" بغير همز في ذلك كله البزي "، وعنه خلاف فيها من طريق القصيدة قال الشاطبي :

وييأس معا واستيأس استيأسوا وتيــ ــأسوا اقلب عن البزي بخلف وأبدلا

أي أن البزي قدم الهمزة على الياء ثم خففها وأبدلها ألفا .

(٧) يوسف / ١٢.

إبراهيم

﴿خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ﴾(١) ضم ابــن ذكوان التنــوين مع من ضم بلا خلاف(٢).

وحذف هشام الياء من ﴿أَفْـِٔدَةً﴾(٣) بعد الهمزة بلا خلاف(٤) .

الحجر

[ق]، و

النحل

﴿شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ﴾(٥) بالهمز البزي بغير خلاف كالجماعة(٦) .

---

(١) إبراهيم / ٢٦ .

(٢) قال صاحب العنوان في فرش البقرة ص٧٢ : ﴿**فمن اضطر**﴾ بكسر النون أبو عمرو وعاصم وحمزة وكذلك الـــنون من ﴿ **إن** ﴾، و ﴿ **لكن** ﴾، والدال من قد، والتاء من ﴿ **قالت** ﴾، واللام من ﴿**قل**﴾، والواو من ﴿ **أو** ﴾ والتنوين إذا لقيهن ساكن بعده ضمة لازمة إلا أن أبا عمرو خالف أصله في اللام من قل والواو من أو فضمهما والباقون بضم هذه الحروف كلها إلا أن ابن ذكوان خالـــفهم في التنوين فكسره- حيث وقع- إلا موضعين خالف أصله فيهما فضم الـــتنوين، وهما: ﴿**بِرَحْمَةٍ ادخلوا**﴾ الأعراف و ﴿**خبيثة اجتثت**﴾ في "إبراهيم"، وقال الشاطبي :

وضمك أولى الساكنــين لثـــالث يضم لزوما كسره في ند حلا

قل ادعوا أو انقص قالت اخرج أن اعبدوا ومحظورا انظر مع قد استهزئ اعتلا

سوى أو وقل لابن العلا وبكسره لتــنوينه قال ابن ذكوان مقولا

بـــخلف لـــه في رحمة وخبـــيثة ورفعك ليس البر ينصب في علا

(٣) إبراهيم / ٣٧ .

(٤) قرأ هشام ﴿ **أفئدة** ﴾ بغير ياء بعد الهمزة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة في هذه السورة فقط قال في القصيدة : " وأفئيدة باليا بخلف له ولا ".

(٥) النحل / ٢٧ .

(٦) أما في القصيدة فله الخلف قال الشاطبي : " وفي شركاي الخلف في الهمز هلهلا "

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ ﴾[1] بالياء ابن ذكوان وجهًا واحدًا[2] .

الإسراء

[ق]، و

الكهف

﴿ قَالَ ائْتُونِي ﴾ بالوصل أبو بكر بلا خلاف كحمزة[3] .

وأثبت ابن ذكوان الياء من ﴿تَسْـَٔلْنِى ﴾[4] في الحالين[5] بغير خلاف كالجماعة[6] .

---

(١) النحل / ٩٦ .

(٢) لابن ذكوان من القصيدة والعنوان الياء قولاً واحدًا قال في العنوان ص١١٨ : " ﴿**ولنجزين الذين صبروا** ﴾ بالنون ابن كثير وعاصم، وقال في القصيدة :

.... ونجـــ   ـــزين الذين النون داعيه نولا

هذا الموضع ليس من شرط الكتاب حيث أنه لا يوجد خلف بين الكتابين .

(٣) قرأ أبو بكر ﴿**قال ايتوني**﴾ وهو الثاني بوصل الألف من المجيء من طريق العنوان قال ص ١٢٤ – والتصويب من المخطوط – :" ﴿ **ردما ايتوني** ﴾ بكسر التنوين ووصل الهمزة من المجيء أبو بكر "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الإمام الشاطبي :

.... واهـــمز مسكنا   لدى ردما ائتوني وقبل اكسر الولا

لشعبـــة والثاني فشا صف بخلفه   ولا كسر وابدأ فيهما الياء مبدلا

وزد قبل همز الوصل والغير فيهما   بقطعهما والمـــد بـــدءا وموصلا

واتفق الطريقان لأبي بكر على ﴿ **ردما ايتوني** ﴾ وهو الأول أنه من باب المجيء والهمزة في هذه القراءة همزة وصل فإذا ابتدأت بها كسرتها وقلبت الهمزة التي بعدها ياء ساكنة (انظر البيان ١٧/أ) .

(٤) الكهف / ٧٠.

(٥) في (ب) الحالتين .

(٦) أثبت ابن ذكوان الياء من طريق العنوان قال في ص١٢٣ :" { فلا تسئلني } بفتح اللام وتشديد النون نافع وابن عامر "

مريم

فتح الياء من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[١] السوسي مع من فتح وجهًا واحدًا[٢].

وهمز قالون ﴿لِأَهَبَ﴾[٣] بلا خلاف[٤] .

و ﴿ إِذَا مَا مِتُّ ﴾ بالإخبار وجهًا واحدًا ابن ذكوان[٥] .

طه

[ق]، و

الأنبياء

[ق]، و

---

(١) مريم / ١.

(٢) قال في العنوان ص١٢٦:"﴿ **كهيعص** ﴾ قرأ ابن كثير وحفص بفتح الهاء والياء وقرأهما نافع بين اللفظين وأمالهما الكسائي،وأبو بكر،وقرأ ابن عامر،وحمزة بفتح الهاء وإمالة الياء أبو عمرو بعكسهما"، وقال في القصيدة :

واضجاع را كل الفواتح ذكره ... حمى غير حفص طا ويا صحبة ولا

وكم صحبة يا كاف والخلف ياسر ... وها صف رضى حلوا وتحت جنى حلا

شفا صادقا حم مختار صحبة ... وبصر وهم أدرى وبالخلف مثلا

وذو الرا لورش بين بين ونافع ... لدى مريم ها يا وحا جيده حلا

(٣) مريم / ١٩.

(٤) قرأ قالون ﴿ **لأهب لك** ﴾ من العنوان بالهمز قال ص ١٢٦ :" ﴿ **ليهب لك** ﴾ بالياء أبو عمرو وورش "، وقرأ بالياء بخلاف عنه من القصيدة قال الشاطبي :

وهمز أهب باليا جرى حلو بحره ... بخلف ....

(٥) قرأ ابن ذكوان ﴿ **إذا ما مت** ﴾ على الخبر من طريق العنوان قال ص١٢٧ :" ﴿ **إذا ما مت** ﴾ على الخبر ابن ذكوان، الباقون على أصولهم في الهمزتين من كلمة "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

" .... وأخبروا ... بخلف إذا ما مت موفين وصلا "

الحج

[ق]، و

المؤمنين

[ق]، و

النور

[ق]، و

الفرقان

[ق]، و

الشعراء

أمال (الطاء) في الطواسين[1] الثلاثة نافع بين اللفظين[2] .

النمل

لم يتعرض بوقف ولا ابتداء في ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا ﴾ [3] في قراءة الكسائي[4]، ولكن قال بعض شيوخنا إنه قرأ على الصائغ فأوقفه على [يا] بالإمالة من طريق العنوان، قلت : أما العنوان [فما فيه][5] ما يدل على ذلك

(١) في (ب) الفواتح .

(٢) قال في العنوان ص١٤٢ :" ﴿ **طسم** ﴾ بإمالة الطاء الكوفيون سوى حفص، وقرأها نافع بين اللفظين، والباقون بالفتح وكذلك أختاها، وأظهر النون من هجاء سين عند الميم حمزة ولا خلاف في إخفاء النون عند التاء من ﴿ **طسم تلك** ﴾ " قال في القصيدة :

وإضجاع را كل الفواتح ذكره   حمى غير حفص طا ويا صحبة ولا

(٣) النمل / ٢٥.

(٤) قال في العنوان ص١٤٤ :" ﴿ **ألا يسجدوا** ﴾ بتخفيف { ألا } الكسائي " .

(٥) ما بين المعقوفتين في (أ) (فإنه) .

نصا، ولكن إن كان من حيث الأداء فالصائغ كان محققًا وهو [أخبر][١] بما كان يأخذ لا سيما بالعنوان الذي هو كتابه، على أن الإمالة قد نص عليها أبو الكرم الشهرزوري[٢] في كتابه المصباح[٣] وغيره .

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾[٤] حذفها في الوقف قالون، وأبو عمرو، وحفص بلا خلاف عنهم كورش[٥] .

و لم يتعرض[للوقف][٦] على ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾[٧]في القراءتين،ولا إشكال في ذلك لأنه كتب في المصاحف بالياء،فالوقف عليها[٨] لجميع القراء بالياء[٩].

القصص

﴿عِندِىٓ أَوَلَمْ﴾[١٠] فتـــح اليـــاء ابـــن كثـــير مـــع مـــن فتـــح من

---

(١) في (أ) أخبرنا .

(٢) في (أ) عبد الكريم السهرزوري، وهو تصحيف .

(٣) انظر المصباح ٢١٠/أ حيث نص على الإمالة للكسائي، وقال في القصيدة :

ألا يسجدوا راو وقف مبتلى ألا   ويا واسجدوا وابدأه بالضم موصلا
أراد ألا يا هؤلاء اسجدوا وقف   لـــه قبـــله والغير أدرج مبـــدلا
وقد قيل مفعولا وأن أدغموا بلا   وليس بمقطوع فقف يسجدوا ولا

(٤) النمل / ٣٦

(٥) قال في العنوان ص١٤٤: " ﴿ **فما آتاني الله** ﴾ بياء مفتوحة في الوصل نافع وأبو عمرو وحفص، الباقون ﴿ **فما أتان الله** ﴾ بغير ياء في الوصل والوقف وأماله الكسائي وحده " .

(٦) ما بين المعقوفتين في (ب) إلى الوقف .

(٧) النمل / ٨١ .

(٨) في (ب) عليه .

(٩) قال الإمام الشاطبي في قصيدته :

بهادي معا تهدي فشا العمي ناصبا   وباليا لكل قف وفي الروم شمللا

(١٠) القصص /٧٨.

غير(١) خلاف عنه(٢) /٥ب/.

العنكبوت

[ق]، و

الـــروم

﴿تُخْرَجُونَ﴾(٣) بضم التاء(٤) فتح الراء ابن ذكوان بلا خلاف كهشام(٥)، وغيره(٦).

وسكن [هشام](٧) ﴿كِسَفًا﴾(٨) بغير خلاف كابن ذكوان .

ولم يتعرض [إلى الوقف على ﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ﴾(٩)](١٠) في القراءتين ، وكان متعينا ذكره لأنه ليس كحرف النمل، فإن ذلك ثابت في جميع المصاحف بلا خلاف، وهذا محذوف بلا خلاف ، وقد جاء النص في الوقف على هذا بالياء(١١) لهما [للنص](١٢) الوارد

---

(١) في (أ) بغير .

(٢) نص على ذلك في العنوان قال ص ١٤٨ :" ﴿ **عندي أولم** ﴾ فتح ... الحرميان وأبو عمرو "

(٣) الروم /١٩، في (أ) يخرجون .

(٤) في (ب) الياء .

(٥) في (أ) كشام، وهو تصحيف .

(٦) قال في العنوان ص١٥١:" ﴿ **وكذلك تخرجون** ﴾ بفتح التاء وضم الراء الأخوان.

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، وعن هشام من القصيدة الخلاف .

(٨) الروم / ٤٨ .

(٩) الروم /٥٣ .

(١٠) ما بين المعقوفتين في (أ) [ولم يتعرض بهادي الوقف] وهو تصحيف .

(١١) في (أ) سقطت الباء أي كتب (الياء) .

(١٢) ما بين المعقوفتين في (أ) (لكنه من) .

عنهما[١]، ولكن قطع في الهداية للكسائي وحده بالياء هنا، وزاد في التبصرة عدم الياء [له][٢]، وقطع في الكافي بعدم الياء للجميع[٣]، والله أعلم .

لقمان

[ق]، و

السجدة

[ق]، و

الأحزاب

﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾[٤] [حيث أتى بياء ساكنة من غير همز البزي][٥]، وأبو عمرو وجهًا واحدًا، ولا إشكال في إظهار الياء له من طريق العنوان لخُلُوِّهِ من الإدغام الكبير[٦] .

---

(١) قال في الشاطبية : " وباليا لكل قف وفي الروم شمللا " .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، قال في التبصرة ص١٩٤ طبعة الصحابة :" وهذا الحرف في المصاحف بالياء والذي في الروم بغير ياء ووقف عليهما جميعًا حمزة والكسائي بالياء وهو مذهب شيخنا أبي الطيب "

(٣) قال في الكافي ص ١٧٥: " قرأ حمزة ﴿ **وما أنت تهدي العمي** ﴾ هنا وفي الروم .... ووقفوا هنا بالياء (أي في النمل) وفي الروم بغير ياء اتباعا للمصحف، وروى عن الكسائي أنه يقف في الروم بالياء أيضًا " هكذا في الكافي المطبوع أي أن الكسائي عنده له الوقف بالياء وعدمها في الروم من هذا الطريق وهذا ما ذكر ابن الجزري عكسه في النص حيث أكد قطع الكافي بعدم الياء للجميع، فالله أعلم .

(٤) الأحزاب / ٤ .

(٥) ما بين المعقوفتين في (أ) (ساكنة الياء من غير همز للبزي) .

(٦) قرأ أبو عمرو والبزي ﴿ **اللائي** ﴾ هنا وفي المجادلة والموضعين من الطلاق بياء ساكنة من طريق العنوان قال في ص ١٥٤ :" ﴿ **اللاي** ﴾ بياء ساكنة أبو عمرو والبزي وقرأ ورش بشبه المكسورة، وقرأ قالون وقنبل ﴿ **اللاء** ﴾ بهمزة مكسورة من غير ياء والباقون ﴿ **اللائي** ﴾ بهمزة بعدها ياء، ومثله في=

سبأ

[ق]، و

فاطر

[ق]، و

يس

أمال الياء نافع، وحمزة بين بين[1] .

وسكن قالون الخاء من ﴿ يَخِصِّمُونَ﴾ [2] مع تشديد الصاد[3] .

=المجادلة والطلاق "، وعنهما خلاف من طريق القصيدة وهو: بياء ساكنة أو كالياء المكسورة،وهذا الوجه الأخير من زيادات القصيدة على التيسير حيث لم يذكر صاحب التيسير هذا الوجه قال في القصيدة :

وبالهمز كل اللاء والياء بعده ذكا وبياء ساكن حج هملا

وكالياء مكسورا لورش وعنهما وقف مسكنا والهمز زاكيه بجلا

(١) قال في العنوان ص١٥٩ :" أمال الياء الكسائي وأبو بكر، وقرأها نافع وحمزة بين اللفظين وفتحها الباقون ".

(٢) يس / ٤٩.

(٣) قرأ قالون ﴿ **يخصمون** ﴾ بإسكان الخاء وتشديد الصاد من طريق العنوان وقرأ بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد من طريق القصيدة، وقرأ أبو عمرو بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد من طريق القصيدة والعنوان، وقرأ ورش وابن كثير وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد من طريق القصيدة، قال في العنوان ص١٥٩:" ﴿**يخصمون**﴾ بإسكان الخاء وتشديد الصاد قالون وهشام غير أن أبا عمرو وهشامًا يشمان الخاء شيئًا من الفتح، ﴿**يخصمون**﴾ ساكنة الخاء أيضًا خفيفة الصاد حمزة ﴿**يخصمون**﴾ بفتح الخاء وتشديد الصاد ابن كثير وورش الباقون ﴿**يخصمون**﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد". وقال في القصيدة :

وخا يخصمون افتح سما لذ وأخ حلـــ ـــو بر وسكنه وخفف فتكملا

الصافات

﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ ﴾[(١)] بقطع الهمزة كالجماعة ابن ذكوان بلا خلاف[(٢)] .

ص

﴿بِٱلسُّوقِ ﴾[(٣)] بهمزة ساكنة موضع الواو قنبل وجهًا واحدًا[(٤)] .

الزمر

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ٱلَّذِينَ ﴾[(٥)] بحذف الياء السوسي وصلا ووقفا كالجماعة[(٦)] .

المؤمن[(٧)]

أمال الحاء[(٨)] في[(٩)] الفواتح السبعة بين بين، قالون كورش وأبي عمرو[(١٠)] .

---

(١) الصافات / ١٢٣ .

(٢) قرأ ابن ذكوان ﴿ **وإن إلياس** ﴾ بقطع همزة ﴿ **إلياس** ﴾ من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة، وهو تحقيق همزة ﴿ **إلياس** ﴾ أو حذفها كأنه في الأصل (ياس) دخلت عليه لام التعريف، وهمزة التعريف همزة وصل قال في القصيدة :" وإلياس حذف الهمز بالخلف مثلا ".

(٣) ص / ٣٣ .

(٤) قرأ قنبل ﴿ **بالسؤق** ﴾ بهمزة ساكنة من طريق العنوان قال ص١٦٣ :" ﴿ **بالسؤق** ﴾ بالهمز قنبل"، وقرأ بإثباتها من طريق القصيدة قال الشاطبي :

مع السوق ساقيها وسوق اهمزوا زكا ووجه بهمز بعده الواو وكلا

(٥) الزمر / ١٧، ١٨ .

(٦) قال في الشاطبية :" فبشر عباد افتح وقف ساكنًا يدًا " .

(٧) هي سورة غافر .

(٨) من ﴿ **حم** ﴾ أول سورة غافر، والفواتح السبعة وهي بداية سور " غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف ".

(٩) في (أ) سقطت (في) .

(١٠) قال في العنوان ص١٧٦ :" ﴿ **حم** ﴾ وأخواتها بفتح الحاء ابن كثير وحفص وهشام، وقرأ نافع=

وحذف الياء من ﴿ ٱلتَّلَاقِ ﴾[1]، و ﴿ ٱلتَّنَادِ ﴾[2] في الحالين قالون بلا خلاف[3] .

فصلت

﴿ نَّحِسَاتٍ ﴾[4] لم يذكر فيه إمالة لأبي الحارث فهو كالجماعة بالفتح وجهًا واحدًا[5].

وسكن الياء من ﴿ رَبِّيٓ إِنَّ لِي ﴾[6] قالون بغير خلاف[7] .

الشورى

[ق]، و

=وأبو عمرو بين اللفظين الباقون بالإمالة "، ولقالون من الشاطبية الفتح فقط قال في القصيدة :

وذو الراء ورش بين بين ونافع لدى مريم ها يا وحا جيده حلا

(١) غافر /١٥ .

(٢) غافر / ٣٢ .

(٣) قال في العنوان ص١٦٨ :" ﴿ **التلاق، والتناد** ﴾ ورش بياء فيهما في الوصل فقط ابن كثير في الحالين، الباقون بغير ياء في الحالين "، وقال في القصيدة :" والتلاق والتــ ناد درا باغيه بالخلف جهلا " .

(٤) فصلت / ١٦ .

(٥) قال في العنوان ١٦٩: " ﴿ **في أيام نحسات** ﴾ بكسر الحاء ابن عامر والكوفيون "،وقال في القصيدة :

وإسكان نحسات به كسره ذكا وقول مميل السين لليث أخملا

وبذلك يكون ليس هناك خلاف بين الشاطبية والعنوان، ويكون الكاتب قد خرج فيه عن شرطه .

(٦) فصلت / ٥٠.

(٧) قال في العنوان ص ١٦٩ :" ﴿ **إلى ربي إن لي عنده** ﴾ فتحها أبو عمرو وورش "، وقال في القصيدة: " ويا ربي به الخلف بجلا " .

الزخرف

شدد { لما }[1] هشام[2] بلا خلاف[3] .

الدخان

[ق]، و

الشريعة[4]

[ق]، و

الأحقاف

﴿لِّتُنذِرَ﴾[5] بالخطاب البزي بلا خلاف[6] .

محمد صلى الله عليه وسلم

لم يـــذكر ﴿ءَانِفًا﴾[7] فيكون للبزي بالمـــد كالجماعة وجهًا واحدًا[8].

---

(١) الزخرف / ٣٥ .

(٢) في (أ) (هشام لما) .

(٣) قال في العنوان ص ١٧١ :" ﴿ **لما متاع** ﴾ بالتشديد عاصم وحمزة وهشام "، وقال في القصيدة :

وفيها وفي ياسين والطارق العلى   يشدد لما كامل نص فاعتلا

وفي زخرف في نص لسن بخلفه

(٤) هي سورة الجاثية .

(٥) الأحقاف / ١٢ .

(٦) قرأ البزي ﴿ **لينذر** ﴾ بالتاء من طريق العنوان قال ص١٧٥:" ﴿ **لتنذر الذين ظلموا**﴾ بالتاء نافع وابن عامر والبزي "، وعنه خلاف من طريق القصيدة هنا فقط قال الشاطبي:

لينذر دم غصنا والاحقاف هم بها   بخلف هدى

(٧) محمد / ١٦ .

(٨) قرأ البزي ﴿ **آنفًا** ﴾ بالمد كالجماعة من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :   وفي آنفًا خلف هدى وبضمهم   وكسر وتحريك

[الفتح

لم يذكر عن قنبل في ﴿ مَّغۡفِرَةً ﴾[1] سوى الهمز من غير مد وجهًا واحدًا][2]

الحجرات

[ق]، و

ق

لم يذكر لابن كثير الوقف على[3]﴿يُنَادِ ﴾ بالياء [كالجماعة][4] بلا خلاف[5] .

الذاريات

[ق]، و

الطور

﴿ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾[6] بالصاد حفص[7] [من غير خلف، وأشم الصاد خلاد

(١) الفتح / ٢٩ .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) قال في العنوان ص١٧٧ : "﴿ **على سؤقه** ﴾ مهموز قنبل "، وله من الشاطبية وجهان : أحدهما بهمزة ساكنة، وهو وجه العنوان، والوجه الثاني بزيادة واو بعد الهمزة، قال الشاطبي : .... مع السوق ساقيها وسوق اهمزوا زكا

ووجه بهمز بعده الواو وكلا

(٣) في (أ) سقطت (على) .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٥) قرأ ابن كثير ﴿ **ينادي** ﴾ بياء في الوقف بخلاف عنه من طريق القصيدة قال الشاطبي : " وباليا ينادي قف دليلا بخلفه "، ولم يذكرها في العنوان .

(٦) الطور /٣٧ .

(٧) في (أ) بزيادة واو (وحفص) .

بلا خلاف][(١)] .

النجم

[ق]، و

القمر

[ق]، و

الرحمن

﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ ﴾ [(٢)] بضم الميم في الأول فقط الكسائي بكماله بلا خلاف[(٣)] .

---

(١) في (أ) ما بين المعقوفتين [وحفص من غير خلف، وأشم الصاد بلا خلاف]، قرأ حفص ﴿ **المصيطرون** ﴾ بالصاد من طريق العنوان، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو الصاد والسين، وقرأ خلاد بإشمام الصاد زايًا من طريق العنوان غير أنه في العنوان ذكر حمزة بكماله قال ص١٨١ : "﴿ **المسيطرون** ﴾ بالسين قنبل وهشام، الباقون بالصاد غير أن حمزة يشم الصاد الزاي "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو إشمام الصاد زايًا أو الصاد قال الشاطبي :

.... والمسيـــ طرون لسان عاب بالخلف زملا

وصاد كزاي قام بالخلف ضبعه

(٢) الرحمن / ٥٦، وهو موضع الخلاف، والموضع الثاني بسورة الرحمن الآية ٧٤.

(٣) قرأ الكسائي ﴿ **لم يطمثهن** ﴾ بضم الميم في الحرف الأول وكسرها في الحرف الثاني من طريق العنوان، قال ص ١٨٤ :" ﴿ **لم يطمثهن** ﴾ بضم الميم في الحرف الأول، الكسائي وكسرها في الحرف الثاني كغيره "، وذكر في القصيدة ثلاثة أوجه : الأول : ضم الميم في الحرف الأول للدوري، وكسرها لأبي الحارث، وضم الميم في الحرف الثاني لأبي الحارث وكسره للدوري . الثاني : كالعنوان بضم الميم في الحرف الأول للكسائي، وكسرها في الحرف الثاني . الثالث : يخير الكسائي فيهما، وذكر عن الكسائي قوله في هذه الكلمة :" ما أبالي بأيهما قرأت بالضم أم بالكسر بعد أن أجمع بينهما " قال في القصيدة : =

الواقعة

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [1] بتخفيف التاء البزي وجهًا واحدًا كالجماعة[2] .

الحديد

[ق]، و

[ومن سورة المجادلة][3] إلى سورة ن

﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[4] بضم الشين / ٦أ / فيهما أبو بكر بلا خلاف كغيره[5] .

و ﴿يَكُونَ﴾[6] بالتأنيث، ﴿دُولَةَۢ﴾[7] بالرفع هشام بغير خلاف فيهما[8].

= .... وكسر ميـــ ـــم يطمث في الاولى ضم تهتدي وتقبلا

وقال بـــه لليث في الثـــاني وحده شيوخ ونص الليث بالضم الاولا

وقول الكسائي ضم أيهما تـــشا وجيـــه وبعض المقرئين بـــه تلا

(١) الواقعة / ٦٥ .

(٢) وله من طريق الشاطبية الخلاف قال في القصيدة :

وكنتم تمنون الذي مع تفكهو ن عنه على الوجهين فافهم محصلا

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (أ) .

(٤) المجادلة / ١١ .

(٥) قرأ أبو بكر ﴿ **انشزوا فانشزوا** ﴾ بضم الشين في الحرفين من طريق العنوان قال ص١٨٧:"﴿**وإذا قيل انشزوا فانشزوا** ﴾ بضم الشين فيهما نافع وابن عامر وعاصم "،وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : كسر الشين أو ضمها قال الشاطبي :

وكسر انشزوا فاضمم معا صفو خلفه علا عم ....

(٦) الحشر / ٧، وفي (ب) وتكون .

(٧) الحشر /٧.

(٨) قرأ هشام ﴿**كيلا يكون** ﴾ بالتاء من طريق العنوان قال ص١٨٨:" ﴿ **كيلا يكون** ﴾ بالتاء ﴿**دولة**﴾ بالرفع هشام "، وبالتاء بخلاف عنه من طريق القصيدة قال:" ومع دولة أنث يكون بخلف لا " .

ومن سورة ن إلى سورة النبأ

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾[١]، ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٢] بالغيب فيهما ابن ذكوان بلا خلاف كهشام[٣] .

وضم لام ﴿لِبَدًا﴾[٤] هشام بلا خلاف[٥] .

وحذف الألف من ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ﴾[٦] البزي بلا خلاف كقنبل[٧] .

ووقف[٨] ابن ذكوان، وحفص، والبزي على ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾[٩] بألف كمن نون بلا خلاف عنهم[١٠] .

---

(١) الحاقة /٤١ .

(٢) الحاقة /٤٢ .

(٣) قرأ ابن ذكوان ﴿ **قليلا ما تؤمنون** ﴾، ﴿ **قليلا ما تذكرون** ﴾ بالياء من طريق العنوان قال ص١٩٦:" بالياء فيهما الإبنان، الباقون بالتاء فيهما، وخفف الذال الأخوان وحفص على أصلهم "، وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : " ويذكرون يؤمنون مقالة بخلف له داع " .

(٤) الجن / ١٩ .

(٥) قرأ هشام ﴿ **لبدا** ﴾ بضم اللام من طريق العنوان قال ص ١٩٨ :" ﴿ **عليه لبدا** ﴾ بضم اللام هشام "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : الضم أو الكسر قال الشاطبي :

وقل لبدا في كسره الضم لازم بخلف ......

(٦) القيامة /١ .

(٧) أي أن ابن كثير بكماله يحذف الألف قال في العنوان ص ٢٠٠ :" ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ ليس بين اللام والهمزة مدة ابن كثير، الباقون بالمد ولا خلاف في الثاني أنه ممدود "، وللبزي الخلاف من الشاطبية قال الشاطبي : وقصر ولا هاد بخلف زكا وفي الـــ قيامة لا الأولى وبالحال أولا

(٨) في (أ) وقف .

(٩) الإنسان / ٤ .

(١٠) وقف البزي وابن ذكوان وحفص على ﴿ **سلاسلا** ﴾ بألف من طريق العنوان قال ص٢٠١: =

و﴿ قَوَارِيرَاْ ﴾ [1] فيهما بالتنوين هشام مع من نون، وهذا مما انفرد به صاحب العنوان، لا أعلم أحدًا ذكر [عنه ذلك غيره][2]، وإنما ذكر الحرف الثاني[3] فقط في رواية النقاش عن هشام من[4] المصباح[5] .

ولم يـذكر عن خـلاد إدغام ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾ [6] فيظهرها بلا خلاف[7].

="﴿سلاسلا ﴾ بالتنوين نافع والكسائي وأبو بكر وهشام، الباقون بغير تنوين، ووقف عليه قنبل وحمزة ﴿سلاسل ﴾ بغير ألف ووقف الباقون بالألف "، وعن البزي وابن ذكوان وحفص الخلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

سلاسل نون إذ رووا صرفه لنا وبالقصر قف من عن هدى خلفهم فلا

زكا ....

(١) الإنسان / ١٥، ١٦ .

(٢) في (ب) ما بين المعقوفتين [ذلك عنه غيره] .

(٣) في (أ) الأول .

(٤) في (ب) في .

(٥) قرأ هشام ﴿ **قواريرا . قواريرا**﴾ بتنوينهما ووقف عليهما بالألف من طريق العنوان، وقرأه بغير تنوين فيهما، ووقف عليهما بالألف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

.... وقواريرا فنونه اذ دنا رضا صرفه واقصره في الوقف فيصلا

وفي الثان نون إذ رووا صرفه وقل يـمد هشـام واقـفا مـعهم ولا

(٦) المرسلات / ٥.

(٧) قرأ خلاد ﴿ **فالملقيات ذكرا** ﴾ بالإظهار من طريق العنوان حيث نص على إدغام أوائل الصافات وأول الذاريات فقط قال ص١٦١ :" ﴿ **والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا** ﴾ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال حمزة، وكذلك ﴿ **والذاريات ذروا** ﴾ "،وعنه خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي : وخلادهم بالخلف فالملقيات فالـ مغيرات في ذكرا وصبحا فحصلا

ومن سورة النبأ إلى آخر القرآن

﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾[١] أشم الصاد الزاي خلاد بلا خلاف كخلف .

و ﴿بِٱلۡوَادِ﴾[٢] بياء في الوصل دون الوقف وجهًا واحدًا قنبل كورش وغيره[٣] .

وحذف أبو عمرو الياء من ﴿أَكۡرَمَنِ﴾[٤]، و﴿أَهَٰنَنِ﴾[٥] في الحالين بلا خلاف[٦].

وحذف قنبل الألف بعد الهمزة من ﴿رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[٧] وجهًا واحدًا[٨] .

---

(١) الغاشية / ٢٢، وفي (أ) ﴿ **بمسيطر** ﴾ بالسين .

(٢) الفجر / ٩، إثبات الياء لقنبل من العنوان بلا خلاف، أما من القصيدة فله الخلاف في الوقف قال في القصيدة : وفي الفجر بالواد دنا جريانه وفي الوقف بالوجهين وافق قنبلا

(٣) قرأ خلاد ﴿ **بمصيطر** ﴾ بإشمام الصاد الزاي من طريق العنوان قال ص٢٠٨ :" ﴿**بمسيطر**﴾ بالسين هشام، الباقون بالصاد وحمزة يشم الصاد الزاي "، وعنه خلاف من طريق القصيدة وهو : الصاد أو إشمام الصاد الزاي قال في القصيدة :

" مصيطر اشمم ضاع والخلف قللا وبالسين لذ ...."

(٤) الفجر / ١٥ .

(٥) الفجر / ١٦ .

(٦) قال في العنوان ص٢٠٩ :" { ربي أكرمن } و { ربي أهانن } نافع بياء فيهما في الوصل فقط، والبزي بياء فيهما في الحالين، الباقون بغير ياء فيهما في الحالين .

(٧) العلق / ٧.

(٨) قرأ قنبل ﴿ **أن رآه استغنى** ﴾ بقصر الهمزة من طريق العنوان قال ص٢١١ :" ﴿ **أن رأه استغنى** ﴾ مثل (رعه) قنبل، الباقون ﴿ **رآه** ﴾ مثل (دعاه) "، وله من الشاطبية الخلاف بين قصر الهمزة وإثباها وقال في القصيدة :" وعن قنبل قصرا روى ابن مجاهد رآه ولم يأخذ بــه متعملا وجه القصر حذف الألف تخفيفا، ووجه المد الإتيان بالكلمة على أصلها من غير حذف .

وفتح الياء من ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [1] البزي بغير خلف[2] .

وسكن الفاء من ﴿ كُفُوًا ﴾ [3] قالون وقفًا ووصلاً كحمزة وصلاً، وهي[4] طريق القاضي عن قالون، وهي التي في العنوان، وتقدم أن حمزة له في الوقف عليها[5] النقل وجهًا واحدًا[6] .

والتكبير

عن البزي وحده من آخر الضحى بلا خلاف، ولفظه (الله أكبر) وجهًا واحدًا، و لم يتعرض إلى وصله، ولا إلى القطع عليه ولا دونه، فيحتمل الأوجه السبعة، وبأي وجه قرئ منها أجزأ ، ولم يتعرض إلى التكبير [في][7] آخر الناس ، ولكن يفهم من قوله التكبير في أثر كل سورة حتى يختم [فيكبر بين][8] الناس، والفاتحة [قطعا ، والله

---

(١) الكافرون / ٦ .

(٢) في (أ) من غير، قال في العنوان ص٢١٤ :" ﴿ **ولي دين** ﴾ فتحها نافع والبزي وحفص وهشام"، وله في الشاطبية الخلاف قال في القصيدة : " ولي دين عن هاد بخلف له الحلى " .

(٣) الإخلاص / ٤ .

(٤) في (ب) وهذه .

(٥) في (ب) عليهما .

(٦) قرأ قالون ﴿ **كفؤا** ﴾ بإسكان الفاء من طريق العنوان قال ص٢١٤ :" ﴿ **كفؤا** ﴾ بإسكان الفاء حمزة وقالون، الباقون بضمها وحفص يقلب الهمزة واوا "، وقرأ بضم الفاء من طريق القصيدة قال الشاطبي :

وفي الصابئين الهمز والصابئون خذ ... وهزؤا وكفؤا في السواكن فصلا

وضم لباقيهم وحمزة وقفه ... بواو وحفص واقفا ثم موصلا

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (ب) .

(٨) في (أ) ما بين المعقوفتين [التكبير من] .

أعلم](١).

[تمت تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان، بحمد الله، وحسن توفيقه، في حادي عشر شعبان سنة خمس وثمانين وسبعمائة على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته، ولطفه موسى بن أحمد بن عبد الله القصيري الحلبي الشافعي عفا الله عنه، آمين، آمين، آمين .

تــعلم يــا فتى فالجهل عـــار   ولا يـــرضى بـــه إلا الحمار
علم ينبئك من الآداب في الصغر   حتى تقر بهم عيناك في الكبر

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم](٢).

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (أ)، قال في العنوان ص٢١٥ :" كان البزي إذا ختم سورة والضحى كبر ثم افتتح السورة التي بعدها، وكذلك بأثر كل سورة حتى يختم، وقد اختلف عنه في لفظ التكبير والذي أختاره من ذلك (الله أكبر) لا غير وبه قرأت، وبه آخذ، والله تعالى أعلم "، وللبزي من طريق القصيدة ثلاث طرق: الأولى : التكبير من آخر والضحى ولفظه (الله أكبر) فقط، وهذه طريق العنوان أيضًا، الثانية : التهليل والتكبير ولفظه : (لا إله إلا الله والله أكبر)، الثالثة : التكبير من أول الضحى، وعن قنبل خلاف من طريق القصيدة قال الشاطبي :

وفيه عن المكيين تكبيرهم مع الـــ   خواتم قرب الختم يروى مسلسلا
إذا كبـــروا في آخر الناس أردفوا   مع الحمد حتى المفلحون توسلا
وقال به البزي من آخر الضحى   وبعض له من آخر الليل وصلا
فإن شئت فاقطع دونه أو عليه أو   صل الكل دون القطع معه مبسملا
وما قبله من ساكن أو منـــون   فللساكنين اكسره في الوصل مرسلا
وأدرج على إعرابـــه ما سواهما   ولا تصلن هاء الضمير لتوصلا
وقـــل لفظه الله أكبـــر وقبـــله   لأحمد زاد ابن الحباب فهللا
وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس   وعن قنبل بعض بتكبيره تـــلا

(٢) ما بين المعقوفتين من (ب)، وفي (أ) " تمت التحفة بعون الله وتوفيقه، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين " .

المراجع

أولا : المخطوط :

- البيان في الخلف بين الشاطبية والعنوان، أبي زكريا يحيى بن أحمد، مصورة من الأزهرية .
- الكامل في القراءات الخمسين، للهذلي، مصورة عن الأزهرية .
- العنوان في القراءات السبع، لأبي الطاهر، نسخ مختلفة .
- كنـــز المعاني، للجعبري، نسخة دار الكتب المصرية .
- شرح الهمداني على الشاطبية، للإمام الهمداني، نسخة الأزهرية .

ثانيا : المطبوع :

- العنوان في القراءات السبع، لأبي الطاهر بن خلف، دار عالم الكتب .
- حرز الأماني ووجه التهاني، للإمام الشاطبي، طبعة الشيخ الضباع بمكتبة البابي الحلبي، وطبعة تميم الزعبي بالمدينة .
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار عالم الفكر .
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، دار الكتب العلمية .
- تحبير التيسير، ابن الجزري، دار الكتب العلمية .
- الإمام المتولي، إبراهيم الدوسري، مكتبة الرشد .
- معرفة القراء الكبار، الإمام الذهبي، دار أسام بتركيا .
- قراءة نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، المغرب .
- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف .
- معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي، دار القلم .
- فتح الوصيد، السخاوي، مكتبة الرشد .
- اتحاف البرية بتحريرات الشاطبية، علي الضباع، أضواء السلف .
- التيسير في القراءات السبع، الداني، دار الكتب العلمية .
- جامع البيان، الداني، دار الحديث .
- الميسر في القراءات العشر، فهد خاروف، دار ابن كثير .
- شرح الفاسي على الشاطبية، الفاسي، مكتبة الرشد .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣٢٨

مدخل التحقيق ٣٣١

أولا : دراسة حول كتاب العنوان وترجمة لمؤلفه ٣٣٣

ثانيا : دراسة للشاطبية ، وترجمة لناظمها ٣٣٥

ثالثا : ترجمة ابن الجزري ، ودراسة لكتابه تحفة الإخوان وبيان منهجه فيه ٣٣٩

عملي في تحقيق الكتاب ووصف نسخه مع نماذج مصورة منه ٣٤٣

النص المحقق لكتاب تحفة الأخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان ٣٤٧

باب البسملة- سورة أم القرآن ٣٥٦

الإدغام الكبير- هاء الكناية ٣٥٧

المد والقصر ٣٥٨

باب الهمزتين من كلمة ٣٦٠

باب الهمزتين من كلمتين ٣٦٤

الهمز المفرد ٣٦٥

باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ٣٦٦

باب وقف حمزة وهشام على الهمز ٣٦٧

الإظهار والإدغام ٣٦٨

حروف قربت مخارجها ٣٦٩

الفتح والإمالة وبين اللفظين ٣٧١

إمالة هاء التأنيث في الوقف ٣٨١

الراءات ٣٨٢

اللامات ٣٨٣

الوقف على أواخر الكلم ٣٨٤

الوقف على مرسوم الخط ٣٨٥

الفرش مرتبا إلى آخر القرآن ٣٨٧

التكبير ٤١٥

المراجع ٤١٧